أسست عام ١٣٨٥هـ - ١٩٦٥م

الوعي الإسلامي

AL-Waei AL-islami
مجلة كويتية شهرية جامعة

العدد (٥٧٣) جمادى الأولى ١٤٣٤ هـ/ مارس - أبريل ٢٠١٣م

هدية العدد: بوستر ملخص السيرة النبوية

صناعة الحلال وثقافة البدائل

- مفهوم التعددية في الإسلام
- المكتبة الرقمية وأثرها في التعلم الذاتي
- مقدمات في التجديد والاجتهاد الأسري
- عصام الشنطي.. رحلات عطاء ممتدة

مجاناً مع العدد «براعم الإيمان»

الوعي الإسلامي

وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية
قطاع الشؤون الثقافية

جديد

الإصدارات

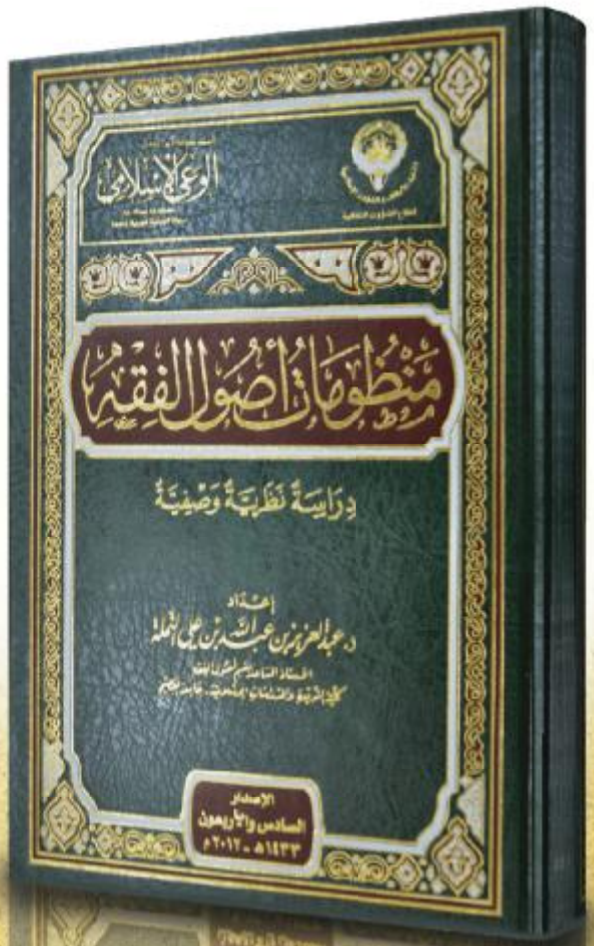

الافتتاحية

تلك حدود الله

رئيس التحرير
فيصل يوسف العلي

خلق الله الإنسان، فجعل حاجته في الطعام والشراب، وكان الداعي إلى ذلك شيئين، حاجة ماسة، وشهوة باعثه، فالحاجة تدعو إلى سدِّ الجوع، وتسكين الظمأ، والشهوة في الإكثار والزيادة، نهمٌ مُعرّ، وشَرَهٌ مُضِرّ، فإنها مفسدة مورثة السقم، وربّ أكلة هاضت الآكل ، وحرمته مآكل.

كم دخلت أكلة حشا شـــره ... فأخرجت روحه من الجسد
لا بارك الله في الطعام إذا ... كان هلاك النفوس في المعد

والتوسط في الأمرين أولى، لأن في اعطائها كل شهواتها بلادة.

أقبل على النفس واستكمل فضائلها ... فأنت بالنفس لا بالجسم إنسان

والله سبحانه وتعالى طيب، لا يقبل إلا طيبًا، فأحلَّ الطيبات،وحرم الخبائث، وأمر المؤمنين بما أمر به المرسلين، والأصل في الأطعمة الحل والاباحة، وتحريمها إنمَّا لضرر، أو لنجاسة، أو ما نهي عن قتله، أو أمر بقتله، أو ذهاب العقل. وتحرِّي الحلال محمود، والغلو والتنطع مذموم، وقد أغنانا الله بالحلال عن الحرام، والمشتبهات ما تردد بينهما، فقامت فيه شبهة الحل والحرمة، فمن اتقى الشبهات ، فقد استبرأ لدينه وعرضه من النقص والشين، والله سبحانه وتعالى حمى هذه المحرمات، ومنع عباده من قربانها، وسماها حدودًا» تِلْكَ حُدُودُ اللَّهِ فَلَا تَقْرَبُوهَا» «تِلْكَ حُدُودُ اللَّهِ فَلَا تَعْتَدُوهَا» فلا يقربوا الحرام، ولا يتعدوا الحلال، وسدُّ الذرائع إلى المحرمات، وتحريمُ الوسائل إليها من قواعد الشريعة، ولا يقبل الله العمل والدعاء إلا بأكل الحلال، وقد قيل:

(أطب مطعمك تكن مستجاب الدعوة).

الوعي الإسلامي

مجلة كويتية شهرية جامعة

تصدرها وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية
في دولة الكويت مطلع كل شهر عربي
العدد ٥٧٣ | جمادى الأولى ١٤٣٤ هـ
العام الخمسون
مارس – ابريل ٢٠١٣ م

رئيس التحرير
فيصل يوسف العلي

سكرتير التحرير
سليمان خالد الرومي

التحرير
عبادة السيد نوح

الإخراج والجرافيك
أبورواش زكي محمد
يحيى بوم

الإشراف الفني
الشركة العصرية
للطباعة والنشر والتوزيع

المراسلات
رئيس التحرير – مجلة الوعي الإسلامي
صندوق البريد : ٢٣٦٦٧ الصفاة ١٣٠٩٧ ـ
الكويت – هاتف: ٢٢٤٦٧١٣٢ – ٢٢٤٧٠١٥٦
فاكس: ٢٢٤٧٣٧٠٩
للإعلان : ١٨٤٤٠٤٤ داخلي ٣٠٦ – ٣٠١
البريد الالكتروني:
info@alwaei.com
الموقع الالكتروني:
www.alwaei.com
مكتب مصر : دار الإعلام العربية–٤٣ شارع دجلة – متفرع من شارع جامعة الدول العربية – المهندسين – الدور الأول – مكتب ١٠٤
تليفاكس: ٠٠٢٠٣٣٣٦٤٠٤٣
alwaei@arabmediahouse.net

المجلة غير ملزمة
بإعادة أي مادة تتلقاها للنشر.
والمقالات لا تعبر بالضرورة
عن رأي الوزارة أو المجلة.

في هذا العدد

صناعة الحلال أشمل بكثير من طريقة ذبح الحيوان والطير بهدف الإطعام، وأدق بكثير من كلمة تخرج من فمك فتصيب بها جارك، هي صناعة تغلف حياتنا وتتغلغل في نفوسنا.

٢٦

صناعة الحلال وثقافة البدائل

٣٦

مفهوم التعددية في الإسلام

٤٤

المكتبة الرقمية وأثرها في التعلم الذاتي

٦٦

مقدمات في التجديد والإجتهاد الأسري

التوزيع وكيل التوزيع: شركة الشبكة الدولية للدعاية والإعلان والنشر والتوزيع هاتف: ٢٢٤٧٨٩١١– ٢٢٤٧٨٩١٢ (٠٠٩٦٥) – فاكس : ٢٢٤٧٨٩١٠ (٠٠٩٦٥)

- اليمن – صنعاء – الدار العربية للنشر والتوزيع ت – ف: ٣٣١٧٩٧ (٠٠٩٦٧)
- لبنان – شركة نعنوع الصحفية–ت: ٦٥٣٢٥٩(٠٠٩٦١١) ف: ٦٥٣٢٦٠
- سوريا – دمشق – برامكة – ص.ب ١٢٠٣٥ – ت: ٢١٢٤٨٣١ (٠٠٩٦٣ ١١) ف: ٢١٢٨٦٦٤ – المؤسسة العربية السورية لتوزيع المطبوعات
- الأردن – عمان – شركة وكالة التوزيع الأردنية – ص.ب ٣٧٥ ـ رمز بريدي ١١١١٨ – ت: ٤٦٣٠١٩١(٠٠٩٦٢٦) ف: ٥٣٣٧٧٣٣
- مصر – القاهرة – شارع الصحافة – جريدة أخبار اليوم ـ ت: ٢٥٧٨٢٧٠٠ (٠٠٢٠٢) ف: ٢٥٧٨٣٥٤–(٠٠٢٠٢)
- المغرب – الدار البيضاء – ص.ب ١٣٦٨٣ – ملتقى زنقة رحال بن أحمد وزنقة سان ساتس – ٢٠٣٠٠ الدار البيضاء ت: ٢٢٤٠٠٢٢٣ (٠٠٢١٢) ف: ٢٢٤٩٥٥٧ – الشركة الشريفية
- مملكة البحرين – المنامة – ص.ب ٣٢٦٢ – ت: ٧٢٥١١١ (٠٠٩٧٣) ف: ٧٢٣٧٦٣ – مؤسسة الأيام للنشر والتوزيع
- الإمارات العربية المتحدة – ت: ٢٦٨٣٨٥٣ ٠٠٩٧١٤ – شركة دار الحكمة للنشر والتوزيع
- المملكة العربية السعودية – الرياض – ص.ب ٨٤٥٤٠ الرياض ١١٦٧١ – ت: ٤٨٧١٤١٤ (٠٠٩٦٦١) ف: ٤٨٧١٤٦٠ – الشركة الوطنية الموحدة للتوزيع الشريفية للتوزيع والصحف
- سلطنة عُمان – مسقط – ص.ب ٤٧٣ العذيبة ـ رمز بريدي ١٣٠ – ت: ٢٤٤٩٣٢٠٠ (٠٠٩٦٨) ف: ٢٤٤٩٣٣٠٠ – مؤسسة العطاء للتوزيع
- قطر – الدوحة – ت: ٢٤٤٩٣٣٠٠ (٠٠٩٧٤) دار الشرق للصحافة والطباعة والنشر.
- ماليزيا– شركة – المصطفى ميديا جروب سندرين برحد – ت– ٣٣٧١١٩٦٦ (٠٠٦٠٣)
- الجزائر – شركة ام بي سي ت: ٣١٩٠٩٥٩٠(٠٠٢١٦)
- تونس – الشركة التونسية للصحافة ت: ٧١٣٢٢٤٩٩ (٠٠٢١٦)
- المملكة المتحدة – لندن – شركة يونفرسال ت : ٢٠٨٧٤٢٣٣٤٤ (٠٠٤٤) .

الأسعار
●الكويت : ٥٠٠ فلس ●السعودية: ٥ ريالات ● البحرين : ٥٠٠ فلس ● قطر : ٥ ريالات ● الإمارات : ٥ درهم ● سلطنة عمان: ٥٠٠ بيسة ●الأردن:دينار واحد ● مصر : ٢ جنيه ●اليمن : ١٠٠ ريال ●لبنان: ٢٠٠٠ ليرة ● سوريا: ٣٠ ليرة ● المغرب : ١٠دراهم ● الجزائر: ٤ دينار جزائري ●تونس: دينار واحد تونسي ● المملكة المتحدة: ١,٥ جنيه استرليني ● باقي دول العالم : ٣ دولارات أمريكي أو مايعادلها.

الوعي الإسلامي
مجلة كويتية شهرية جامعة

المحتويات

٣	الافتتاحية / تلك حدود الله	فيصل يوسف العلي
٦	مؤتمرات/ جهود الأمة في خدمة السيرة النبوية	الطيب الوزاني
١٠	مؤتمرات/ مؤسسة البحوث والدراسات العلمية.. صرح ثقافي	التحرير
١٤	حوار/ العلامة الشيخ محمد التاويل	فيصل يوسف العلي
١٧	اقتصاد/ قراءة في أداء الناتج المحلي للعالم الإسلامي	عبدالحافظ الصاوي
٢٠	ملف العدد/ وزارة الأوقاف أقامت مؤتمر الخليج الثاني لصناعة الحلال	عامر أحمد أحمد
٢٢	ملف العدد/ المزيدي محذرًا من الأكل على طريقة اللادينيين	علاء عبدالفتاح
٢٦	ملف العدد/ صناعة الحلال وثقافة البدائل	السنوسي محمد
٢٩	ملف العدد/ إهدار المال العام.. جريمة في حق الأمة	هاجر حسونة
٣٢	ملف العدد/ تربية الأبناء على حب الحلال وبغض الحرام	د.آندي حجازي
٣٦	دراسات/ مفهوم التعددية في الإسلام	د.عبدالله الحوراني
٤٠	دراسات/ القرآن.. مصدر الاجتهاد المعاصر	د.مسعود صبري
٤٤	دراسات/ المكتبة الرقمية وأثرها في التعليم الذاتي	د.محمد حسان الطيان
٤٩	دراسات/ من أحب الأحبة إلى القلب ساعة الكرب	د.عبدالاله شامة
٥٤	فكر/ ثمرة الحكمة ونصف العقل	بلال المريسي
٥٨	لغة وأدب/ القول المأثور في إحياء الصواب المهجور	عبدالله أيت الأعشير
٦٠	لغة وأدب/ اليوم الأخير	محمد الإدريسي
٦٢	أنباء الكتب/ أطلس الفتوحات	د.محمد أبوالعلا
٦٤	أسرة/ الملل وفقدان الحافز الشخصي من أهم أعراض ما بعد البلوغ	بشرى شاكر
٦٦	أسرة/ مقدمات في التجديد والاجتهاد الأسري	الجبلالي سبيع
٦٩	علوم/ الذهب سيد المعادن	محي الدين عواد الظاهر
٧٢	تنمية/ كيف تتنفس العزة؟	نجلاء محفوظ
٧٤	دعوة/ أخرجوهم.. إنهم أناس يتطهرون	حسن أبوالفضل
٧٨	تربية/ منهج المربي الأعظم	نبيل نشمي
٨٠	رثاء/ عصام الشنطي.. رحلات عطاء ممتدة	د.أحمد معبد
٨٢	طب/ الشيخوخة المبكرة	دار الإعلام العربية
٨٥	دعوة/ رجل الساعة	سمية رمضان
٨٦	تزكية/ بين مغريات المنصب وواجبات المسؤول	رشيد الحسن
٨٨	فتاوى الوعي	محمود الكبش
٩٠	الوعي نت	خالد خلاوي
٩٢	بريد القراء	التحرير
٩٦	ينابيع المعرفة	تركي النصر
٩٨	مسك الختام/ أنت الأغنى	محمد مسعود ياقوت

كلمة العدد

حرية التعبير

تتردد بين الفينة والأخرى بعض الأصوات الشاذة التي تتهم الإسلام بتقييد حرية التعبير والحجر على إبداء الرأي، ولكن الغريب في الأمر أنها تصدر ممن ينتسبون إلى الإسلام ولا يعرفون عنه سوى اسمه ولا عن القرآن إلا رسمه.

إن الإسلام كفل حرية الرأي وحق الفرد في اختيار ما يراه مناسبًا في أمور الحياة، والتعبير عن أفكاره ومشاعره باختياره وإرادته، ما لم يكن في ذلك اعتداء على حقوق الآخرين.

والتاريخ الإسلامي يحفل بالعديد من التجارب التي تؤكد هذا الحق، فهذا الصحابي الجليل الحباب بن المنذر يبدي رأيه الشخصي في موقف المسلمين من غزوة بدر على غير ما كان قد رآه النبي ﷺ، فيأخذ النبي ﷺ برأيه.

وبالرغم من اهتمام الإسلام بحرية الرأي والتعبير فإنه حرص على عدم تحريرها من القيود والضوابط الكفيلة بحسن استخدامها، فينبغي عدم الخوض فيما يُغضب الله، أو يُلحق الضرر بالفرد والمجتمع على السواء، ويُخل بالنظام العام وحسن الآداب.

ولابد للمسلم من استعمال حقه بصورة إيجابية، من خلال توخي الأمانة والصدق؛ لإظهار الصواب، وليس لغرض التشويش وإلباس الحقِّ بالباطل، أو بخس الناس حقوقهم.

إن المرء متى أُعطِي الفرصة لإبداء رأيه في تقرير مصيره والمشاركة في صناعة القرار أدى ذلك إلى رقي الأمة وتقدمها ونهضتها المرجوة.

التحرير

الاشتراكات
• داخل الكويت : للأفراد ٧,٥ دنانير - للمؤسسات ١٥ دينارًا كويتيًا
• دول العالم : للأفراد ٢٠ دينارًا كويتيًا (أو ما يعادلها).
• الدول العربية : للأفراد ١٠ دنانير كويتية (أو ما يعادلها).
• للمؤسسات: ٢٥ دينارًا كويتيًا (أو ما يعادلها).
ترسل قيمة الاشتراكات في شيك إلى وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية (الرجاء عدم إرسال مبالغ نقدية)

المؤتمر العالمي الأول للباحثين في السيرة النبوية بـ «فاس»

جهود الأمة في خدمة السيرة النبوية.. نقلة نوعية في الشهود الحضاري للأمة

الطيب بن المختار الوزاني- باحث في الفكر الإسلامي

طوال ثلاثة أيام ٧-٨-٩ محرم ١٤٣٤هـ الموافق لـ٢٢-٢٣-٢٤ نوفمبر ٢٠١٢ جرت بقصر المؤتمرات بمدينة فاس أشغال المؤتمر العالمي الأول للباحثين في السيرة النبوية في موضوع: «جهود الأمة في خدمة السيرة النبوية» الذي نظمته مؤسسة البحوث والدراسات العلمية (مبدع) بتعاون مع وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية المغربية ومنظمة النصرة العالمية والمجلس العلمي الأعلى وجامعة القرويين. وقد حضره علماء وخبراء وباحثون متخصصون في السيرة النبوية ومهتمون أفرادًا وهيئات ومنظمات من مختلف بلدان العالم الإسلامي من الجزائر وتونس ومصر والسودان والأردن والمملكة العربية السعودية وقطر والإمارات العربية المتحدة والكويت والعراق وتركيا والهند بالإضافة إلى المغرب البلد المنظم.

أولًا: قراءة في أهداف المؤتمر وسياقه:

فمن حيث الأهداف والمقاصد فقد جاء هذا المؤتمر حلقة من حلقات متكاملة ضمن مشاريع مؤسسة البحوث والدراسات العلمية (مبدع) الرامية إلى تأسيس البحث العلمي على أسس وقواعد علمية منهجًا ومضمونًا وغاية، تصورًا وتصرفًا، من شأن القيام بها والاستقامة عليها أن تحقق مقاصد عدة:

أولها: أن تنهض به وبالأمة أيضًا، وتخرجهما من الفوضى إلى الضبط المنهجي، ومن العبثية والارتجالية إلى التدبير الراشد والقاصد، ومن التكرار

والاجتـرار إلـى التجديد والاجتهاد، ومـن التـجـزؤ والتـشـظي والتـآكل إلى التنوع والتعدد والتكامل، ومن الفرقة والاختلاف المذموم إلى وحدة الجهود والمقاصد والائتلاف المحمود.

ثانيها: جمع جهود الأمة في المجالات العلمية والتخصصات، وحصرها وتصنيفها وتقييمها، ووضعها بين يدي الباحثين والدارسين للنظر والتقويم والانطلاق نحو الإضافة والتتميم والتكميل.

ثالثها: تهيئة المناخ للباحثين ومراكز البحث العلمي من أجل التعارف وتنسيق الجهود والتشاور والتكامل.

أما من حيث سياق المؤتمر فيأتي في سياقين:

أولهما: سياق زمني ظرفي وافق أجواء حملة الإساءة لرسول الله ﷺ وسياق ردود الفعل الإسلامية المتباينة والمتنوعة كمًا وكيفًا.

ثانيهما: سياق استراتيجي واختيار فكري ومنهجي لدى مؤسسة (مبدع) التي نهجت منذ زمن مبكر في شخص أمينها العام الأستاذ الدكتور الشاهد البوشيخي ـ حفظه الله ورعاه ـ التوكيد على الانطلاق في البعثة الجديدة للأمة من اختيار الوحي القرآني والسيرة السنة وعلومهما والتربية والإصلاح انطلاقًا من الهدي المنهاجي والدعوي للنبي ﷺ الذي جسدته السيرة النبوية خير تجسيد، ومثلته أحسن تمثيل.

ثانيا: قراءة في مضامين المؤتمر ومحاوره وإشكالاته:

١- إشكالات المؤتمر:

انطلقت أعمال المؤتمر من استحضار مجموعة من الإشكالات والانشغالات تمس جانبين كبيرين هما: جانب علمي ومنهجي، وجانب إصلاحي عملي.

أ- الإشكالات العلمية والمنهجية:

ومن أبرز الإشكالات في هذا السياق: ما هي مكانة السيرة ضمن نسق العلوم الإسلامية؟ وأي قيمة يحتلها ضمن هذا النسق؟ وما علاقتها بمكونات هذا النسق؟ وما هي الجهود التي بذلها العلماء في التعامل مع السيرة النبوية؟ تدوينًا وتيسيرًا وفقهًا وتقريبًا وترجمة؟ وما هي حدودها وآفاقها؟ وما هي مناهج كتابة السيرة؟ وما السبيل إلى حصر تلك الجهود والمناهج وتصنيفها؟ وما هي المناهج المساعدة في كل ذلك؟ ثم أخيرًا ما هي الآثار المرجوة من البحث في جهود الأمة في خدمة السيرة؟ هل تنحصر في الحصر والجمع والتصنيف أم أنها تمتد إلى ما هو أكبر؟ تحديد حاجيات الأمة العلمية والمنهجية والإصلاحية من خلال تجميع خلاصات الجهود السابقة وتحديد الإشكالات التي لا تزال تنتظر البحث، وتوجيه البحث العلمي وبوصلته نحو الأهم فالأهم عبر التحاور والتنسيق والتشاور والتكامل والعمل المؤسسي الجاد والفاعل.

ب - الإشكالات الإصلاحية والعملية:

لماذا البحث في السيرة مجددًا وما هي مقاصد ذلك؟ ولماذا عودة الاهتمام بالسيرة في الفكر الإسلامي المعاصر واستئناف الكتابة فيها؟ هل هي

مقاصد علمية خالصة أم تمتزج بالروح الإصلاحية شأن كل بحث علمي ينحو منحى خدمة الإنسان والمجتمع؟ لماذا ركزت كثير من الدعوات الإصلاحية الحديثة والمعاصرة على السيرة النبوية وعلومها وفنونها؟ وإلى أي حد يمكن أن تكون السيرة النبوية واحدًا من أهم مفاتيح تجديد الأمة واستعادة وعيها بذاتها واستئناف سيرها الحضاري؟ وما هي أهم جهود المعاصرين في خدمة السيرة وتوظيفاتها في الإصلاح والنهضة؟

٢- مضامين المؤتمر ومحاوره:

الجلسة الافتتاحية سارت في اتجاه إبراز قيمة المؤتمر زمانًا وسياقًا، مضمونًا ومقاصد، وفي هذا الإطار اعتبر السيد أحمد التوفيق وزير الأوقاف والشؤون الإسلامية في كلمته التي ألقاها نيابة عنه الدكتور عبدالواحد بن داوود مدير التعليم العتيق بالوزارة أن السيرة النبوية تستدعي الدراسة المستمرة، لأن أهميتها مستمدة من طابعها المؤسس من جهة، ومن استمراريتها في حياتنا نحن المسلمين على مستوى النموذجية المؤسساتية والنموذجية الأخلاقية الفردية والتشريعية، وعلى مستوى الاستمداد الروحي والعاطفي.

كما بين الدكتور محمد يسف الأمين العام للمجلس العلمي الأعلى أن أهمية السيرة تكمن في أنها ضرورية في كل إصلاح وفي كل تجديد إسلامي، لذلك اعتبر دراستها والتخلق بها وتجسيدها في الواقع واجبًا حتمًا على كل المسلمين، بل اعتبر أنه لا يمكن أن نأتمن أجيالنا على حمل الرسالة وأن يكونوا امتدادًا لهذه الأمة إذا كانوا يجهلون سيرة المصطفى ﷺ.

أما الدكتور عادل بن علي الشدي الأمين العام المساعد لرابطة العالم الإسلامي فمما أكد عليه هو اعتباره المؤتمر نقلة إيجابية في مسار الدراسات العلمية الجادة في خدمة السيرة النبوية العطرة، راجيًا أن تتحول السيرة النبوية إلى ثقافة جيل وإلى منهج حياة.

كما أبرز الدكتور سالم طعمة الشمري . الأمين العام لمنظمة النصرة العالمية المجالات الرئيسة للنصرة الحقيقية لرسول الله ﷺ التي يتعين على المسلمين أخذها بعين الاعتبار من الذب عنه ﷺ والذب على سنته والتعلق بسيرته تحققًا وتخلقًا، معرفة وتطبيقًا، وعملًا بالقرآن الكريم، مع ضرورة التركيز على إبراز الجوانب الحضارية في التعامل الإنساني لسيد المرسلين، لذلك شدد على ضرورة اجتماع الأمة على منهاج الرسول وسيرته، لأنه من أهم السبل لاجتماع كلمتها وتوحيد صفوفها.

أما الدكتور/ محمد الروكي رئيس جامعة القرويين . حرسها الله . فاعتبر دراسة السيرة النبوية والتعلق بأخلاق الرسول ﷺ واجباً على المسلمين جميعًا، وهو المخرج الصحيح لما تعانيه الأمة الإسلامية من مشاكل.

ومن جانبه اعتبر الدكتور السرغيني فارسي رئيس جامعة سيدي محمد بن عبدالله بفاس السيرة النبوية بما تحمله من حكم وأسرار وأحداث وتطبيق نموذجي للوحي وجهاد في التمكين للدين، ومن حيث هي منهاج وسيرة «من أعظم العلوم أهمية في حياة الأمة الإسلامية»، بل إن الحاجة إليها تتعدى إلى البشرية جمعاء، لكون الرسول ﷺ جسد النموذج الكامل بدون جدال، لذلك وجب استلهام هذه السيرة واستثمار كل الإمكانات لتبويئها الصدارة لبناء أجيال مسلمة متشبعة بقيم الفضيلة والتسامح والانفتاح على الآخر.

أما الدكتور الشاهد البوشيخي الأمين العام لمؤسسة البحوث والدراسات العلمية (مبدع) (الجهة المنظمة للمؤتمر) فأكد أن الأمة اليوم لا يمكنها الانطلاق في بعثتها الجديدة وإخراج الناس من الظلمات إلى النور إلا إذا عادت إلى سيرة النبي ﷺ لأنها سيرة النموذج الأكمل والمنهاج الأمثل لإعادة إخراج أمة الهداية، وإعادة بناء جيل الرحماء الأشداء من جديد متسائلا: «ألا، متى تصير أرض الإسلام» ﴿كَزَرْعٍ أَخْرَجَ شَطْأَهُ فَآزَرَهُ فَاسْتَغْلَظَ فَاسْتَوَىٰ عَلَىٰ سُوقِهِ يُعْجِبُ الزُّرَّاعَ لِيَغِيظَ بِهِمُ الْكُفَّارَ﴾ معتبرًا الباحثين في السيرة النبوية هم الأمل وعليهم المعول في توثيق ما حقه التوثيق، وتحقيق ما حقه التحقيق، وجمع ما حقه الجمع، وغربلة ما حقه الغربلة، وتصنيف ما حقه التصنيف، وتأليف ما حقه التأليف» وذلك بهدف إعادة تركيب السيرة المنهاج التي يعتبر الدكتور الشاهد البوشيخي رائدًا في الدعوة إلى هذا المشروع القائم على الرشد العلمي والمنهجي والتكاملي على مستوى الأمة كل الأمة.

وفي نفس هذا المنحى العلمي والإصلاحي سارت كلمة اللجنة التنظيمية التي ألقاها الدكتور رشيد السلاوي، معتبرًا سيرة رسول الله ﷺ «مهادًا للأجيال في جمال الدين، وجلال التدين، ونبراسًا للضلال في طرق الحياة، وبرهانًا وقوة للسالكين في مدارج الحضارة» كما أكد أن الأمة وهي تريد أن تصنع مستقبلها اليوم لابد لها من أن تسلك سبل الرقي انطلاقًا تبين حقيقة الذات وهويتها المبنية على مرجعية الكتاب والسنة والتطبيق النموذجي للرسول ﷺ «معتبرًا أن جمع جهود الأمة في خدمة هذه السيرة

وفرز الغث من الثمين، بقصد استشراف السبل في تقويم الأود المنهاجي لرأب الخلل كل الخلل وعلاج أمراض أمتنا».

أما الجلسات العلمية للمؤتمر فتناولت بالدراسة جهود الأمة في خدمة السيرة النبوية من جوانب خمسة: التدوين، والتيسير، والفقه والاستنباط، والتقريب، والترجمة، ثم من جانب إعادة كتابة السيرة في المرحلة المعاصرة، وكانت خلاصة مضامين هذه الجلسات في هذه الجوانب من الخدمة: تدوين السيرة، وتيسير السيرة، وفقه السيرة، وتقريب السيرة، وترجمة السيرة، وإعادة كتابة السيرة في المرحلة المعاصرة، ومشاريع إعادة كتابة السيرة.

٣- نتائج المؤتمر وخلاصاته

توج المؤتمر أعماله ببيان ختامي ومجموعة من التوصيات ركزت على البعد المنهجي في البحث العلمي وأهمية التنسيق والتكامل بين جهود الباحثين، لذلك كانت التوصيات تصب في توسيع دائرة البحث في السيرة من خلال ربط البحث العلمي والباحثين بمراكز ومؤسسات متخصصة، واعتماد تقنيات النشر الإعلامي الورقي، والرقمي (مواقع إلكترونية) والفضائي (إنشاء قناة خاصة بالسيرة النبوية) والدعوة إلى إدراج مادة السيرة النبوية ضمن مقررات وزارات التربية والتعليم بما يناسب مكانتها كمًا وكيفًا، كما أوصى المؤتمرون بإنشاء رابطة عالمية للباحثين في السيرة النبوية بقصد التعاون والتنسيق والتشاور والتكامل، على أن يعقد هذا المؤتمر على رأس كل سنتين بمدينة فاس إن شاء الله تعالى.

ملاحظات ختامية

يستفاد مما سبق عرضه عن المؤتمر في سعة مضامينه واتساع المدى الزمني وفي عمق أهدافه:

-أن مؤتمرًا في هذا الحجم من الأهداف والمضامين والمدى الزمني والتاريخي والمكاني غير كاف في تجلية جهود الأمة كل الأمة، ولذلك تظل الحاجة قائمة إلى توسيع مثل هذه الأعمال ومواصلة هذه الجهود لاستخلاص خلاصة صادقة

للأجيال تعتمد فعلًا في الانطلاق الحضاري.

- أن مسألة تجميع خلاصات جهود الأمة في كل ما أبدعته في مسيرتها التاريخية واجب علمي ومنهجي على عاتق أولي الأمر من العلماء والمسؤولين والغيورين كل بقدر ما له من المسؤولية والتمكين، إذ لا نهضة للأمة من غير استيعاب كامل لتراثها ولتراث غيرها، ومن غير تشخيص لمواطن القوة الضعف ومواطن الخلل ومواطن النجاح، ومعرفة ما كمل ونضج وما يحتاج إلى تكميل وإنضاج.

- أن متابعة الجمهور من الباحثين والمشاركين والأساتذة والطلبة والمهتمين لجلسات المؤتمر من جلسة الافتتاح إلى جلسة الاختتام بكثافة منقطعة النظير، ليدل بحق على حسن اختيار المنظمين لما يناسب حاجات الأمة راهنًا، وتطلعاتها في التعرف على

اعتماد تقنيات النشر الإعلامي الورقي والرقمي وإنشاء فضائية خاصة بالسيرة النبوية ودراستها ضمن مقررات وزارات التربية

جهود الأمة والاستفادة منها في البناء الحضاري المنشود.

- أن تصحيح مسار البحث العلمي تصحيح لمسار الأمة، وأن جمع خلاصات جهود السابقين يعتبر بحق المحدد الرئيس لعمل الباحثين والموجه لبوصلة البحث العلمي نحو مزيد من الاقتصاد في الجهد والوقت ومزيد من التكميل والتتميم والإضافة الكمية والنوعية. ومن غير هذا الرصد وهذا الاستخلاص تضيع طاقات الأمة، وتهدر الجهود في تكرار ما ليس حقه التكرار، وإهمال ما ليس حقه الإهمال.

- أن حاجة الأمة اليوم صارت ملحة لتوحيد جهود أفرادها وباحثيها ورتق الهوة بين مؤسسات البحث العلمي فيها، لأنه لا مستقبل للبحث العلمي إلا ما قام على العمل المؤسسي والتصور الشمولي والاستراتيجي المبني على التنسيق والتعاون والتكامل في جميع المجالات والتخصصات أفقيًا وعموديًا، زمانًا ومكانًا ، حالًا ومآلًا.

- وأخيرًا فإنه يمكن عد هذا المؤتمر بمثابة نقلة نوعية في اتجاه تصحيح مسار البحث العلمي في بلداننا مضمونًا ومنهجًا، مقاصد وآليات اشتغال، وفي اتجاه إنشاء أرضية علمية صلبة وراشدة لنهضة الأمة وعودتها إلى قيادة الإنسانية عودة راشدة قائدة وواعدة.

مؤسسة البحوث والدراسات العلمية (مبدع).. صرح ثقافي يضيء وجه الأمة

التحرير

هي مؤسسة علمية خاصة، خالصة للبحث العلمي وما يتصل به، في مختلف العلوم، نصوصًا ومصطلحات ومناهج، أسست قانونيًّا أوائل عام ١٤٢٨هـ - ٢٠٠٧م بمدينة فاس، بالمغرب.

وتتلخص رسالتها في محاولة النيابة بالعصبة أولي القوة من الأمة عن الأمة، في التصدي للتحديات الكبرى التي تواجه الأمة في المعضلات الثلاث:

معضلة النص: ويقصد بها تلكم المعضلة التي تتمثل في الواقع الأليم لما تبقى من نصوص التراث الذي هو الذات، ذلكم النص الذي يمكن حصر أهم وجوه معضلته في:

- وجه العلم بمراكز وجود مخطوطه، وهو الأكثر، وللأسف لمّا يظهر معجم مفهرس لها شامل كامل، يحصي ويتقصى الأماكن العامة والخاصة، وشبه العامة والخاصة، في مختلف أنحاء العالم.

- وجه العلم بوجود مخطوطه وأحوال وجوده في المعلوم من مراكز وجوده. وللأسف لمّا يظهر معجم مفهرس شامل كامل للمخطوطات العربية المحفوظة بمختلف خزائن العالم.

- وجه توثيق نسبته ومتنه، فكم من نصوص نسبت وتنسب إلى غير أصحابها، وكم من نصوص تشتكي إلى الله وتستغيث مما فعل بها ناسخوها، أو قارئوها -حسب اصطلاح العلامة محمود محمد شاكر رحمه الله عز وجل- أي محققوها.

- وجه تكشيف محتوياته، ولاسيما المصادر الأمهات التي تشبه في خصوبتها وسعتها وكثرة عطائها الغابات، فكم من بقايا كتب قيمة، لعلماء أفذاذ، يمكن استخراجها من بطون تلك الأمهات، ولا يكشف عنها إلا التكشيف، وكم من علوم ومعارف، وشواهد نادرة لعلوم ومعارف، توجد مطوية في أحشائها، لا سبيل إلى تذليل عقبة العلم بها إلا بالتكشيف. وحتى الآن لم يُكَشّف من منشور التراث إلا بعض جوانب من بعض الأمهات.

- وجه طبعه وتوزيعه أو العلم بطبعه وتوزيعه، فكم من نصوص حققت ولم تجد طابعًا، وكم من محققات طبعت ولم تجد موزعًا، وكم من مطبوعات وزعت ولم تكد تجاوز أو يجاوز العلم بطبعها البلد الذي طبعت فيه، وحتى الآن لمّا يصدر معجم مفهرس شامل

للمطبوعات العربية في العالم، ولا الدليل السنوي العالمي للمطبوعات العربية، ولا الأدلة السنوية القطرية القائمة على الإحصاء التام.

- وجه استعصاء معظمه حتى الآن -وهو المخطوط- على تدخل الحاسوب لتسهيل إخراجه والاستفادة منه.(١)

- وبحل هذه المعضلة الأساس، يضبط الأساس الذي تقوم عليه كل الدراسات، في مختلف أصناف العلوم والتخصصات.

معضلة المصطلح: ويقصد بها تلكم المعضلة التي تتمثل أساسًا في الألفاظ الاصطلاحية أو «مفاتيح العلوم» اللازم تحديدها لفهم الذات في الماضي، واللازم تدقيقها لخطاب الذات في الحاضر، واللازم إنشاؤها لتجديد الذات في المستقبل.

وعلى تلكم الألفاظ تدور «المسألة المصطلحية» بمفهومها الحضاري الشامل. تلكم «المسألة التي تبحث مصطلح الماضي، بهدف الفهم الصحيح، فالتقويم الصحيح، فالتوظيف الصحيح. وتدرس مصطلح الحاضر بهدف الاستيعاب العميق، فالتواصل الدقيق، فالتوحد على أقوم طريق. وتستشرف آفاق مصطلح المستقبل، بهدف الإبداع العلمي الرصين، والاستقلال المفهومي المكين، والتفوق الحضاري المبين»(٢).

معضلة المنهج: ويقصد بها تلكم المعضلة التي تتمثل أساسًا في طرق البحث والدرس التي كلما كانت أقوم وأهدى وأسَدّ، كانت أنفع وأجدى وأردّ، توثيقًا وتحقيقًا وتكشيفًا، فهمًا واستنباطًا وتأليفًا،...

ومشكلة المنهج كما هو معلوم «هي مشكلة أمتنا الأولى، ولن يتم إقلاعها العلمي ولا الحضاري إلا بعد الاهتداء في المنهج للتي هي أقوم...

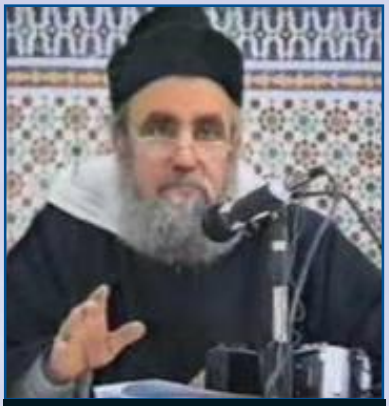
الشيخ د. الشاهد بوشيخي

الانفتاح على المراكز والمؤسسات والهيئات... العلمية الوطنية والدولية ذات الاهتمام المشترك للتعاون وتبادل الخبرات

والناظر في أحوال الأمة عامة، والحال العلمية منها خاصة، يلحظ بيسر أن مسألة المنهج لمّا تعط حظها من العناية والرعاية، وأن كثيرًا من الأموال والأوقات والطاقات تضيع بسبب فساد المنهج. وإذا جاز الترخص في شيء، فإن البحث العلمي لا ينبغي أن يكون من ذلك بحال؛ لأنه بمثابة القلب في جسد الأمة؛ إذا صلح صلح الجسد كله، وإذا فسد فسد الجسد كله...(٣).

أهداف المؤسسة

- تشجيع البحث العلمي وتطوير مناهجه.
- نشر العلم والاهتمام بالعلماء.
- خدمة الباحثين وتيسير سبل البحث لهم.
- تنسيق جهود الباحثين في مختلف التخصصات.
- توفير فضاء للتواصل العلمي والفكري بين الباحثين.
- تنشيط الحركة العلمية والثقافية.
- إنجاز البحوث والدراسات العلمية.
- التعاون مع الكفاءات العلمية داخل الوطن وخارجه.
- الانفتاح على المراكز والمؤسسات والهيئات... العلمية؛ الوطنية والدولية، ذات الاهتمام المشترك، للتعاون وتبادل الخبرات والزيارات.

وسائل المؤسسة

- إنشاء مكتبة علمية تضم الكتب والدراسات والدوريات... في مختلف أصناف العلوم.
- تنظيم ملتقيات علمية (مؤتمرات وندوات وأيام دراسية ودورات تدريبية ومحاضرات... وغيرها) تخصص لنشر العلم والمعرفة، وتعميق البحث في كل ما يرتبط بالأهداف المنصوص عليها أعلاه.
- المشاركة في الملتقيات العلمية، وتنظيم الزيارات المتبادلة مع المؤسسات ذات الاهتمام المشترك، بالداخل والخارج معًا.
- إنجاز مشاريع علمية، وإبرام اتفاقيات تعاون وعقود شراكة، مع المؤسسات ذات الاهتمام المشترك، داخل الوطن وخارجه.
- إنشاء ما يلزم لإنجاز البحوث وتسييرها من وحدات ومختبرات ومراكز ومعاهد... وغيرها.
- القيام بالخبرة والتقويم العلمي.
- القيام بأعمال التأليف والترجمة والنشر.
- إصدار ما يلزم لنشر المعرفة والتواصل العلمي من كتب ومجلات ونشرات... وغيرها.
- إنشاء موقع في الشابكة (الإنترنت) يعرّف بالمؤسسة وأهدافها وأعمالها.
- إنشاء بنك للمعلومات العلمية، وتطوير الاتصال ببنوك المعلومات الأخرى، داخل الوطن وخارجه.

رئيس التحرير بصحبة مسؤولي المؤسسة

■القيام بكل وسيلة مشروعة تيسر تحقيق أهداف المؤسسة.

تعريف بالمؤسس

الباحث الشيخ الدكتور الشاهد بوشيخي من مواليد عام ١٩٤٥م بدوار الحريشة ناحية فاس بمملكة المغرب، عمل أستاذًا في جامعة سيدي محمد بن عبدالله بكلية الآداب في فاس، وحاليًّا يشغل أمينًا عامًا لمؤسسة مبدع، شغل العديد من المناصب الإشرافية والأكاديمية، وحاصل على الدكتوراه في الدراسة المصطلحية تخصص المصطلح النقدي والمصطلح القرآني، له العديد من المؤلفات في الدراسات المصطلحية والبحثية.

مشاريعها العلمية الكبرى

وهي تمثل تصور المؤسسة واستشرافها لمعالم حل المعضلات الثلاث التي تتلخص في ثلاث:

– الإعداد العلمي الشامل للنص: حسب المنهجية التالية:

•الفهرسة: وتتطلب إنجاز:

•معجم مفهرس للمطبوع من المخطوطات العربية في العالم، حاصر لما طبع، قابل سنويًّا لإلحاق ما يطبع. ويعين عليه أكبر العون –لو يكون– الدليل السنوي للمطبوعات العربية في العالم.

•ثم معجم مفهرس لمراكز المخطوطات العربية في العالم: العامة منها والخاصة (خزائن، ومساجد، وزوايا، وكنائس ومتاحف،... وغير ذلك).

•ثم معجم مفهرس للمخطوطات العربية المحفوظة بتلك المراكز.

•التصوير: ويتطلب تصوير كل ما بالمعجم المفهرس للمخطوطات العربية في العالم من أصوله، دون انتقاء أو استثناء.

•التخزين: ويتطلب حفظ ما صور وتخزينه بأحدث الوسائل في «مركز جامع لصور المخطوطات العربية في العالم»، على أن يكون الانتفاع به ميسرًا حاسوبيًّا لأي مؤسسة بحث على وجه الأرض.

•التصنيف: ويتطلب تصنيف ما خزن من متخصصين، وحسب حاجات التخصصات، زمانًا ومكانًا وإنسانًا وموضوعًا...

•التوثيق: ويتطلب إثبات صحة نسبة ما صنف إلى صاحبه، ضبطًا للعلاقات «المختلفة بالقائل والسامع، والعصر والمصر... إلى غير ذلك مما يمكن أن يستفاد من صحة النسبة، وتضبطه صحة النسبة، فيصحّ التصور للأمور زمانًا ومكانًا وإنسانًا، تاريخًا وواقعًا»(٤).

•التحقيق: ويتطلب إثبات صحة متن ما وثق، كما صدر عن صاحبه، طبقًا لقواعد وآداب معينة، وذلك لضبط الأحكام، والاستفادة من النصوص «انطلاقًا من حدود عبارتها؛ لئلا يُقَوّل قائل ما لم يقل، فيقوّل بتقويله عصر، أو اتجاه، أو غير ذلك، ولئلا يبنيَ بَانٍ بناءه على ما لم يصح، بسبب تصحيف، أو تحريف، أو بتر، أو غير ذلك، فيُفسِد التاريخ والواقع معًا»(٥).

•التكشيف: ويتطلب إعداد كشافات لمحتويات ما حقق، أسماء، ونقولًا، وموضوعات، ومصطلحات و«لاسيما المصادر الأمهات التي تشبه في خصوبتها، وسعتها، وكثرة عطائها الغابات»(٦).

•النشر: ويتطلب طبع ما وثّق وحقّق وكشّف، طبعًا لا يُفسد ما أُعدّ، ثم توزيعَه توزيعًا واسعًا، يعين أكبر العون على ما قُصِد.

إنجازاتها

«الجامع التاريخي لتفسير القرآن الكريم»:

برنامج حاسوبي يضم مئة تفسير مرتبة تاريخيًّا تبعًا لكل آية من القرآن الكريم، الإصدار الأول (١٤٢٣هـ – ٢٠١١م)، ويقصد بالجامع التاريخي لتفسير القرآن الكريم، ذلكم العمل العلمي الموسوعي الذي يتضمن مختلف التفاسير، في مختلف الأعصار والأمصار، منذ بدأ التأليف في التفسير إلى اليوم، مجموعة جميعها في تفسير واحد، رتب فيه ما قاله المفسرون في أي آية، من سورة الفاتحة إلى سورة الناس، ترتيبًا تاريخيًّا، حسب وفيات المفسرين.

مجلة دراسات مصطلحية

مجلة حولية محكمة يصدرها معهد الدراسات المصطلحية يرأس

تحريرها د.الشاهد بوشيخي، وتضم الهيئة الاستشارية ثلة من علماء الامة.

تهدف المجلة إلى تبيان التصور الحضاري الشامل للمسألة المصطلحية وبيانه، ذلك أنها تتعلق ماضيًا بفهم الذات وحاضرًا بخطاب الذات ومستقبلاً ببناء الذات، بالإضافة إلى سد بعض حاجة الأمة في مجال المصطلح بالتخطيط لإنجاز المعجم التاريخي للمصطلحات العربية وفق خطة علمية منهجية متكاملة، وتطوير البحث في المصطلح بالتاريخ والواقع معًا.

وتنسق المجلة ممثلة للمعهد مع عدد من الجامعات والمراكز العلمية في أشكال التعاون العلمي والبحثي المشترك.

إصدارات

- مصطلحات النقد العربي لدى الشعراء الجاهليين والإسلاميين: قضايا ونماذج ونصوص، الدكتور الشاهد البوشيخي، دار عالم الكتب الحديث، إربد، الأردن الطبعة الأولى ٢٠٠٩م.
- مصطلح النقد في تراث محمد مندور (١٩٠٧- ١٩٦٣)، الدكتور رشيد سلاوي، دار عالم الكتب الحديث، إربد، الأردن، الطبعة الأولى ٢٠٠٩م.
- مصطلح الشعر في تراث العقاد الأدبي (١٨٨٩-١٩٦٤)، الدكتور عبدالحفيظ الهاشمي، دار عالم الكتب الحديث، إربد، الأردن، الطبعة الأولى ٢٠٠٩م.
- قضايا المصطلح في النقد الإسلامي الحديث، نجيب الكيلاني، نموذجًا، الدكتور محمد امهاوش، دار عالم الكتب الحديث، إربد، الأردن، الطبعة

إنشاء موقع في الشابكة (الإنترنت) يعرف بالمؤسسة وأهدافها وأعمالها

الأولى ٢٠١٠م.
- مصطلحات التخطئة الشعرية في التراث النقدي (بحث في العناصر النقدية والموارد الفكرية) الدكتور صالح أزوكاي، دار عالم الكتب الحديث، إربد، الأردن، الطبعة الأولى ٢٠١٠م.
- مصطلح القافية من الأخفش الأوسط إلى حازم القرطاجني الدكتور محمد أزهري، دار عالم الكتب الحديث، إربد، الأردن، الطبعة الأولى ٢٠١٠م.
- المدرسة السلفية في التفسير في العصر الحديث، الدكتور محمد السيسي، دار السلام- القاهرة- الطبعة الأولى ٢٠١٠.
- التفسير والمفسرون بالمغرب الأقصى، سعاد الأشقر، دار السلام- القاهرة- الطبعة الأولى ٢٠١٠.
- مفهوم السلام في القرآن الكريم والحديث النبوي الشريف، الدكتور الطيب البوهالي، دار السلام- القاهرة- الطبعة الأولى ٢٠١٠.
- مفهوم الأمة في القرآن الكريم والحديث النبوي الشريف، الدكتور عبدالكبير حميدي، دار السلام- القاهرة- الطبعة الأولى ٢٠١٠.
- علم أصول التفسير محاولة في البناء، الدكتور مولاي عمر بن حماد، دار السلام- القاهرة- الطبعة الأولى ٢٠١٠.
- تفسير الإمام الغزالي. محمد الريحاني، دار السلام- القاهرة- الطبعة الأولى ٢٠١٠.
- مدرسة مكة في التفسير، الدكتور أحمد العمراني، دار السلام- القاهرة- الطبعة الأولى ٢٠١٠.
- مفهوم الحياة في القرآن والحديث، الدكتور محمد الأحمدي، دار السلام- القاهرة- الطبعة الأولى ٢٠١١.
- مفهوم التقوى في القرآن الكريم والحديث الشريف، الدكتور محمد البوزي، دار السلام- القاهرة- الطبعة الأولى ٢٠١١.
- سنة الخلفاء الراشدين بحث في المفهوم، د.زيد بوشعراء، دار السلام- القاهرة- الطبعة الأولى ٢٠١١.
- مفهوم النعمة في القرآن الكريم والحديث النبوي الشريف، الدكتور عبدالمجيد بن سعود، دار السلام- القاهرة- الطبعة الأولى ٢٠١١.
- دراسات مصطلحية، الدكتور الشاهد البوشيخي، دار السلام- القاهرة- الطبعة الأولى ٢٠١١.
- أعمال ندوة المعجم التاريخي للغة العربية: قضاياه النظرية، والمنهجية والتطبيقية، دار السلام- القاهرة- الطبعة الأولى ٢٠١١.
- مفهوم القطع والظن وأثره في الخلاف الأصولي، الدكتور: حميد الوافي، دار السلام- القاهرة- الطبعة الأولى ٢٠١١.

الهوامش

١ - البحث العلمي في التراث ومعضلة النص، ص، ٤: بتصرف.
٢ - نظرات في المسألة المصطلحية ص. ٣.
٣ - مشكلة المنهج في دراسة مصطلح النقد العربي القديم، ضمن ندوة «المصطلح النقدي وعلاقته بمختلف العلوم» ص،٢٠.
٤ - البحث العلمي في التراث ومعضلة النص،٤.
٥ - البحث العلمي في التراث ومعضلة النص.٤.
٦ - البحث العلمي في التراث ومعضلة النص.٢.

شيخ مشايخ المذهب المالكي بالمغرب لـ «الوعي الإسلامي»:

العلامة محمد التاويل: المزاوجة بين العقل والنقل أهم أسباب تمسك المغاربة بالمذهب المالكي

حوار: فيصل يوسف العلي
تصوير: هداية الله نثار أحمد

العلامة الشيخ محمد التاويل أكبر علماء المذهب المالكي بالمغرب، له إسهامات بارزة في الفقه وأصوله والدعوة وأحكامها، والفتوى المنضبطة بأحكام وأسس علمية رصينة.. صوت عال في الحق ومقصد من مقاصد طلاب العلم من شتى بقاع المعمورة.. تراث علمي وفير.. مكتوبًا ومسموعًا ومرئيًا.. «الوعي الإسلامي» التقته فكان هذا الحوار.

الأم اليهودية محرومة من الإرث.. والبنت لا حق لها فيه إذا تزوجت في حياة أبيها.. ويشتكون من ظلم الإسلام للمرأة في الميراث!

لكم دراسة موسعة حول المذهب المالكي وأصوله.. فهلّا كشفتم لنا أسباب تمسك المغاربة بهذا المذهب عبر سنين طويلة؟

اختار المغاربة والآباء والأجداد المذهب المالكي عن إيمان واقتناع وحجة وبرهان، ولم يبغوا به بديلًا منذ عرفوه، جمع شملهم ووحد كلمتهم وصان دولتهم وعصمهم من التفرق والاختلاف، بما يمتاز به من خصوصيات على صعيد أصول الفقه، وعلى صعيد الفقه نفسه، أما على مستوى أصول الفقه فيمتاز المذهب المالكي بوفرة مصادره وكثرة أصوله، بالإضافة إلى القواعد العامة المتفرعة عنها، والتي أنهاها بعض المالكية إلى ألف ومائتي قاعدة، تغطي جميع أبواب الفقه ومجالاته.

هذه الكثرة أغنت الفقه المالكي وأعطته قوة وحيوية، ووضعت بين أيدي علمائه من وسائل الاجتهاد وأدوات الاستنباط ما يؤهلهم لبلوغ درجة الاجتهاد، ويمكنهم من ممارسته ويسهل عليهم مهمته، وإذا كانت بعض المذاهب شاركت المذهب المالكي في بعض هذه الأصول، فإن ميزة الفقه المالكي تكمن في الأخذ بجميع هذه الأصول، بينما غيره لم يأخذ إلا ببعضها، وردَّ الباقي، بالإضافة إلى المزاوجة بين العقل والنقل والأثر والنظر وعدم الجمود على النقل، أو الانسياق وراءه، والتوسع في استثمار الأصول المتفق عليها توسعًا كبيرًا.

يعد كتابكم «لا ذكورية في الفقه» من أشمل ما كتب في مجال صيانة الإسلام للمرأة.. نريد أن نتصفحه مع القارئ الكريم سريعًا!

الكتاب يرد على شبهات من يدعي أن الفقه الإسلامي متحيز للرجل الظالم للمرأة! والحق أن الفقه لم يميز بين الرجل والمرأة إلا في مسائل معدودة، وأوضحنا في الكتاب الحكمة في كل مسألة منها بالتفصيل، مثلًا مسألة ميراث المرأة، بيّنا ما على الرجل من نفقة وما للمرأة من حق الاستقلالية بمالها، مما يجعل الرجل في النهاية هو المتضرر، وكل ما يرجوه الرجل من المرأة هو أن تتقبل هذا التفاوت في الإرث بروح إيمانية ونفس راضية مطمئنة، كما تقبل هو تلك التكاليف، وأن تكف عن الصياح والصراخ في وجه الإسلام واتهامه بالتحيز للذكر ضد الأنثى، وأن تعلم أن الأم اليهودية محرومة من الإرث، وأن البنت اليهودية لا حق لها في الميراث إذا تزوجت في حياة أبيها، وأن الابن البكر يعطى ضعفي الابن الثاني والثالث، ومع هذا التفاوت الواضح فإنهم ساكتون لا يشكون ولا يحتجون على ذلك، ولا نسمع أحدًا في الشرق ولا في الغرب يثير قضيتهم، وهو ما يدعو للتساؤل عن سر هذا التعاطف مع المرأة المسلمة في المطالبة بالمساواة في الإرث، وتحريضها على التمرد على دينها وشريعتها.

الفتاوى الشاذة تملأ الأجواء الآن في ظل عالم مفتوح.. فضائيات وانترنت، وقد كان لكم دور ملموس في التصدي لإحدى هذه الشطحات.. كيف ترون الحل العملي لهذه الظاهرة؟

التمسك بالفتاوى الشاذة التي يخالفها جمهور العلماء ليس من المصلحة إثارتها أمام الناس، لأنه إذا ما اتبعنا هذه الفتاوى سيسقط المجتمع في هاوية لا حدود لها، وسيُبنى المجتمع على أفكار شاذة، والمجتمع المبني على شذوذ في الفكر لن يكون قويًا ولا صالحًا.

والفقهاء يحذرون دائمًا من إصدار الفتاوى الشاذة والضعيفة، كما يحذرون من وقوع عالم الدين في الزلة، لأنه كما يقال «زلة العالم زلة العالَم»، ورغم هذا الاختلاف في الآراء فإنه يجب عدم التنابز والتخاصم بين العلماء، لأن القضية ليست شخصية بقدر ما هي مناقشة وسجال بين أفكار وآراء أولًا وأخيرًا.

الحديث عن الزكاة تكرر كثيرًا في قديم الكتب وحديثها.. فلماذا كان كتابكم «زكاة العين ومستجداتها»؟

الزكاة ركن من أركان الإسلام، وفريضة من فرائضه المعلومة من الدين بالضرورة، ووسيلة من وسائله الاقتصادية لتحقيق التضامن والتكافل الاجتماعي بين المسلمين، فرضها الله في العين والأنعام والحرث... إلا أن الحديث عن الزكاة الآن بات ضروريًا وملحًا، حيث انحسر إخراجها في فئة قليلة من التجار المتوسطين، والمزارعين البدويين، وغابت معاني الزكاة بوصفها فريضة شرعية، لها قوانينها وأنظمتها المجملة في القرآن والسنة، والمفصلة في كتب فقهاء الملة، وتسربت إلى هذه الفريضة بعض شوائب الأنظمة المالية المعاصرة، فذهب بعض الناس إلى الحديث عن الاستغناء عنها بالضريبة، وظن آخرون أنها أصل النظرية الاشتراكية، وفهم بعض آخر أن مقصود الزكاة إفقار الأغنياء لإغناء الفقراء، فأوجبوا الزكاة فيما لم تجب فيه زكاة بالنصوص الشرعية، وألغوا جملة من الشروط الفقهية والضوابط العلمية... إلى غير ذلك مما يكتب وينشر في هذه

الشيخ التاويل مع رئيس التحرير

الفترة الراهنة، وفي خضم ذلك، تأتي أهمية دراسة «زكاة العين ومستجداتها».

في ظل واقع الأمة المرير الآن.. هل ترون أن ما حل بها من تأخر وسير خلفَ الركب في ذيل الأمم عقاب من الله لها أن فرطت في دينه وشرعه؟

إن الله يعاقب من عباده من شاء بما يشاء وكيفما شاء، فالذنوب تجلب ولاشك المآسي على الناس، وكثرة الذنوب تفضي إلى نزول النِّقَم ورفع النِّعَم، ومن ذلك انحباس وانقطاع الغيث مدة من الزمن، وانتشار الجفاف الذي يهلك النسل والزرع.

استجابة الدعاء تستوجب توفر بعض الشروط الشرعية، ومنها اللقمة الحلال، فتحري الحلال في المأكل صار قليلًا في هذا الزمن، وكثير من الناس أضحوا يقبلون على أكل الحرام والتعامل بالحرام، والحديث الشريف ذكر الرجل يطيل السفر أشعث أغبر، ومطعمه حرام، وملبسه حرام، وغُذي بالحرام يمد يديه إلى السماء: يا رب، يا رب، فأنّى يستجاب له! قبل أن يضيف الشيخ أنه «من الصعب الجزم بأن الله قد يستجيب لمثل هؤلاء الذين يعتدون على حدود الله بالغوص في أكل الحرام والتعاطي معه».

العلامة التاويل في سطور

محمّد بن محمّد بن قاسم بن حسين التاويل، وهي أسرة من البادية شمال فاس من قبيلة بني زروان، من مواليد ١٩٣٤م في قرية عين باردة بالمغرب.

أخذ عن والده محمد بن قاسم، الذي كان إمامًا في القراءات القرآنية، وحفظ القرآن وهو صغير.

ورحل إلى فاس عام ١٩٤٧، وبدأ دراسة العلوم على يد الشيخ محمد العربي المساري الذي كان يدرس النحو (الآجرومية والألفية)، والفقه (المرشد المعين والمختصر والتحفة)، والفرائض وعلومًا أخرى، ثم التحقَ بجامع القرويين فدرس الفقه على العلامة أبي بكر جسوس، والعلامة امحمد العمراني الزرهوني، والعلامة عبدالكريم الداودي، رحمهم الله تعالى، وأخذ التفسير على العلامة العربي الشامي، وأخذ الحديث على العلامة عبدالعزيز بلخياط، وأخذ النحو على العلامة عبدالهادي اليعقوبي خبيزة، وأخذ الأصول على العلامة الحبيب المهاجي، وأخذ العقائد والمنطق على العلامة ابن عبدالقادر الصقلي، وأخذ البلاغة على العلامة امحمد العمراني، وأخذ الأدب على العلامة عبدالكريم العراقي، وأخذ التاريخ على الفقيه الغمري، وأخذ علومًا أخرى كثيرة عن غير هؤلاء.

حفظ ألفية ابن مالك في عشرة أيام بمعدل مائة بيت في اليوم، وحفظ جمع الجوامع لابن السبكي في الأصول والتلخيص للقزويني في البلاغة وغير ذلك... فلا غرو أن كان الأول في نتائج امتحاناته على جميعهم.

التعليم النظامي

الشيخ حفظه الله حاصل على العالميّة من جامع القرويين بفاس ١٩٥٧م، وتقاعد عام١٩٩٤م وحاصل على الدكتوراه من جامعة سيدي محمد بن عبدالله بفاس، وعمل أستاذًا للفقه والأصول بجامع القرويين، وعضو المجلس العلمي، وعضو اللجنة الملكية الاستشارية لمراجعة مدونة الأسرة.

أسرته

الشيخ متزوج من زوجة واحدة، وله خمسة أولاد ٣ ذكور وبنتان.

مؤلفاته

من مؤلفاته: الوصايا والتّنزيل في الفقه الإسلامي، وموقف الشريعة الإسلامية من اعتماد الخبرة الطبية، والبصمة الوراثية في إثبات النسب ونفيه، واللباب في شرح تحفة الطلاب، (نظمه وشرحه، في علم الفرائض)، وأخيرًا.. وقعت الواقعة وأبيح الربا: الفوائد البنكية، ومشكلة الفقر: الوقاية والعلاج في المنظور الإسلامي، وإشكالية الأموال المكتسبة مدة الزوجية: رؤية إسلامية، والوصية الواجبة في الفقه الإسلامي.

قراءة في أداء الناتج المحلي الإجمالي للعالم الإسلامي

سكانه ٢٣,٢٪ ومساهمتهم ٧,٧٪.. في ٢٠١٠

عبدالحافظ الصاوي -خبير اقتصادي

تضم منظمة التعاون الإسلامي ٥٧ دولة، موزعة على قارات أربع، تشغل سدس مساحة العالم، وتضم نحو ٢١,٩٪ من سكان العالم، وتتنوع مواردها الاقتصادية الزراعية والتعدينية والبشرية، وكذلك تجري بها العديد من الممرات المائية والتجارية الاستراتيجية، ولكن على الرغم من ذلك فإنها لا تمثل مجموعة اقتصادية متجانسة.

ونظرًا لغياب إطار الأمة في إدارة اقتصاديات العالم الإسلامي، فإننا أمام مجموعة من اقتصاديات دول إسلامية، وليس أمام اقتصاد للعالم الإسلامي، وتعد الدولة القطرية هي المعيار في التصنيف، باستثناء وجود بعض التجمعات الإقليمية، مثل تجمع مجلس التعاون الخليجي،

وإن كان لم تكتمل خطواته التكاملية على الصعيد الاقتصادي، وكذلك مشاركة بعض الدول الإسلامية في تجمعات اقتصادية أخرى، ولكن باعتبار انتمائها الجغرافي وليس الانتماء العقائدي، مثل تواجد كل من إندونيسيا وماليزيا في تجمع الآسيان.

ونظرًا لأهمية مؤشر أداء الناتج المحلي الإجمالي في تقييم الأداء الاقتصادي، فقد وجدنا أنه من الأهمية بمكان أن نلقي الضوء على أداء هذا المؤشر في عالمنا الإسلامي من خلال الإحصاءات المتوفرة من خلال إصدارات منظمة التعاون الإسلامي.

تطور الناتج المحلي للعالم الإسلامي

بلغ الناتج المحلي الإجمالي للعالم الإسلامي في عام ٢٠١٠ نحو ٤,٨ تريليون دولار، مقارنة بنحو ٦١,٧ تريليون دولار للناتج المحلي العالمي، وبما مثل نسبة ٧,٧٪، في حين كان الناتج المحلي للعالم الإسلامي في عام ٢٠٠٢ نحو ١,٥ تريليون دولار، وبما يمثل ٤,٥٪. وتعكس البيانات الخاصة بعامي المقارنة وجود زيادة في مقدار الناتج المحلي الإجمالي قدرها ٣,٣ تريليون دولار، كما أن نسبة ناتج العالم الإسلامي إلى الناتج العالمي قد زادت بنحو ٣,٢٪.

ومقارنة بالدول النامية نجد أن ناتج العالم الإسلامي يمثل ٢٣,٧٪ من إجمالي الناتج المحلي للدول النامية، في عام ٢٠١٠، بينما كانت هذه النسبة في عام ٢٠٠٢ نحو ٢٣,٤٪، أي أن مقدار الزيادة في النسبة بين المجموعتين خلال فترة المقارنة طفيفة، بنحو ٠,٣٪.

ومن خلال الأرقام المذكورة بالجدول رقم (١) نجد أن الهوة كبيرة بين مساهمة العالم الإسلامي والدول

الناتج المحلي الإجمالي لا يحتاج فقط إلى زيادة قيمته بل إلى إعادة هيكلته!

النامية من جانب، وبين الدول المتقدمة من جانب آخر، فالأرقام تعكس أن حصة الدول المتقدمة في الناتج المحلي العالمي في عام ٢٠١٠ تبلغ نحو ٤٠,٥ تريليون دولار، أي أكثر من ثلثي الناتج المحلي العالمي.

وثمة ملاحظة مهمة عندما نقارن بين حجم سكان العالم الإسلامي من سكان العالم، ومساهمته في الناتج المحلي الإجمالي. ففي الوقت الذي يمثل سكان العالم الإسلامي فيه ٢٣,٢ ٪ من سكان العالم، نجد أن مساهمته في الناتج المحلي العالمي لا تزيد عن ٧,٧٪. وهي مساهمة لا تتناسب أبدًا مع حجم عدد السكان. ومن هنا يتضح لنا الواقع المؤلم للفقر والبطالة في دول العالم الإسلامي.

هيكل الناتج المحلي

بالنظر إلى هيكل الناتج المحلي للعالم الإسلامي يتضح لنا معالم تراجع معدلات التنمية وكذلك قيمتها، فقطاع الزراعة يساهم فقط بنحو ١٠,٥٪ من الناتج المحلي الإجمالي في الوقت الذي يظن فيه البعض أن العالم الإسلامي عالم زراعي، بينما يساهم قطاع الصناعة بنحو ٤٥,٨ ٪ في الناتج المحلي، ومن الوهلة الأولى قد يفهم أن العالم الإسلامي قد خطا خطوات كبيرة في عالم الصناعة، بينما حقيقة الوضع تظهر عندما نجنب حصة الصناعات الاستخراجية من مساهمة قطاع الصناعة، حيث تساهم الصناعات التحويلية بنحو ١٤٪ فقط، والصناعات الاستخراجية تستحوذ على ٣١,٨٪. الأمر الآخر أن قطاع الخدمات يحتل المرتبة الثانية بعد الصناعة من حيث المساهمة في الناتج المحلي، ولكن مساهمة قطاع الخدمات في معظم دول العالم الإسلامي ليست ذات قيمة مضافة عالية، كما هو الحال في قطاعات الاتصالات والمعلومات والبحث والتطور، ولكن الجانب الأكبر من مساهمة قطاع الخدمات في العالم الإسلامي، شأن بقية الدول النامية، في قطاعات النقل والتعليم والصحة وتجارة التجزئة والجملة والتشييد.

ويظهر التفاوت في أداء الدول الإسلامية في حجم الناتج المحلي الإجمالي، فنحو عشر دول فقط تساهم بنحو ٦٨,٢٪، هذه الدول هي «إندونيسيا، تركيا، إيران، السعودية، مصر، باكستان، ماليزيا، نيجيريا، بنجلاديش، الجزائر»، بينما الـ ٤٧ دولة الأخرى تساهم بنحو ٣٠,٨٪. ويلاحظ أن من بين العشر الدول ذات النصيب الأكبر من الناتج المحلي الإجمالي خمس دول نفطية، ودولتين من الدول الأقل نموًا، وثلاث دول ذات نمو متوسط وهي: مصر، وتركيا، وماليزيا.

نصيب الفرد من الناتج

كما يلاحظ أن نصيب الفرد من الناتج المحلي الإجمالي في المتوسط أقل في العالم الإسلامي، مقارنة بالعالم والدول النامية، ففي حين يصل المتوسط العالمي ٩٠٦٩ دولارًا في العام، وفي الدول النامية ٣٤٨٩ دولارًا في العام، نجد أنه في العالم الإسلامي ٣١١٤ دولارًا في العام، وهذه نتيجة طبيعية نظرًا لصغر حجم الناتج المحلي للعالم الإسلامي مقارنة بعدد سكانه. فمتوسط نصيب الفرد من الناتج في العالم الإسلامي

هو الأقل بين المتوسط العالمي ومتوسط الدول النامية.

ويتفاوت متوسط نصيب الفرد من الناتج داخل العالم الإسلامي.. فالبيانات تشير إلى أن هذا المتوسط في الدول الأقل نموًا -٢٢ دولة إسلامية- نحو ٦٢٣ دولارًا في العام، وفي الدول متوسطة النمو -١٥ دولة- ٢٣٧٥ دولارًا في العام، أما المتوسط في الدول النفطية فيصل لنحو ٤٦٢٥ دولارًا في العام. هذه المتوسطات، أما الأرقام التفصيلية فتوضح وجود فجوة كبيرة في متوسط نصيب الفرد من الناتج بين دول العالم الإسلامي، فمثلًا أعلى متوسط في دولة قطر ٧٩ ألف دولار في العام، بينما يصل إلى أدنى المعدلات في سيراليون بنحو ٣٠٦ دولار في العام، أي أقل من دولار في اليوم، وهو معدل يقل عن خط الفقر العالمي المحدد بحجم إنفاق ١,٢٥ دولار في اليوم.

وبخصوص معدلات النمو للناتج المحلي، فنجد بيانات عام ٢٠١٠ تشير إلى بلوغ هذا المؤشر في العالم ٤,٦٪، وفي العالم النامي ٦,٨٪، وفي العالم الإسلامي ٤,٨٪. وتبقى مشكلة العالم الإسلامي وفق هذا المؤشر في أن معدلات النمو في الناتج لا تتناسب مع معدلات الزيادة السكانية، حيث تصل نسبة الزيادة السكانية للعالم الإسلامي في عام ٢٠١٠ نحو ٢٪، بينما النمو في الناتج ٤,٨٪، والمفترض ألا يقل معدل نمو الناتج عن ثلاثة أضعاف معدل النمو في الزيادة السكانية.

وتتفاوت نسب معدل نمو الناتج المحلي داخل دول العالم الإسلامي، شأن متوسط نصيب الفرد من الناتج المحلي، ففي الوقت الذي يصل فيه معدل النمو في دولة قطر ١٨,٥٪، نجد أن هذا المعدل في جزر القمر ١,٥٪.

جدول رقم (١)

الناتج المحلي للعالم الإسلامي مقارنة بالعالم والدول النامية بالأسعار الجارية

القيمة بالتريليون دولار

بيان	العالم	الدول النامية	العالم الإسلامي
٢٠٠٢	٣٢,٨	٦,٤	١,٥
٢٠٠٣	٣٦,٨	٦,٦	١,٧
٢٠٠٤	٤١,٤	٧,٤	٢,١
٢٠٠٥	٤٤,٦	٨,٨	٢,٥
٢٠٠٦	٤٨,١	١٠,٥	٢,٩
٢٠٠٧	٥٥,٣	١٥,٥	٣,٧
٢٠٠٨	٦١,٢	١٨,٩	٤,٦
٢٠٠٩	٥٧,٩	١٧,٨	٤,١
٢٠١٠	٦١,٧	٢٠,٢	٤,٨

المصدر: مركز الأبحاث الإحصائية والاقتصادية والاجتماعية والتدريب للدول الإسلامية، تركيا، التقرير الاقتصادي السنوي ٢٠٠٧ و٢٠١٠، للدول أعضاء منظمة المؤتمر الإسلامي.

ملاحظات مهمة

بعد هذا السرد التحليلي لواقع أداء الناتج المحلي الإجمالي للعالم الإسلامي، نجد أن هناك مجموعة من الملاحظات المهمة، لابد لصانع السياسة الاقتصادية بالدول الإسلامية أن يأخذها في الاعتبار، وهي:

١- يحتاج العالم الإسلامي إلى زيادات متتالية في حجم الناتج المحلي الإجمالي، وكذلك معدلات نمو الناتج بما يتلاءم مع معدلات الزيادة السكانية، بحيث لا يقل معدل النمو في الناتج عن ثلاثة أضعاف معدل نمو الزيادة السكانية.

٢- لا يحتاج الناتج المحلي الإجمالي فقط إلى زيادة قيمته أو معدلات نموه، ولكن يحتاج كذلك إلى إعادة هيكلته، لتصبح الصناعات التحويلية، وعالية القيمة المضافة، هي صاحبة النصيب الأكبر في هيكل الناتج المحلي. وتتضح أهمية هذا الأمر من خلال الإحصاءات التي تشير إلى أن نصيب العالم الإسلامي من الصادرات عالية التكنولوجيا قد بلغ نسبة ٢,٩٪ من إنتاج العالم من الصادرات عالية التكنولوجيا، وتتفرد ماليزيا في هذا الجانب لتساهم بنسبة ٧٥,٤٪ من حصة العالم الإسلامي، تليها إندونيسيا بنسبة ١٠,١٪، ثم كازاخستان ٤٪، ثم المغرب ٢,١٪.

٣- وبالتبعية فإن متوسط نصيب الفرد من الناتج المحلي الإجمالي منخفض في العالم الإسلامي، مقارنة بالعالم والدول النامية، وسوف ينعكس تحسن هذا المؤشر على تحسين معدلات الفقر في العالم الإسلامي، وبالتالي خروج عدد لا بأس به من الدول الأقل نموًا بالعالم الإسلامي من هذا التصنيف.

٤- تعكس طبيعة مساهمة دول العالم الإسلامي في تكوين ناتجه المحلي، تلك الصورة القائمة بين الدول المتقدمة والنامية على المستوى العالمي، إذ تتركز مساهمة عدة دول قليلة بحصة أكبر في قيمة الناتج المحلي، ومن هنا لابد من البحث عن وسائل وآليات لزيادة مساهمة بقية دول العالم الإسلامي في الناتج من حيث الحجم والقيمة.

صناعة الحلال وثقافة البدائل

صناعة الحلال أشمل بكثير من طريقة ذبح الحيوان والطير بهدف الإطعام، وأدق بكثير من كلمة تخرج من فمك فتصيب بها جارك، هي صناعة تغلف حياتنا وتتغلغل في نفوسنا، ونسأل بها ربنا الجنة وحسنت مرتفقًا. ما أطيب عيش متحري الحلال في كل حركاته وسكناته! وما أشقى حياة متتبع الشهوات والزلات! وما أحوجنا إلى إعادة النظر في سلوكنا اليومي واختباره في معمل النفس المطمئنة.. من هنا تفتح «الوعي الإسلامي» ملفًا من أدق الملفات وأشملها، ألا وهو «صناعة الحلال» تستعين عليه بجهد محمود نظمته وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية أخيرًا من خلال «مؤتمر الخليج الثاني لصناعة الحلال» بالتعاون مع معهد الكويت للأبحاث العلمية، لبيان معالم الشريعة، والسعي إلى إزالة الشبهات عما أحله الله تعالى أو حرمه.

يتناول الملف هذا الخيط الدقيق من بدايته إلى نهايته.. كيف تكسب مالك من حلال وكيف تنفقه في حلال؟ و هل تتحرى الحلال في مأكلك ومشربك أم تأكل كما يأكل المغضوب عليهم أو الضالون أو الجاهلون بإرشادات صانع جسدك ونفسك والعالمين؟ ولماذا لا تدقق في تربية أبنائك على الحلال، فتتساهل في غرس ما يضرهم ولا ينفعهم.. إن الأمر يبدو بسيطا غاية البساطة.. افعل ما شئت كما تدين تدان.. لكنه أيضًا يتطلب تمرينًا في البداية، وأخوة صالحة تعين على الطاعة، وصبرًا جميلًا للبعد دومًا عن مواطن الزلل، والانشغال بما هو طيب، وغلق قنوات كل ما هو خبيث.. ألم تحف الجنة بالمكاره، وتحف النار بالشهوات؟

التحرير

أوصى بإنشاء هيئة تعتمد شهادات الحـــــ
وزارة الأوقاف أقامت «مـــــ

عامر أحمد عامر

أقامت وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية بدولة الكويت «مؤتمر الخليج الثاني لصناعة الحلال» بالتعاون مع معهد الكويت للأبحاث العلمية في الفترة من ٢٢ – ٢٤ يناير ٢٠١٣، قيامًا بالدور المنوط بالوزارة في بيان معالم الشريعة الغراء، وتوضيح سبل المعرفة الإسلامية، والسعي إلى إزالة الشبهات والغشاوة عما أحله الله تعالى أو حرمه.

وكان من أهم المحاور التي ناقشها المؤتمر تشخيص واقع صناعة الحلال وخدماته، ونقاط التوافق والاختلاف ومتطلبات جهات الاعتماد والدول، وواقع المكونات الأولية في الأغذية والأدوية ومستحضرات التجميل، وحلول تقوي من نموذج الغذاء الحلال، والتتبع في منتجات الحلال: تحد جديد وضرورة في نموذج الحلال، ونقاط التحكم الحرجة في المنتجات الغذائية الحلال تتضمن التدقيق بمراحله القبلية والبعدية.

حلقة نقاشية

وأقيم على هامش المؤتمر حلقة نقاشية حملت عنوان «حوار مباشر بين تجار ومصنعي اللحوم والجهات الرقابية على الأغذية في دول مجلس التعاون لدول الخليج العربية لتطوير إدارة فعالة لصناعة الحلال» استهلها خالد العوضي من بلدية دولة الإمارات العربية المتحدة بقوله: إن العمل المتكامل لابد أن يشمل جميع الجهات المتعلقة بهذا العمل مما يتطلب منا جميعًا العمل المشترك لإنجاح المساعي والوصول إلى الهدف المطلوب وهو شهادة الحلال التي ننشدها لكل ما نأكله.

كما شهد المؤتمر فعاليات عدة تحت عنوان: العامل الأمني كضرورة في نموذج الحلال. استهلها ممثل لجنة متابعة الحلال، المملكة المتحدة مفتي محمد زبير بت بقوله: إن كثيرًا من المسلمين يعتقدون أن الرقابة على الأغذية الحلال تقتصر فحسب على الخمر والخنزير،

ـــــلال وتعزيز تبادل الخبرات بين الدول الإسلامية

ـــــؤتمر الخليج الثاني لصناعة الحلال »

لكن المرء يلاحظ حدوث تطور مهم في السنوات العشر الماضية فيما يتعلق بالرقابة على الأغذية الحلال، ويرجع السبب في ذلك إلى الفضائح التي شهدتها صناعة الأغذية في أوروبا، وتطور أسلوب المعيشة في الدول الإسلامية، والزيادة في عدد السياح المسلمين في الدول الغربية، وتطور صناعة الأغذية، والاستخدام لمواد خام وعمليات إنتاج محرمة في إنتاجها للأغذية الحلال. وتحاول الحكومات والمنظمات المختلفة في جميع الدول الإسلامية تقريبًا طوال سنوات مواكبة هذه المستجدات السريعة. ولهذا فهي تطور معايير للحلال ومعايير للاختبارات. ويفسر ذلك المستجدات التي حدثت ويسلط الضوء على الجوانب السلبية ومثالب هذا المجال.

القرآن والسنة

في البداية قال نائب المدير من جامعة بوتر في ماليزيا د.شحيمي مصطفى: إن صناعة الحلال تمر في مختلف أنحاء العالم بفترة من النمو والتطور غير العادي. وتشمل هذه الصناعة المنتجات الزراعية ومنتجات مساعدات الترشيح ومستحضرات التجميل والعناية الشخصية، والمضافات الغذائية، والمكونات الغذائية، والمنتجات الغذائية، والمشروبات، والمواد الكيميائية، والتعبئة والآلات، والمطاعم، والشحن والإمدادات، والمنتجات الصحية والطبية، والمنتجات المنزلية، والمنتجات الصناعية والكيماوية، والملابس والمنسوجات الإسلامية وغيرها من المنتجات (www. Halalexporter.com، تم الدخول عليه في ٣ ديسمبر ٢٠١٢). ومع نمو صناعات وأسواق الحلال وتجاوزها لحدود العالم الإسلامي، أصبحت مصداقية المنتجات الحلال التي تباع في البازارات وأسواق المنتجات الطازجة ومحلات السوبرماركت والفنادق ومطاعم الوجبات السريعة هي الأخرى محل تساؤل من جانب المسلمين (ليفر وميل، ٢٠١٢). وتتعلق الحاجة إلى الاختبارات المعملية بمصداقية الغذاء وغشه، ما أدى إلى زيادة الوعي بتركيب المنتجات الغذائية. إذ أن هوية ومصدر المكونات التي تدخل في تصنيع المخاليط المصنعة أو المركبة لا تكون ظاهرة بسهولة دائمًا. ويذكر لايدان (٢٠١١) أنه لا يمكن أن نضمن أن منتجًا معينًا حاصلًا على شهادة الحلال، حلال بالفعل دون اختباره في مختبر للحلال. ومن هنا، فمن الأهمية بمكان التحقق من سلامة المكونات التي دخلت في تصنيع هذا المنتج، وأنها من مصادر مقبولة للمستهلكين المسلمين. وقد أسفرت بحوث المؤتمر ومناقشات المشاركين عن جملة من التوصيات كان أبرزها إنشاء هيئة تعتمد شهادت الحلال للمراكز والمؤسسات الإسلامية العاملة في صناعة الحلال وخدماته وفق نموذج للحلال، والعمل على إيجاد دليل إرشادي في صناعة الحلال وخدماته متفق عليه لتسهيل مهمة صناعة الحلال وخدماته، وذلك نظرًا لتعدد مواصفات ومقاييس الحلال، وكذلك العمل على إعداد دراسات علمية متخصصة من قبل علماء مسلمين تقنيين ومجامع فقهية وخبراء للبحث في النوازل، مثل موضوع وسائل التخدير قبل وبعد الذبح وتأثيرها على الحيوان وصحة الإنسان، وتشجيع تأسيس مراكز للبحث العلمي والتطوير في مجال الحلال لكي تكون سندًا علميًا وشرعيًا لهيئات تقديم خدمات الحلال.

كما أوصى المشاركون في المؤتمر هيئات خدمات الحلال بإنشاء هيئة رقابية علمية وشرعية تكون مرجعًا لها في اعتماد شهادات الحلال، وطالبوا اللجنة العلمية في المؤتمر بمخاطبة بعض الجامعات المعنية ومراكز البحوث بضرورة طرح دراسات أكاديمية في المسائل المستجدة في صناعة الحلال وخدماته، وإقامة ورش عمل ودورات تدريبية للعاملين في مراكز إصدار شهادات الحلال، تهدف إلى زيادة الوعي وتثقيفهم بأمور الحلال العلمية والتطبيقية والشرعية، وإنشاء ودعم جمعيات حماية المستهلك المسلم في الدول التي تتواجد فيها أقليات مسلمة.

وطالبوا كذلك وزارات الأوقاف والشؤون الإسلامية أو من يقوم مقامها بتولي مهمة مراجعة شهادات الحلال المرافقة مع منتجات الحلال قبل السماح بدخولها البلاد الإسلامية، موصين بتعزيز تبادل الخبرات بين الدول الإسلامية في مجال الحلال.

استضافته «الوعي الإسلامي» كأحد أبرز المتخصصين في «الحلال»:
المزيدي محذرا من الأكل على طريقة اللادينيين: الذبح.. رأفة

حوار: علاء عبدالفتاح

متخصص في بحث الحلال.. أنفق جل وقته و جهده في تتبع ما يحدث حول العالم في هذا الشأن الحيوي.. عمل موظفا في بلدية الكويت وكان يركز في عمله على الذبائح واللحوم المستوردة، ومصداقية شهادات الذبح الإسلامي المرفقة معها.. فاز بجائزة منتدى الحلال العالمي World Halal Forum.. اتصالاته بالعلماء الشرعيين المتخصصين في الحلال واسعة، وتتيح له رؤية دينية عميقة. كما أنه بحكم عمله كباحث في دائرة التكنولوجيا الحيوية بمعهد الكويت للأبحاث العلمية محكوم بقواعد العلم الدقيقة ونظرياته، وحاليًا يقوم بإعطاء دورات تدريبية حول السلامة الغذائية، ونظم الحلال للقطاع الغذائي، سواء في داخل دولة الكويت أو في خارجها، ومن هنا يكتسب اللقاء بالدكتور هاني منصور المزيدي أهميته، ومن هنا دعته «الوعي الإسلامي» إلى اللقاء في مقر المجلة للتحاور معه، وعلى الرغم من أن الحوار امتد لأكثر من ساعتين، وعلى الرغم من أننا شرقنا وغربنا معه هنا وهناك؛ فإن أوراق الدكتور هاني العلمية التي أهدانا إياها كانت هي الأصل في المعلومات التي حصلنا عليها بشكل مرتب ومدقق.

يبدأ الرجل حديثه بالتأكيد على أن التوجيه الديني مرتبط بسلامة وصحة الإنسان والإحسان إلى الحيوان معًا. وليس شرطًا على متبعي الإسلام والأديان السماوية إثبات أن الجوانب الصحية تفسرها المحظورات الدينية ثم يتوقف عند ما يسميها بالمحاور الرئيسية التي يجب أن يُتعامل معها عند ذبح الحيوان والطير، فيقول: هناك ثلاثة محاور رئيسية علينا مراعاتها عند ذبح الحيوان والطير بهدف الإطعام وهي: المتطلبات الدينية، وسلامة وصحة الإنسان، والإحسان إلى الحيوان. ويضيف المزيدي:

ركزت المتطلبات الدينية مثل (الحلال) وبشكل كبير على سلامة الإنسان أثناء الذبح، وعلى صحته من خلال إتباع نظام غذائي سليم، بل وعلى أسلوبه في الحصول على طعامه من الحيوانات والطيور بحيث يكون إنسانيًا، (الإحسان) يجب على الإنسان أن لا يضع قضاياه النبيلة مثل إطعام البشرية كذريعة لتجاهل الرفق والإحسان إلى الحيوان، ولقد بينت الديانات البارزة وبشكل واضح أهمية صحة الإنسان وسلامته، وعلى الإحسان للحيوان، دعونا نأخذ بعض الأمثلة.

من القرآن والسنة

وبينّ المزيدي كيف أن القرآن الكريم، والسنة المطهرة عكسا توجيهات رب العالمين في تحقيق سلامة وصحة الإنسان، والإحسان إلى الحيوان فهناك: توجيهات تتعلق بذبح الأضاحي، (في القرآن الكريم (البقرة: ١٧٢)، (المائدة:٣)، (المائدة:٥)، (المائدة:٩٠). وفيه أيضًا توجيهات تتعلق بمصادر الأطعمة (المائدة: ٥). وتوجيهات تتعلق بتحريم أكل الدم (القرآن الكريم (الأنعام:١٤٥)، (البقرة:١٧٣)، (المائدة:٣)، (النحل:١١٥). وتوجيهات تتعلق بأكل الحيوان الذي مات أو قتل من قبل حيوان آخر (القرآن الكريم (المائدة: ٣).

قال الله تعالى: ﴿يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُلُوا مِن طَيِّبَاتِ مَا رَزَقْنَاكُمْ...﴾ (البقرة:١٧٢). وقال﴿حُرِّمَتْ عَلَيْكُمُ الْمَيْتَةُ وَالدَّمُ وَلَحْمُ الْخِنزِيرِ وَمَا أُهِلَّ لِغَيْرِ اللَّهِ بِهِ وَالْمُنْخَنِقَةُ وَالْمَوْقُوذَةُ وَالْمُتَرَدِّيَةُ وَالنَّطِيحَةُ وَمَا أَكَلَ السَّبُعُ إِلاَّ مَا ذَكَّيْتُمْ وَمَا ذُبِحَ عَلَى النُّصُبِ...﴾ (المائدة: ٣). وقال: ﴿الْيَوْمَ أُحِلَّ لَكُمُ الطَّيِّبَاتُ وَطَعَامُ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ حِلٌّ لَّكُمْ وَطَعَامُكُمْ حِلٌّ لَّهُمْ...﴾ (المائدة:٥).

وفي الحديث الشريف، في صحيحي البخاري ومسلم أن رسول الله ﷺ

قال: «إن الحلال بيّن وإن الحرام بيّن، وبينهما مشتبهات لا يعلمهن كثير من الناس، فمن اتقى الشبهات، استبرأ لدينه وعرضه، ومن وقع في الشبهات وقع في الحرام، كالراعي يرعى حول الحمى يوشك أن يرتع فيه، ألا وإن لكل ملك حمى، ألا وإن حمى الله محارمه، ألا وإن في الجسد مضغة إذا صلحت صلح الجسد كله، وإذا فسدت فسد الجسد كله، ألا وهي القلب».

أكل الحرام

وما الحكمة التي توصل العلم إليها من تحريم أكل الدم؟

يقول: من بين الأسباب العديدة: أن الدم يحتوي على مركبات ضارة، وعلى بروتينات معقدة من الصعب جدًا هضمها، وغير مقبولة بالنسبة للمعدة، وإذا أكل الدم، فإنه يؤثر على سلوك الإنسان نفسه (على سبيل المثال سوف تجعله أقل رحمة مع فصيلته البشرية) وعلينا ملاحظة أن الدم المتدفق أو الحر هو الدم المنهي عنه (ويسمى بالدم المسفوح)، وليس الدم المحبوس داخل اللحم (الدم المتبقي). يقول الله تعالى: ﴿قُلْ أَغَيْرَ اللَّهِ أَتَّخِذُ وَلِيًّا فَاطِرِ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ وَهُوَ يُطْعِمُ وَلاَ يُطْعَمُ قُلْ إِنِّي أُمِرْتُ أَنْ أَكُونَ أَوَّلَ مَنْ أَسْلَمَ وَلاَ تَكُونَنَّ مِنَ الْمُشْرِكِينَ﴾. (الأنعام -١٤).

في اليهودية والمسيحية

ويوضح الدكتور المزيدي حتى في الديانة اليهودية، يحرم أكل الدم (التوراة: سفر اللاويين ٧: ٢٦-٢٧، واللاويين ١٧: ١٠-١٤) . ففي فصل ١٧ من سفر اللاويين سوف نجد أربعة أقسام تتعامل مع هذه المسألة: توجيهات تتعلق بذبح الأضاحي، (التوراة ٧٧. ٣-٧)، وتوجيهات تتعلق بمصادر الأطعمة (التوراة ٧٧. ٨-٩)، وتوجيهات تتعلق بتحريم أكل الدم

عند ذبح الحيوان والطير بهدف الإطعام علينا مراعاة: المتطلبات الدينية، وصحة الإنسان والإحسان إلى الحيوان

(التوراة ٧٧. ١٠-١٣)، وأخرى تتعلق بأكل الحيوان الذي مات أو قتل من قبل حيوان آخر (التوراة ٧٧. ١٤-١٦). وفي الديانة المسيحية أيضًا، يحرم أكل الدم (الإنجيل: سفر التكوين ٩ الآية ٣): لحمًا بحياته دمه لا تأكلوه: الله سمح بأكل اللحوم ولكنه يحذر من أكلها بدمائها. وفي الإنجيل يحرم تناول لحم الخنزير، وهذا ما نجده في كتاب: سفر إشعياء، العهد القديم (٦٦) الآية ١٧: الذين يقدسون ويطهرون أنفسهم في الجنات وراء واحد في الوسط آكلين لحم الخنزير والرجس والجرذ يفنون معًا يقول الرب.

الطرق اللادينية

من باب الثقافة العامة نود لو نتعرف على الطرق اللادينية في التعامل مع الحيوان بهدف الإطعام؟

يقول: يستوجب القانون في أوروبا أن تخضع جميع الحيوانات والطيور قبل ذبحها لنوع من أنواع الصعق ما قبل الذبح، وهي أساليب في ظنهم تجعل الحيوان أو الطير مخدرًا وفاقدًا للوعي عند الذبح حتى لا يحس بالألم، وقد يخضعونها للموت قبل الذبح١ -Stun to-Kill.

ومن أنواع الصعق قبل الذبح: ١) مسدس الطلقة المسترجعة، ٢) الصعق الكهربائي، ٣) الخنق بالغاز.

بالنسبة للحيوانات الكبيرة: الماشية والغزلان، وفي بعض الأحيان الأغنام: يتم صعقها عن طريق إطلاق النار على رؤوسها بواسطة رصاصة تقليدية، أو قضيب فولاذي من الصلب (طريقة الطلقة على الرأس) تخترق الرصاصة أو القضيب الفولاذي الجمجمة فتجرح الدماغ بشكل دائم، وتسبب الموت في بعض الأحيان. بعد ذلك وعقب تكبيل أرجله الخلفية، ترفع جثة الحيوان إلى الأعلى، بعدها يقطع الحلقوم، ويسمح للجثة بتفريغ دمها.

وبالنسبة للحيوانات الصغيرة كالأغنام والماعز فغالبًا ما تصعق باستخدام فرجار كهربائي كبير تمسك برأس الحيوان لتمرير تيار كهربائي على شكل صدمة كهربائية، بعدها يقطع حلقوم الحيوان، أو يطعن في الصدر، لجعله ينزف ما فيه من دم.

وتعلق الطيور رأسًا على عقب، وبعد ذلك تتلقى صدمة كهربائية عن طريق غمر رؤوسها في حوض ماء مكهرب يمرر التيار الكهربائي من خلال رؤوسها. بعد أن تصعق الطيور، تذبح من حلقومها، ويسمح لها بالنزف، وأحيانًا يتم صعق الطيور باستخدام غاز ثاني أكسيد الكربون ممزوجًا بالأرجون بحجة جعل الطيور تفقد وعيها! ولكلمة- تفقد وعيها- تأثير سحري على المستهلك. هل فعلاً تريد صناعة اللحوم بأن تجعل الحيوانات أو الطيور بلا وعي وقت الذبح؟ وهل يهمها ذلك؟ أو أنها تريد أن تجعلها بلا حراك وقت الذبح لزيادة سرعة تدفق خطوط التصنيع. لقد استغلوا «الرفق بالحيوان» ذريعة لزيادة الربح.

أضرار الصعق

لكن لماذا يحظر استعمال جميع طرق الصعق قبل الذبح؟

يقول: لأنها تجعل الحيوان أو الطير مصابًا إصابة حرجة دائمة وخطيرة لا رجعة فيها، أو في كثير من الأحيان تكون وقت الذبح بحياة غير مستقرة (إن لم تكن ميتة) مما يجعلها ليست

حلالاً، والصعق وسيلة إذا استعملت قبل الذبح تجعل الحيوان أو الطير بلا حراك بعد الذبح، وفي بعض الأحيان مثل الصعق الكهربائي للدجاج على الترددات العالية جدًا تجعله أيضًا بلا تنفس. وجميع الأبقار في الغرب غالبًا ما تصعق على رؤوسها بمسدس الطلقة الفولاذية المسترجعة، وإذا ما تركت بدون ذبح لن تعود مرة أخرى إلى الحياة (أي أنها موقوذة). متغيرات كثيرة تقرر نوعية الصعق (من حيث الموت أو الحياة)، وهي الأكثر أهمية: مزيج من التردد (هرتز)، والتيار (ملي أمبير) وفقًا لذلك، فإن ذبائح الدجاج، والتي تأتي إلى جميع دول مجلس التعاون الخليجي ودول الشرق الأوسط من أوروبا وأمريكا والبرازيل، والتي ترافقها شهادة حلال وصعقت فإن نسبة الوفيات بينها تتراوح بين ٦١٪ : ٩٩٪، هناك متغيرات أخرى يجب أن تؤخذ بعين الاعتبار تؤثر على وفاة الدجاج الحي وقت الصعق بالكهرباء وهي: ١) قوة الجهد الكهربائي للصاعق، ٢) الفترة الزمنية للصعقة الكهربائية، ٣) وزن الطير، ٤) مقاومة الطير للصعقة الكهربائية، ٥) كمية إجهاد الطير، ٦) كمية الريش الذي يغطي جسم الطير.

في فرنسا، وكذلك في العديد من الدول الأوروبية تصعق الطيور حتى الموت على الترددات المنخفضة (٥٠ هيرتز)، وأيضًا فإن متطلبات التشريع الأوروبي الجديد ٢٠٠٩/١٠٩٩ للصعق الكهربائي في الذبح هو الصدمة القاتلة (الصعق حتى الموت)! ونظريًا، يسبب الصعق انخفاض كمية النزف الدموي بعد الذبح، ومع ذلك يجد الباحث أعمالاً منشورة تشير إلى عكس ذلك. ومن المفيد ذكره، أنه في عام ٢٠١١ ومن جامعة الجزيرة في السودان، أجرى مجموعة من الباحثين مشروعًا بحثيًا حول تأثير وسائل الذبح على جودة وفترة صلاحية لحوم الدجاج. وكانت النتائج بشكل كامل تدعم الذبح الإسلامي التقليدي أي: «الذبح الحلال» ونتائج البحث تدعو إلى حظر استعمال وسائل الصعق قبل الذبح.

في الدين الحنيف
وماذا جاء في الدين الحنيف بشأن ذلك؟

يقول المزيدي: نجد الحكم في الموطأ: قال الإمام مالك (رحمه الله): في حالات الموقوذة وحالات مماثلة، إذا كان الحيوان أو الطير لا يمكن أن يعيش معها (أي بعد ضربها)، فإنه لا يجوز أكل لحمها حتى لو تم ذبحها قبل الموت، ووضع الإمام مالك شرطان لتحريم الذبيحة: إذا كان الحيوان أو الطير وقت الذبح لا يتنفس ولا يضطرب، فإن لحمها بعد الذبح لا يؤكل.

وقد ركز حديث النبي محمد ﷺ على نمط النزف بدلاً من كمية الدم التي تخرج وقت القطع الفعلي للشرايين. ونحن نعتقد أن نمط النزف وقت الذبح له تأثير على تنقية الذبيحة من الدم الخبيث لأجزاء الحيوان المختلفة خاصة لحوم العضلات.

فعن رافع بن خديج رضي الله عنه: عن النبي ﷺ قال: «ما أنهر الدم وذكر اسم الله عليه فكل، ليس السن والظفر، أما السن فعظم، وأما الظفر فمدي الحبش» متفق عليه. إذن نزف الدم كالنهر هو نمط النزف الذي يجب أن يحدث، ويحدث فقط عندما لا نستخدم الصعق قبل الذبح.

إن نمط النزف في حالة استخدام الصعق قبل الذبح هو على شكل صبات دم متقطعة أو كبات وليس متدفقًا كالنهر.

الذبح رأفة
لكن كيف نربط بين الذبح الحلال و الرأفة بالحيوان؟

يجيب د. هاني بقوله: عندما يتم إجراء شق في عنق الحيوان حسب طريقة الحلال، فإنه يقطع أجهزة رئيسية في مدة الثانية هي: الشرايين والأوردة، مما يتسبب في حدوث انخفاض كبير وفوري في ضغط الدم خاصة في منطقة الدماغ، وعلى أثر الانهيار الدراماتيكي المفاجئ والسريع على الدماغ؛ يفقد الحيوان الوعي في غضون ثوان، ففي لحظة فقدان عملية تدفق الدم إلى الدماغ يتوقف كل الإحساس بالوعي، ولا يمكن أن يفيق الحيوان مرة أخرى من حالة اللاوعي، وهذه الأوقات تختلف لكل حيوان: ١٥-٢٠ ثانية تقريبًا للدجاج، وتقريبًا ٥-٧ ثانية على لحوم الضأن؛ وتقريبًا ٢٥-٥٠ ثانية للأبقار.

لذا، فإن الذبح الديني كما هو موصوف في مراجع الحلال يوفر تخديرًا فوريًا لا رجعة فيه، ويتم ذبح الحيوان دون ألم وبكل إحسان.

استنزاف الدم

وهل يتم عند الذبح المباشر استنزاف كل الدم السائل في الدورة الدموية بخلاف الذبح بعد الصعق؟ يقول: من الواضح أن الدم يتواجد في دائرة مغلقة، ويمكن أن يسمح له بالخروج فقط عن طريق قطع الأوعية الدموية. إذن لا بد من إحداث شق في الجلد المغطي للأوعية، وكلما كانت الأوعية الدموية أكبر، وكان أيضًا عددها من حيث القطع أكثر وجعلت مفتوحة، كانت كمية الدم التي تخرج وتستنزف من خلالها أكثر. ومن الواضح أيضًا أن أفضل مكان إلى قطع هذه الأوعية هو العنق (تشريحيًا) حيث يوجد فيها أربع أوردة كبيرة يمكن الوصول إليها، ومكانها ليس بعيدًا عن الجلد. ومن الواضح أيضًا أنه كلما زادت الفترة الزمنية لدقات القلب من لحظة قطع الأوعية وجعلها مفتوحة، وكانت دقات القلب قوية، كان فقدان الدم أكبر. وعلى العكس فإن الحيوان الذي هو نصف ميت سينزف فقط نصف الوقت. ومن المفهوم أيضًا أنه كلما كان شفط الرئتين أقوى على هيئة

تنفس سريع وعميق كانت كمية الدم التي يشفطها القلب من المحيط الخارجي أكبر، وفي المقابل سيضخ الدم بقوة إلى خارج الجسم، ويضمن التنفس السريع أيضًا كمية كافية من الأوكسجين للأنسجة، ويمنع نقصه حيث تؤثر كميته على تركيز أيون الهيدروجين (PH) للأنسجة. وتركيز أيون الهيدروجين للدم مهم جدًا في استخراج الدم من الأنسجة، ويؤثر على جودة حفظ اللحوم، ومن المعروف أيضًا أن ضغط العضلات على الأوعية الدموية ضروري لتدفق آخر قطرة دم. كل هذه العوامل تعمل فقط عندما تقطع الأوعية الدموية في الرقبة والحيوان في حالة طبيعية وفي حالة وعي تام ويستطرد.

ولعلماء علم وظائف الحيوان موقف إيجابي من الذبح الديني الفعال الذي يسبب بالقطع الوريدي صدمة إدماء نزيفي ينتج عن هذا القطع ضغط سلبي للدم، حيث ينجذب كل الدم السائل في الجسم إلى الدورة الدموية، ويهرب من خلال مكان قطع الأوعية إلى الخارج، في حين أن العكس يحدث عندما يتم صعق الحيوانات أولا.

مقارنة سريعة

لكن البعض يتحدث عن ألم الحيوان بسبب الذبح بدون صعق أو فقد للوعي، فبماذا ترد عليهم؟

يقول: يمكن التأكد من ألم الذبح من خلال النظر إلى آلام عملية مماثلة كم ستكون مؤلمة إذا لحقت بنا، وذلك في ضوء القواعد التشريحية والفسيولوجية للإحساس بالألم. وتنشأ محفزات الألم من الجلد ومن الأجزاء العميقة للجسم، والتي في النهاية يدركها الدماغ. من وجهة الألم علينا أن ننظر إلى: ١. القطع في الرقبة، ٢. النزف، ٣. التشنجات.

ومن المعروف عمومًا أننا لا نشعر بالألم عندما نحدث قطعًا في أنفسنا عن طريق الخطأ بشفرة حادة جديدة إلا بعد حدوث الجرح، عندها يسترعي النزيف انتباهنا، وبالمثل القطع السريع لحظة حدوثه على جلد الحيوان يكون غير محسوس.

ونحن نعلم جيدًا الفرق بين الحلاقة الناعمة السلسة مع شفرة جديدة، ومع الحلاقة المدمية مع شفرة متبلدة قديمة تكرر استعمالها. وبالتالي فمن الضروري أن تكون السكين حادة، وفي الحيوان يكون القطع في الرقبة للأوعية الدموية لأربعة الرئيسية، ومن خلال هذه العملية يتم وبشكل متدفق وسريع فقدان الكثير من الدم، وينتج عنه إغماء سريع وغير محسوس للحيوان، وبإتباع هذه العملية سيلغى الإحساس بالألم في المركز الحسي للدماغ. أما إذا كان موقع القطع في مكان بعيد عن تواجد الأوعية الدموية الكبرى فإنه سيكون مؤلمًا. لهذا السبب، فإن القطع من خلف الرقبة ومن ثم توسع نطاقه ليشمل الأوعية الدموية في الجزء الأمامي من الرقبة، يعد ذبحًا بغيضًا ومؤلمًا، ويجب أن يبقى الحبل الشوكي والدماغ وقت الذبح في حالة نشطة، ولذلك من مساوئ الذبح الآلي أنه يقطع العمود الفقري، ويوقف الجهاز العصبي.

دليل خدمات الحلال

لدى الدكتور هاني المزيدي كتاب مكون من مجلدين يضم أوراقًا رسمية تخص خدمات الحلال للفترة بين ١٩٧٩ وحتى ٢٠٠٩، واسمه «دليل الأوراق الرسمية فيما يتعلق بالأغذية والذبح حسب الشريعة الإسلامية» وهو كتاب موجه للجهات الرسمية وللعاملين في خدمات الحلال، وفيه أيضًا مقتطفات من بعض مؤلفاته التي تغطي جوانب الرقابة الشرعية على الأغذية والأدوية والمواد الاستهلاكية ومستحضرات التجميل مثل «المرشد العملي لسلامة الأغذية» والمنشور في سنة ٢٠٠٢. والكتاب يوثق خدمات الحلال خلال عدة عقود، ليسهل تتبع ماضيه. وأصل فكرة التجميع – بحسب المزيدي – للشيخ نادر عبدالعزيز النوري. ويمكن للمهتمين في مجال الحلال التواصل مع الدكتور على البريد الإلكتروني الخاص به وهو mazeedi@hotmail.com.

المزيدي في سطور

يقول الدكتور هاني المزيدي عن نفسه:

ولدت في الكويت في عام ١٩٥٤، ودرست فيها حتى المرحلة الثانوية وفي عام ١٩٧٢ ذهبت إلى الولايات المتحدة الأمريكية للالتحاق بجامعة ساوث داكوتا الحكومية، وتخصصت في مجال الصناعات الغذائية. وفي عام ١٩٧٩ انضممت إلى بلدية الكويت كمفتش أغذية، وبعدها عينت مراقبًا عامًا على الأغذية المستوردة بجميع منافذها الجوية والبرية والبحرية، وفي عام ١٩٨٤ ذهبت إلى المملكة المتحدة وحصلت في عام ١٩٩٢ على شهادة الدكتوراه من جامعة لندن حول مادة الجيلاتين الغذائية. ومنذ عام ١٩٩٣ أعمل في معهد الكويت للأبحاث العلمية في برنامج الغذاء، وهو برنامج تابع لإدارة التكنولوجيا الحيوية تحت إدارة الدكتور يوسف أحمد الشايجي، أتعاون مع زملائي في تنفيذ بعض المشاريع البحثية العلمية تتعلق بالملوثات وكيفية الكشف عنها.

وأول تجربة لي فيما يخص الطعام الحلال كانت ذلك في صيف عام ١٩٧٢ في مدينة بافالو في ولاية نيويورك الأمريكية عندما حذرني رجل باكستاني من وجود مشتقات خنزيرية في أنواع معينة من البسكويت، وكان عمري حينها ١٨ سنة ومنذ ذلك الحين زاد اهتمامي في الدراسة والبحث عن طبيعة المكونات الغذائية.

صناعة الحلال وثقافة البدائل

السنوسي محمد السنوسي
كاتب صحافي - مصر

برز مصطلح «الحلال» للدلالة على حاجة الأقليات الإسلامية في الغرب للابتعاد عن أكل الخنازير التي تعد وجبةً أساسيةً هناك،فظهرت تجارة اللحوم التي يجوز أكلها شرعًا والمذبوحة على الطريقة الإسلامية، فيما يعرف بـ «اللحوم الحلال»، حتى تطور الأمر إلى صناعة متكاملة ممتدة، ومطاعم مخصصة، لذلك تجد رواجًا كبيرًا بين هذه الأقليات.
وهذا الأمر يصح أن يكون مدخلاً لكيفية التعامل بوجه عام حين يكون المسلم في بيئة غير التي اعتاد عليها، وفي مجتمع له خصوصيته التي تخالف خصوصياته، أو لا تتفق معها بالضرورة.
بل يصح أن يكون هذا المصطلح (الحلال) وما يومئ إليه من مضامين، عنوانًا على استجابة المسلم للتحديات التي تتجدد في عالمه لحظة بعد أخرى، ومطلوب منه أن يُكيِّفها حسب ثوابته ومفاهيمه، لا أن يتكيف هو معها بما يفقده شخصيته وخصوصيته.
أما «ثقافة البدائل» التي تدفع المسلم

دفعًا للبحث عن «الحلال» في المأكل والمشرب، وفي كل ما يواجهه في عالم الأشياء والأفكار، فهي مبنيةٌ على أن الثقافة الإسلامية تتحلى بأمر مهم تتميز به عن غيرها من الثقافات، وتجعل المسلم به متميزًا عن الآخرين، وهو أنها ثقافة بها من الثوابت ومن المتغيرات ما يكفل لها الثبات والاستمرار، ويكفل لها أيضًا المرونة والمقدرة على التعامل مع المستجدات.. والثوابت تكون في الأصول والكليات والمقاصد، أما المرونة ففي الفروع والجزئيات.

البدائل والتشريع

عندما فرض الله سبحانه على عباده التكاليف، -سواء بالفعل أو المنع- لم يكن ذلك عبثًا، بل جاءت هذه التكاليف متوافقةً مع الفطرة السوية التي فطر الله الناس عليها، ومحقّقةً العبادةَ التي خلقهم من أجلها.

وكان من حكمته سبحانه أن الأشياء التي حظرها وحرّمها، هي محببة إلى النفس، وإلا لَمَا كانت محلًا للاختبار والابتلاء، بحيث لو أن النفس تكرهها بطبيعتها، لانصرفت عنها دون انتظار النهي.

ومن فضل الله سبحانه ورحمته بعباده أنه لم يحرم عليهم شيئًا إلا أوجد لهم البديل عنه، حتى يكون هذا البديل متنفسًا لمن يريد أن يلتزم بترك المنهيات مع إشباع غرائز النفس.

يفصّل الإمام ابن القيم هذا الأمر قائلًا: «فما حرم الله على عباده شيئًا إلا عوضهم خيرًا منه، فلمّا حرم عليهم الاستقسام بالأزلام، عوضهم عنه بدعاء الاستخارة،وحرم عليهم الربا، وعوضهم منه بالتجارة الرابحة، وحرم القمار عليهم،

لم يحرم علينا شيء إلا كان له بديل ليكون متنفسًا للطائعين

وأعاضهم عنه بالمسابقة النافعة، وبالخيل والإبل والسهام، وحرم عليهم الحرير، وأعاضهم منه أنواع الملابس الفاخرة، من الصوف والكتان والقطن، وحرم عليهم الزنا واللواط، وأعاضهم منهما بالنكاح، وحرم عليهم شرب المسكر، وأعاضهم عنه بالأشربة اللذيذة النافعة للروح والبدن، وحرم عليهم الخبائث من المطعومات، وأعاضهم عنها بالمطاعم الطيبات، ومن تلمح هذا وتأمله، هان عليه ترك الهوى المردي، واعتاض عنه بالنافع المجدي، وعرف حكمة الله ورحمته، وتمام نعمته على عباده فيما أمرهم به، ونهاهم عنه، وفيما أباحه لهم»(١).

ومن المهم أن نشير هنا إلى أنه حتى بعض المحرمات، يجوز فعلها، إذا فُقد البديل عنها ولم يتوافر سواها، من باب أن للضرورة أحكامها، وأن ارتكاب أخف الضررين أمر مَرعِيٌّ شرعًا. مثل الخمر، فالأصل فيها أنه يحرم على المسلم شربها، لكن إذا فُقد عند الغُصّة البديلُ الحلال من الماء أو غيره، يجوز إزالتها بقليل من الخمر(٢).

وكذلك الميتة،يجوز أن يأكل منها الإنسان ما يحفظ له رمق الحياة، إذا أشرف على الهلاك ولم يجد غيرها مما أحل الله(٣).

وتلك علامة على واقعية التشريع الإسلامي، وتجدده مع المتغيرات، دون الإخلال بالثوابت والأصول.

الهجرة والآفاق الجديدة

ولا تقتصر «ثقافة البدائل» على الأحكام الشرعية في المأكل والمشرب وغيرهما، بل تمتد إلى «فقه الدعوة» الذي يُعنى -ضمن أولوياته ومقاصده- بالبحث عن آليات ووسائل تناسب الواقع المتجدد، والظروف المتغيرة.

فحين اشتد الأذى بالمسلمين في مكة، مع استنفاد كل وسائل الدعوة الممكنة، فتح لهم النبي ﷺ بديلًا جديدًا بالهجرة إلى الحبشة، التي أخبرهم أن «فيها مَلِك لا يُظلم عنده أحد»(٤)، ثم بالهجرة إلى المدنية،ولم يتركهم يَلقون حتفهم حتى يهلكوا عن بكرة أبيهم!!

فهكذا الإسلام يستحث المسلم على ألا يستسلم للعقبات، أو ييأس أمام المحن والاختبارات،بل عليه أن يضرب في الأرض، ويحطم القيود، ويعلن النفير الدائم إلى أن يجد مبتغاه في تحقيق العبودية لله رب العالمين، ولذلك عدّ الإسلام القعودَ عن البحث عن البديل، والرضا بالدُّون والاضطهاد، نكوصًا يستوجب العقاب،قال تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ تَوَفَّاهُمُ الْمَلَائِكَةُ ظَالِمِي أَنفُسِهِمْ قَالُوا فِيمَ كُنتُمْ قَالُوا كُنَّا مُسْتَضْعَفِينَ فِي الْأَرْضِ قَالُوا أَلَمْ تَكُنْ أَرْضُ اللَّهِ وَاسِعَةً فَتُهَاجِرُوا فِيهَا فَأُولَئِكَ مَأْوَاهُمْ جَهَنَّمُ وَسَاءَتْ مَصِيرًا. إِلَّا الْمُسْتَضْعَفِينَ مِنَ الرِّجَالِ وَالنِّسَاءِ وَالْوِلْدَانِ لَا يَسْتَطِيعُونَ حِيلَةً وَلَا يَهْتَدُونَ سَبِيلًا. فَأُولَئِكَ عَسَى اللَّهُ أَن يَعْفُوَ عَنْهُمْ وَكَانَ اللَّهُ عَفُوًّا غَفُورًا﴾ (النساء: ٩٧- ٩٩).

وهذا درس مهم للدعاة في ضرورة تخطي العقبات والحواجز، والبحث عن البدائل المشروعة، وارتياد آفاق جديدة،

وعدم التعامل مع الوسائل كأنها غايات ثابتة،بل يجب أن يظل الفرق واضحًا بين الغاية والوسيلة، حتى لا يتحمل العمل الإسلامي مزيدًا من الأعباء، ويحجب عن نفسه مساحات كان يمكن طَرقُها، والإنجازُ فيها بما يصبُّ في النهاية في تحقيق الغايات والأهداف نفسها.

فالمسلم دائمًا يتوكل على الله ويحسن الظن به، ويثق في وعده ونصره للعاملين، ولا تعجزه الوسائل ولا قلة الإمكانات، وقد أحسن أحد الدعاة حين وضع قاعدة دعوية مهمة، مؤكدًا أنه: «إذا وُجد المؤمن الصحيح، وُجدت معه وسائلُ النجاح جميعًا».

الاقتصاد الإسلامي

وباستقراء الواقع الإسلامي -خاصة في نصف القرن الأخير من القرن الماضي- نجد أنه برزت قضيتان شغلتا الفكر الإسلامي، كعنوانٍ على التحديات والمستجدات التي تتطلب منه الاستجابة لها، والبحث عن بدائل عما قد يكون فيها من أمور لا تتفق مع الإسلام.. هاتان القضيتان هما: الاقتصاد والفنون.

فأمام سيطرة الاقتصاد الربوي، بشقيه الرأسمالي والاشتراكي، تطورت الإسهامات المتعددة لبلورة «الاقتصاد الإسلامي»، فكرًا وممارسةً، وجاءت تجربة «البنوك الإسلامية» لتسد ثغرات في واقع المجتمعات الإسلامية، الراغبة في الالتزام بالشريعة الإسلامية، وفي إنماء أموالها ومدخراتها بعيدًا عن البنوك الربوية.

هذه علامة على واقعية التشريع الإسلامي وتجدده وفق المتغيرات دون الإخلال بالثوابت والأصول

صحيح أن تجربة «البنوك الإسلامية» مازالت تحتاج لكثير من المتابعة على أرض الواقع للخروج من قبضة الاقتصاد العالمي الربوي، وصولًا إلى التكامل الاقتصادي بين الدول العربية والإسلامية -التي إمكاناتها ليست بالقليلة- إلا أن ما قطعته من أشواط في هذا الاتجاه، يؤكد القدرة على طرح البديل، وعدم الاستسلام للواقع، وثقله الضاغط على المجتمعات الإسلامية(٥).

الفنون ومساحات التأثر

وعلى الرغم من أن قضية «الفنون» -من المسرح والموسيقى والسينما والدراما- مطروحة بقوة على العقل المسلم، خاصة في عالم سقطت فيه الحواجز بفعل الطفرات غير المسبوقة في عالم الإعلام والاتصالات، فإن الاستجابة لهذا التحدي لم تكن بالمستوى المطلوب، ولا حتى بالقدر الذي حدث مع تحدي «الاقتصاد» على الأقل!

ومازال البعض ينظرون إلى «الفنون»، ووسائل الترفيه بشكل عام، كأمر يمكن تجاوزه والسكوت عنه،باعتباره أمرًا هامشيًا في مسيرة الحياة! لكن الواقع يثبت أن «الفنون» تشكل مساحات واسعة لاختراق القيم والمفاهيم الإسلامية، والتأثر بالنموذج الغربي، الذي يختلف جذريًا في هذه القضية عن المفهوم الإسلامي لرغبات الإنسان وكيفية تلبيتها.

حتى الإسهامات التي قطعت شوطًا -فكريًا وعمليًا- في اتجاه ما عُرف بـ«أسلمة الفنون والآداب»، لم تنجز الكثير، مما يمكنه أن يمثل بديلًا إسلاميًا متكاملًا عن واقع يطرح نفسه وبقوة على مجتمعاتنا، التي تُقبل فيها عوامل الصمود أمام مغريات النموذج الغربي.

ويبقى أن نشير في الختام إلى أنه بالإضافة لموضوعَيْ الاقتصاد والفنون، هناك موضوعات أخرى كثيرة تنتظر «صناعة الحلال» أن تطولها،سعيًا إلى إرساء «ثقافة البدائل» ورفض الرضوخ

تجربة البنوك الإسلامية مازالت تحتاج لكثير من المتابعة على أرض الواقع للخروج من قبضة الاقتصاد الربوي

لواقع، نعم قد لا يكون من صنع أيدينا، لكننا مطالبون بالتعامل معه، والبحث عن نقاط الالتقاء فيه مهما كانت قليلة.

هوامش

١- انظر: روضة المحبين ونزهة المشتاقين، ص، ١١، ١٢. بتصرف يسير، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٩٩٢م. وفكرة «البدائل» هذه لها ملمح تربوي أستخدمه شخصيًا،فحين أريد أن أبعد ابنتي الصغيرة عن العبث بكتبي وأوراقي، فلابد أن أحضر لها أولًا مجلة أطفال -غالبًا «براعم الإيمان»- أو كتابًا أستغني عنه، وإلا فإنها لا تستجيب لصيحاتي المتكررة!!

٢- جاء في «زاد المستقنع في اختصار المقنع»: «كلُّ شرابٍ أسكرَ كثيرُه، فقليله حرام، وهو خمرٌ من أي شيء كان، ولا يباح شُربه للذة ولا لتداوٍ ولا عطش ولا غيره، إلا لدفع لُقمة غُصَّ بها ولم يَحضره غيرُه»، ١/ ٢٢٠، موقع «المكتبة الشاملة» http://shamela.ws/browse.php/book-١١٢٣٠/page-٢٨٥.

٣- ورد في تفصيل ذلك آيات كثيرة، منها قوله تعالى: ﴿حُرِّمَتْ عَلَيْكُمُ الْمَيْتَةُ وَالدَّمُ وَلَحْمُ الْخِنزِيرِ وَمَا أُهِلَّ لِغَيْرِ اللَّهِ بِهِ وَالْمُنْخَنِقَةُ وَالْمَوْقُوذَةُ وَالْمُتَرَدِّيَةُ وَالنَّطِيحَةُ وَمَا أَكَلَ السَّبُعُ إِلاَّ مَا ذَكَّيْتُمْ وَمَا ذُبِحَ عَلَى النُّصُبِ وَأَنْ تَسْتَقْسِمُوا بِالأَزْلاَمِ ذَلِكُمْ فِسْقٌ الْيَوْمَ يَئِسَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِن دِينِكُمْ فَلاَ تَخْشَوْهُمْ وَاخْشَوْنِ الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الإِسْلاَمَ دِينًا فَمَنِ اضْطُرَّ فِي مَخْمَصَةٍ غَيْرَ مُتَجَانِفٍ لإِثْمٍ فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾ (المائدة: ٣).

٤- «دلائل النبوة» للبيهقي من حديث أم سلمة رضي الله عنها.

٥- راجع الدراسة القيمة: «المصارف الإسلامية وأهم التحديات المعاصرة»، د.عبدالعزيز شاكر الكبيسي، منشورة على رابط: http://www.kantakji.com/fiqh/Files/Banks/٣٥.swf. ومقال: «البنوك الإسلامية بين الواقع والآمال»، د.أسامة عثمان، «الشرق الأوسط» بتاريخ ١٤/ ٦/ ١٤١٤هـ.

علماء أكدوا تنوع ضرره وتشعبه

إهدار المال العام.. جريمة في حق الأمة!

هاجر حسونة
القاهرة - دار الإعلام العربية

«من غلّ بعيرًا أو شاة أتى يحمله يوم القيامة».. هكذا تجلّت حكمة النّبيّ الكريم ﷺ في التحذير من إهدار المال العام، والجور على حقوق الغير الذي نهى عنه الإسلام، وحرّمه تحريمًا.. ومع تفاقم جملة من القضايا والمشكلات المتعلّقة بإهدار المال العامّ، أكّد علماء التقتهم «الوعي الإسلامي» أنها جريمة في شرع الإسلام وأنها تولّدت وتضخّمت بسبب الابتعاد

عن التعاليم الدينية.. مشدّدين على أن إهدار المال العامّ جريمة وجور على حقوق الغير، يعاقب مرتكبها في الدنيا والآخرة، مشيرين إلى أن الإسلام قد حصّن أموال المسلمين، كما حّصن ممتلكاتهم وكافّة خصوصياتهم، وحرّم السطو عليها.. إلى التفاصيل.

«للمال العام قداسة في المنظور الإسلامي، وهذه القداسة تنبع من أن هذا المال ترجع ملكيته إلى جميع المسلمين دون تفرقة، وهناك قاعدة أصولية تقدّم الحقّ العامّ على الحقّ الخاصّ».. بهذه الكلمات بدأ د.محمد الشحات الجندي عضو مجمع البحوث الإسلامية بالأزهر الشريف، مؤكّدًا: تتشدّد الشريعة الإسلامية في المال العامّ لدرجة أنها تجعله مال الله سبحانه وتعالى.

وأوضح أنه مع غنى الله عن مال الناس، إلا أن المال أمر ضروري للقيام باستحقاقات الدّين والدنيا؛ لذلك لا يجوز لأي فرد أن يستولي على المال العامّ أو المال الذي يخص الآخرين، أو أن يختلسه أو يحصل عليه بطريقة غير مشروعة، فهذه التصرفات منهي عنها شرعًا ولعلّ ذلك يتجلّى في أن حماية المال العامّ تعتبر مقصدًا من مقاصد الشريعة الإسلامية تأتي في منظومة المقاصد التي قامت هذه الشريعة لتحقيقها في ضمير ونفس المسلم، مع حماية الدين والنفس.

وأشار إلى أن من يتأمل ما آل إليه حال الأمّة الإسلامية من تراجع وتخلّف إنما كان في أحد أسبابه الرئيسية الاعتداء على المال العامّ والتهاون في حمايته، وهو ما أدّى إلى تراجع كل مشروعات التنمية ولجوء العديد من الدول الإسلامية

المال العام لا يقل حرمة عن المال الخاص .. والأصل في الجميع الحظر

إلى الاقتراض من الدول الغربية، وفقدان هذه الدول لقراراتها واستقلاليتها وقدرتها على أن تحقّق اكتفائها الذاتي.

وتابع: في الوقت نفسه نجد أن العديد من هذه الدول تراجع فيها مفهوم المال العامّ الذي بيّنه الإسلام في قول الخليفة عمر بن الخطاب -رضي الله عنه وأرضاه-: «المال مال الله والعباد عباد الله»، قاصدًا من ذلك أن من لديه الانتماء للأمّة الإسلامية والولاء لمنهج الإسلام إنما يكون أمينًا على مال الأمّة، ولا ينفق هذا المال إلا في أوجه إنفاقه المشروعة، ويعتبر أي مساس أو اعتداء على هذا المال جريمة في حقّ الأمّة كلها وليست جريمة فردية يستحق من يرتكبها عقوبة «السارق» وهي قطع اليد، بل إن مثل هذا الشخص الذي يخون أمانة الأمّة في مالها يمكن أن يوقع عليه جزاءً آخر إضافة إلى القطع؛ لأن جرمه أشدّ، وذنبه أكبر.

وذكّر «الجندي» الأجيال الإسلامية المعاصرة بما فعله أبو بكر الصديق -رضي الله عنه- عندما تناول بعض الطعام فقال له بعض الحاضرين إنه مال الصدقات الخاصّة بالأمّة، فما كان منه إلا أن يرغم نفسه على أن يتقيأ هذا الطعام؛ لأنه تناول بعض اللقيمات من المال العامّ المملوك للأمّة، وهي رسالة للمسؤولين جميعًا ومن عهد إليه بمال عامّ أن يتقي الله في أموال الأمّة، يحافظ عليها بما يحافظ به على المال الخاصّ وأكثر.

ومن هنا، نشدّد على كل أبناء الأمّة الإسلامية أن يستعيدوا حرمة المال العامّ وألّا يكون هذا المال مستباحًا لكل من يكلّف بحمايته،و حتى إنه قد لوحظ أن الاعتداء على المال العامّ في البلاد الإسلامية من أكبر الجرائم التي ترتكب في العالم مقارنة بما عليه من أوضاع حماية المال العامّ في دول العالم الغربي، فهي شهادة تدين الجيل الحالي الذي ينتسب إلى الإسلام ولا يقيم شرع الله ولا حدود الله في الحفاظ على المال العامّ.

من أين لك هذا؟

بدوره، أكّد د.أحمد كريمة: أستاذ الشريعة بجامعة الأزهر، أنه من المقرر شرعًا أن الدّين الحقّ عبادات ومعاملات، وفيما يتعلّق بالأموال النقدية والعينية والمنافع وغير ذلك فإنها من الأهمية بمكان، ولذلك جاءت التوجيهات الإلهية والإرشادات النبوية لتؤكّد على خطرها وأثرها، فقال الله عزّ وجلّ في كتابه: ﴿لَا تَأْكُلُوا أَمْوَالَكُم بَيْنَكُم بِالْبَاطِلِ﴾، وقال أيضًا: ﴿يَا أَيُّهَا الرُّسُلُ كُلُوا مِنَ الطَّيِّبَاتِ وَاعْمَلُوا صَالِحًا إِنِّي بِمَا تَعْمَلُونَ عَلِيمٌ﴾ وقال: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُلُوا مِن طَيِّبَاتِ مَا رَزَقْنَاكُمْ﴾. وقال رسول الله ﷺ: «إن الله أمر المؤمنين بما أمر به المرسلين»، وقال ﷺ أيضًا: «الرجل يطيل السفر أشعث أغبر يمد يده إلى السماء يقول يا رب.. يا رب ومطعمه من حرام وغذي

من حرام.. فأنى يستجاب له»!.

وتابع: المال العام لا يقلّ حرمة عن المال الخاصّ؛ لذلك قال العلماء إن الأصل في المال «الحظر»، فلا يستباح إلا بطرق مشروعة ككسب حلال أو عمل شريف أو إرث، وما عدا ذلك يبقى المال على أصله من الحظر والمنع، وفي ضوء ذلك فإن المال العامّ يحرم الاستيلاء عليه بالاختلاس أو السرقة أو الإتلاف أو الإهلاك أو التعدّي عليه، وقد شدّد رسول الله ﷺ على ذلك في قوله: «مَا بَالُ عَامِلٍ أَبْعَثُهُ فَيَقُولُ هَذَا لَكُمْ وَهَذَا أُهْدِيَ لِي، أَفَلا قَعَدَ فِي بَيْتِ أَبِيهِ أَوْ فِي بَيْتِ أُمِّهِ حَتَّى يَنْظُرَ أَيُهْدَى إِلَيْهِ أَمْ لا، وَالَّذِي نَفْسُ مُحَمَّدٍ بِيَدِهِ لا يَنَالُ أَحَدٌ مِنْكُمْ مِنْهَا شَيْئًا إِلا جَاءَ بِهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ يَحْمِلُهُ عَلَى عُنُقِهِ بَعِيرٌ أَوْ بَقَرَةٌ أَوْ شَاةٌ ثُمَّ رَفَعَ يَدَيْهِ ثُمَّ قَالَ: (اللَّهُمَّ هَلْ بَلَّغْتُ مَرَّتَيْنِ)، وكان سيدنا عمر بن الخطاب يحاسب الولّاة حسابًا عسيرًا في موسم الحج، وهو رضي الله عنه أوّل من استن مبدأ «من أين لك هذا؟!»، وأوّل من طبّق الكسب غير المشروع.. ومن عظماء الإسلام أيضا سيدنا عمر بن عبدالعزيز رضي الله عنه الذي عاش على الكفاف بعد حياة رغدة قبل الملك، ومات على منهج رسول الله ﷺ دون ميراث ذي بال.. من هنا نؤكّد على أن الإسلام سبق الدساتير والقوانين المعاصرة في حرمة المال العامّ، لذلك وضع التدابير الوقائية من الترغيب والترهيب لحرمة المال العامّ والتدابير الزجرية من تطبيق وإنزال العقوبات الدنيوية الرادعة فيما يعرف بـ«التعزير» وفيه مصادرة الأموال المكتسبة من غير سبيل مشروع.

اعتداء عامّ

أمّا د.رشدي شحاتة، رئيس قسم الشريعة بكلية الحقوق جامعة حلوان، فبدأ حديثه بقول رسول الله ﷺ: «الناس شركاء في ثلاث الماء والكلأ والنار»، وقبل ذلك البحار والمحيطات والأنهار ووسائل المواصلات والطرق العامّة والمؤسسات الحكومية.. وتأتي حرمة المال العامّ أنه مخصص للمنفعة العامّة؛ أي أن الناس جميعًا ينتفعون بهذا المال من خلال قضاء مصالحهم في المؤسسات الحكومية والمدارس والجامعات، وعندما يلحق الضرر بهذه المؤسسات فإن الناس لا ينتفعون بهذه المؤسسات ومن ثم يعود الضرر على الناس جميعًا.. مؤكّدًا أنه يجب نعلم علم اليقين أن الإثم الذي يلحق المهدر للمال العامّ أشدّ من الإثم المترتب على إلحاق الضرر بالمال الخاصّ. ويبدو ذلك واضحًا عندما يعتدي أحد على سيارة شخص آخر فإنه يقوم بإصلاح هذا الضرر، فهنا قد لا يأثم من اعتدى، لأن من أتلف شيئًا فعليه إصلاحه.. لكن حينما يعتدي على وسيلة مواصلات عامّة مثل القطار أو المترو، أو يقوم بتلويث المياه العامّة، فإنه بذلك اعتدى على شيء مملوك للشعب بأسره، يكون المعتدي هنا مدين للشعب كله، وعليه أن يطلب من الشعب كله أن يسامحه.

شحاتة: من أتلف شيئا فعليه إصلاحه والمعتدي على المؤسسات العامه مدين للشعب كله

وأشار أنه من السهولة بمكان أن ينجو الإنسان من الإثم المترتب على إلحاق الضرر بالمال الخاصّ، لكن من الصعوبة إصلاح الضرر المترتب على المال العامّ، فخطورته أنه ملك الكافّة ويصعب طلب السماح والعفو من الكافّة. كما أن الانتفاع بالمال العامّ وقتي وأضراره متسعة ومتشعبة ومباشرة وغير مباشرة على عكس المال الخاصّ، لذلك نهى النّبيّ ﷺ عن التبوّل في الماء الجاري؛ لأن ذلك يتلف الماء الذي يشرب منه الآخرون ويستخدمونه.

من هنا يتضح لنا أن الاعتداء على المال الخاصّ يمكن تداركه، أما إصلاح الضرر الذي يلحق بالاعتداء على المال العامّ متنوع ومتشعب ومباشر وغير مباشر.

في نار جهنّم

وأشار الشيخ علي أبو الحسن -أمين عام مجمع البحوث الإسلامية، إلى أن نظرة الشريعة الإسلامية للمال العامّ أشدّ من نظرتها للمال الخاصّ، مؤكّدًا أن التشديد على المال العامّ أكبر من التشديد على المال الخاصّ، لافتًا إلى أن رجلاً في غزوة خيبر اغتل من الغنائم مخيطًا وبعض الخرزات، فقال النّبيّ ﷺ فيه: «من اغتل من مال الأمّة شيئًا ولو مخيطًا فإنه يعذّب به في جهنّم».. وقال أيضًا في هذا الرجل الذي كان خادمًا للنّبيّ ﷺ وأصابه سهم من العدو وهو ينصب خيمة، فجاء أصحاب النبي ﷺ ليعزّونه ويقولون للنّبيّ هنيئًا لخادمك مات شهيدًا ودخل الجنّة، فقال لهم النّبيّ ﷺ: «ولكن الشملة التي اغتلها من مال المسلمين تشتعل عليه الآن في نار جهنّم».

تربية الأبناء على حب الحلال وبغض الحرام

د. آندي حجازي
أستاذة جامعية وكاتبة صحفية

يحكى أنه في القرن الأول الهجري، وفي عصر التابعين كان هناك شاب فقيرٌ تقيٌّ يطلب العلم، وفي أحد الأيام كان جائعًا جدًا وسار في الطريق بجانب النهر حتى انتهى به إلى أحد البساتين المزروعة بأشجار التفاح، والتي كانت بعض أغصانها متدلية على الطريق خارج البستان، فحدثته نفسه أن يأكل منها تفاحة يسد بها جوعه الشديد، فقطف واحدة وجلس يأكلها، ثم بدأت نفسه تلومه، فكيف أكل هذه التفاحة وهي ليست له! ولم يستأذن من صاحب البستان؟ فذهب يبحث عنه، ولما وجده أخبره القصة لكي يسامحه بها، فقال له صاحب البستان: والله لا أسامحك! ودخل بيته، وبقي الشاب عند البيت ينتظر خروجه

إلى صلاة العصر.. فلما خرج صاحب البستان وجد الشاب لا زال واقفًا ودموعه في عينيه باكيًا، فقال الشاب لصاحب البستان: إنني مستعد للعمل في هذا البستان من دون أجر باقي عمري، بشرط أن تسامحني، فقال صاحب البستان لن أسامحك إلا بشرط واحد، ففرح الشاب وتهلل وجهه، فقال صاحب البستان: أن تتزوج ابنتي! فوافقَ الشاب، ولكن يا بني اعلم أن ابنتي عمياء وصماء وبكماء، وأنا أبحث لها عن زوج أستأمنه عليها، ويقبل بها بجميع مواصفاتها التي ذكرتها، فإن وافقت عليها سامحتك.

تفاجأ الشاب! وبدأت تراوده تساؤلات: كيف يعيش مع هذه المرأة وهو في مقتبل العمر؟ وكيف تقوم بشؤونه وترعى بيته وهي بهذه العاهات؟ وكيف وكيف؟! ثم اتخذ قراره: أصبرُ عليها في الدنيا، وأنجو من عذاب الآخرة! فقال لصاحب البستان: لقد قبلت ابنتك، وأسأل الله أن يعوضني خيرًا. ففرح والدها وقال: وأنا أتكفّل لك بمهرها، فلما جاء موعد الزواج جاء الشاب حزين الفؤاد، متثاقل الخُطى.. ولما رأى الفتاة كانت المفاجأة! فإذا هي فتاة بيضاء أجمل من القمر، وترى وتسمع وتتكلم وتمشي، فوقف مشدوهًا حائرًا، فعرفت الفتاة ما يدور بباله فقالت له: أناعمياء عن النظر إلى الحرام، وبكماء عن السمع إلى الحرام، وصماء عن الكلام بما حرّم الله، ولا تخطو رجلاي خطوة إلى الحرام..وإنني وحيدة أبي، ومنذ عدة سنوات وأبي يبحث لي عن زوج صالح، فلما أتيته تستأذنه في تفاحة وتبكي لأجلها قال أبي: إن من يخاف من أكل تفاحة لا تحل له حريٌّ به أن يخاف الله في ابنتي، فهنيئًا لي بك زوجًا، وهنيئًا لأبي بنسبك. وبعد عام أنجبتْ هذا الفتاة من هذا الشاب غلامًا كان من مبدعي هذه الأمة أتدرون من ذلك الغلام؟ إنه الإمام أبوحنيفة النعمان رحمه الله صاحب المذهب الفقهي المشهور أحد المذاهب الأربعة.

من منا لا يتمنى أن ينشأ أبناؤه على هذه التنشئة الأخلاقية العظيمة التي توجد أعظم الرجال، وأروع النماذج التي تتقي الله وتفلح في دنياها وآخرتها.. ولكن من أين تأتي هذه التربية؟ وكيف نصل لتلك المرحلة من التقوى ومحاسبة النفس؟ وكيف أربّي أبنائي على حب الحلال وكراهية الحرام؟ إنها قضية تربية وتعليم ينشأ عليها الطفل منذ الصغر منذ نعومة أظفاره، بل وقبل ذلك من لحظة اختيار شريكة الحياة وشريك العمر، فاختيار الزوجة الصالحة ليس فقط الخطوة الأولى على الطريق، بل هو معين في كل لحظات الحياة، لأن تقوى

حسن اختيار الزوجة والاتفاق بين الزوجين والاعتماد على وسائل الإقناع وتعزيز مبدأي الثواب والعقاب

الله والعمل على التمسك بالحلال والابتعاد عن الحرام يحتاج إلى عوْن وتعاون من كلا الطرفين: الأم والأب معًا، وبشراكة حقيقية بينهما في المبادئ والأفكار والرؤى والطموحات التي يتمنون تنشئة أبنائهما عليها، فلا يستطيع أحد الطرفين السير قدمًا في طريق ما والآخر معارض يشده للخلف!

عقد اتفاق

وكخطوة ثانية بعد حسن الاختيار يأتي الاتفاق بين الزوجين على تربية الأبناء على مبدأ راقٍ وهو اتباع الحلال والبعد عن الحرام، مهما كانت الظروف وضغوط الحياة، فعلى سبيل المثال لا الحصر يكون من تلك المبادئ الاتفاق على كراهية الكذب، وأنه ممنوع في حياتنا الأسرية مهما كانت الأسباب، فأربّي أبنائي على مبدأ قول الحق وعدم الخوف من النتائج أبدًا، والتوكل على الله تعالى فهو كفيل بعوننا على النجاة إن اتقينا الله، فيكون المنطلق في ذلك الآيات والأحاديث الشريفة كقول الله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَكُونُوا مَعَ الصَّادِقِينَ﴾ (التوبة ١١٩)، فتعليم الأبناء أن الصدق أنجى مرتين: مرة في الدنيا، ومرة في الآخرة، فإن كان هذا المبدأ طلبًا لرضى الله تعالى فإن الطفل سيتعوّد قول الحقيقة، ولن يكذب أبدًا.

وأحاول أن أزرع بأبنائي محبة الله، والتقوى منه تعالى، لأنها المعين على طلب الحلال والبُعد عن الحرام، فلا يقبل أخذ شيء لا يحق له وليس ماله وإن وجده في الطريق، ولا يأكل طعامًا لا يحل له، ولا يسرق شيئًا ليس له، ولا يشرب خمرًا أو مخدرًا.. فلا يجوز أن تُترك قضية تربية الأبناء على مبادئ الحلال والحرام على عاتق المدرسة والرفاق ووسائل الإعلام وحدها، حيث الأهل هم الأوْلى في

تربية الأبناء والمتابعة والحرص على التنشئة السليمة لهم على تقوى الله تعالى، ولكن ما نلحظه في هذه الأيام هو غفلة الوالدين عن الاهتمام بتنشئة الأبناء على ذلك، حيث لم تعد هي همّهم الأكبر، على الرغم من كونها الطريق الموصل إلى الجنة، والبعد عن النار.

استخدام وسائل الإقناع، وتعزيز مبدأي الثواب والعقاب

تعليم الأبناء حبّ الحلال (كالتحدّث فيما يرضي الله تعالى، والعمل الحلال، ورضا الوالدين...) والابتعاد عن الحرام (كغيبة الناس وذكر ما يكرهون، أو الإساءة إليهم ولو بكلمة جارحة، والسرقة، والاحتيال، والكذب، وترك اللباس الشرعي للنساء، عقوق الوالدين...) يحتاج إلى وسائل في التربية والإقناع كتذكير الأبناء بأن لكل شخص ملكين يسجلان ما يقول وما يفعل: ﴿مَا يَلْفِظُ مِن قَوْلٍ إِلاَّ لَدَيْهِ رَقِيبٌ عَتِيدٌ﴾ (سورة ق:١٨). فلمَ لا يكون كلامنا ذكرًا وشكرًا وخيرًا وعونًا وإبداعًا وإسعادًا للنفس وللآخرين، بدل من أن يكون كلام سوء وشر وإيذاء؟

وأستخدم مع أبنائي معززات مادية ومعنوية يحبونها كلما تلفظوا بكلمات يحبها الله تعالى، أو مارسوا شيئًا من ذكر الله تعالى كالاستغفار والتسبيح ويمكن معاقبتهم أو حرمانهم من بعض ما يحبون إن تلفظوا بما حرم الله تعالى أو ارتكبوا المحرمات، حتى ينمو لديهم الوازع النفسي الذاتي شيئًا فشيئًا. كما وأربّي أبنائي على أن من ترك شيئًا في سبيل الله عوّضه الله شيئًا خيرًا منه.. فإن ترك على سبيل المثال (القول الفاحش البذيء أو الكذب أو الغيبة أو الغش...) من أجل رضا الله تعالى، فإن الله سوف يعوضه بإيمان يجد حلاوته بقلبه، ويعوضه بخير يراه في الدنيا قبل الآخرة.. فإن تربّى الأبناء على ذلك لن يقلق الآباء عليهم أينما حلوا أو ارتحلوا.

معادلة محسوبة

ورد عن جابرٍ بن عبدالله الأنصاري رضي الله عنه أن رجلاً سأل رسول الله ﷺ: أرأيتَ إذا صليتُ المكتوبات، وصمتُ رمضانَ، وأحللتُ الحلالَ، وحرمتُ الحرامَ، ولم أزد على ذلك شيئًا، أأدخلُ الجنّةَ؟ قال: نعم (رواه مسلم). فالمعادلة هنا محسوبة واضحة وهي: (أداء الفرائض مع فعل المحلّلات والابتعاد عن المحرمات كالزنا والربا والسرقة وشرب الخمر والسحر والقتل والمخدرات والاحتيال والعقوق.. تكون النتيجة هي رضا الله تعالى والفوز بالجنة).

وأكّد رسول الله ﷺ: «إنّ الحلال بيّن، وإنّ الحرامَ بيّن، وبينهما أمور مُشْتبهات لا يعلمهنّ كثير من الناس، فمن اتقى الشبهات فقد استبرأ لدينه وعرضه، ومن وقع في الشبهات وقع في الحرام، كالراعي يرعى حول الحمى يوشك أن يرتعَ فيه، ألا وإن لكل مَلِك حمى، ألا وإنّ حمى اللهِ محارمُهَ..» (رواه البخاري ومسلم). «والله تعالى يغار وغيرته أن تؤتى محارمه» وهي ما تؤدي إلى الهلاك والعياذ بالله. وعليه فإنه من المهم توضيح أمور الحلال وأمور الحرام للأبناء منذ الصغر، حتى يتعلم الأبناء أن هذا يرضي الله تعالى، وهذا يغضب الله تعالى.. وعدم الاعتماد في ذلك على الآخرين أو على ظروف الحياة، لأن الحياة لا تُعلّم الحلال والحرام، بل هي أفعال مقصودة.

رحمةٌ ورأفة بنا!

ومن رحمة الله بعباده أن جعل دائرة الحلال كبيرة، ودائرة الحرام ضيقة قليلة، فمثلاً: أحلّ الله جميع المال

صلاح الآباء غالبا ما يؤدي إلى صلاح الأبناء.. والله يحفظ الأبناء بتقوى آبائهم

ماعدا مال الربا أو مال الرشوة أو مال السرقة، وجميعها إما بها إيذاء للآخرين، أو إيذاء للنفس كالضغوط المالية تقع على الشخص.. وحلّل الله جميع أنواع اللحوم إلا لحم الخنزير، والذي ثبتت مضاره الكثيرة على صحة الإنسان، لما يحمله دمه من مخاطر وكمّ هائل من الجراثيم، وكذلك أحل الله جميع المشروبات وحرّم فقط الخمر، وأحل الله جميع المأكولات إلا ما به مضرة للإنسان، وأحل الله الكلام إلا ما كان به غيبة أو نميمة أو كذب أو قذف للمحصنات، فهل يكبّ الناس على وجوههم يوم القيامة إلا حصائد ألسنتهم؟! كما أخبر رسول الله ﷺ معاذ بن جبل رضي الله عنه.

ومن هنا أعلم أبنائي أن هذه قاعدة في الحياة، وهي أن الله تعالى لم يحرّم شيئًا إلا رحمة ببني البشر، وحفاظًا على صحتهم أو مالهم أو حياتهم، فمثلاً حرّم القتل لما به إيذاء للآخرين، وهدر لأرواح البشر وإلا لكثرت حالات القتل ولفقدنا الكثير من الأرواح وعليه أحاول أن أُبعد أبنائي عن المُسببات لذلك والتي منها استمرار مشاهدة الأفلام الغربيّة التي تحث على العنف، والتي تمتلئ بقصص جرائم القتل، لأنها تجعل الأبناء مع مضي الوقت يعتقدون أن هذا شيء بسيطٌ مباحٌ لامشكلة به، وقد يفكرون على الإقدام عليه، بينما هو محرّم في ديننا الإسلامي، ﴿مَن قَتَلَ نَفْسًا بِغَيْرِ نَفْسٍ أَوْ فَسَادٍ فِي الأَرْضِ فَكَأَنَّمَا قَتَلَ النَّاسَ جَمِيعًا وَمَنْ أَحْيَاهَا فَكَأَنَّمَا أَحْيَا

النّاسَ جَميعًا﴾ (المائدة:٣٢). وعندما أقنع أبنائي بالتخلي عن شيء ما فإنه من الجميل أن أقدّم لهم بديلًا مناسبًا عنه، ولا يعجز الآباء عن تقديم البدائل الصحيحة لأبنائهم من البرامج التلفزيونية الهادفة أو المفيدة التي لا خلل بها.

والله تعالى قدّم البدائل لما حرّم، فعندما حرم الزنا على سبيل المثال، جعل الثواب في الزواج وحثّ عليه، فعندما قال رسول الله: وفي بُضع أحدكم صدقة، سأله نفرٌ من أصحابهَ فورًا: «أيأتي أحدنا شهوته ويكون له فيها أجر؟ قال: «أرأيتم لو وضعها في حرام، أكان عليه وزر؟ فكذلك لو وضعها في الحلال كان له أجر» (رواه مسلم).

وعلى الوالدين تقع مسؤولية تنشئة الأبناء على طاعة الله كغض البصر عن المحرمات كالنظر إلى النساء اللواتي لا يحللن للمشخص ﴿قُل لِّلْمُؤْمِنِينَ يَغُضُّوا مِنْ أَبْصَارِهِمْ وَيَحْفَظُوا فُرُوجَهُمْ ذَلِكَ أَزْكَى لَهُمْ..﴾ (النور: آية٣٠). فهذا الأمر بغض البصر هو من فضل الله على الإنسان حتى يبعده عن الوقوع في الحرام حيث النظرة سهمٌ من سهام إبليس، وما ينفذُ للعين ينفذُ للقلبَ.. فعلينا تعليم الأبناء أن هذا الأمر الإلهي جاء لينقذ الإنسان من الوصول إلى تبعاته المحرمة التي قد تُوقع فيما حرّم الله، ولذا لابد من تجنّب المقدمات المؤدية للوقوع بالحرام كالنظر إلى المواقع والصور الإباحية المنتشرة في بعض المجلات وعلى الانترنت، والتي أصبح من السهل الوصول إليها من قبل الأبناء، فإن لم يكن قد تربى الابن منذ الصغر على الشعور برقابة الله تعالى فإنه سوف يستهين ما حرّم الله وقد يقع في الحرام أو في بعض خطوطه، مما يغضب الله عزّوجل.

رقابة الله تعالى وطلب محبته

فمهم جدًا تذكير الأبناء دومًا منذ الصغر بأن الله يرانا ويسمعنا، ويعلم مانفعل، وهو مطّلع على كل شؤوننا، كأن نضع بعض الشعارات في غرف أبنائنا مثل: (الله شاهدي، الله سامعي، الله معي). أو حديث: «اتق الله حيثما كنت، وأتبع السيئة الحسنة تمحها» رواه الترمذي. وهذا ما نفتقده في زماننا، حيث غفل الناس عن تنشئة الأبناء على تقوى الله عز وجل، وأصبح الحبل متروكًا لهم بلا مراقب ولا محاسب ولا معلّم، فزاد تغريبنا عن ديننا وعن ثقافتنا الإسلامية، فضاقت بنا السبل، وتاهت هويتنا عن موضعها الصحيح.

ومهم أيضًا أن يُدرك أبناؤنا أن فعلنا المحلّلات والخيرات التي أمر الله تعالى بها، وندب إليها رسول الله عليه الصلاة والسلام، وتركنا للمحرمات التي نهى عنها الله ورسوله، هي تنطلق من مبدأ محبتنا لله تعالى ورسوله، وطلبًا لرضا الله ونيل ثوابه وتوفيقه في الدنيا والآخرة، فارتكاب المحرمات يعني ارتكاب الكبائر التي تؤدي إلى غضب الله تعالى والوصول إلى عقابه الأليم والعياذ بالله، فنحن نفعل الحلال ونترك الحرام محبةً لله عز وجل، وطاعةً لأوامره، وطمعًا في رحمته في الدنيا والآخرة.

وكان أبوهما صالحا

وأخيرًا، اعلم أيها الأب وأيتها الأم الفاضلين أنّ صلاح الآباء غالبًا ما يؤدي إلى صلاح الأبناء، وفي صلاح الوالدين نعمةٌ وفضل من الله تعالى في حفظ أبنائهم، فالله تعالى عندما حفظ المال ليتيمين صغيرين في (قصة سيدنا موسى مع الرجل الصالح في سورة الكهف) تحت حائط في بستان حتى يكبرا فيجدانه وينفقان منه، كان تبرير الله تعالى لذلك: ﴿وَكَانَ أَبُوهُمَا صَالِحًا﴾، فمن أجل صلاح الأب حمى الله الأبناء ورعاهم بقية حياتهم.. ولكن من أين أتى هذا الصلاح؟ لا يأتي من فراغ بل من التربية على تقوى الله تعالى بفعل ما أحل الله والابتعاد عن المنكرات، وهذا لا يكون بين يوم وليلة، بل يأخذ عمر الإنسان بأكمله، فإن استمر الإنسان على الصلاح طوال حياته نال رضا الله تعالى وتوفيقه واستحق لقب (الصالح) عند الله تعالى ﴿وَكَانَ أَبُوهُمَا صَالِحًا﴾، وانعكس ذلك على أبنائه بكونه قدوة لهم، وبدعائه لهم بالصلاح وفعل الخيرات، والابتعاد عن المنكرات والمحرمات. وعندما سأل سفيان بن عبدالله رضي الله عنه رسولَ الله ﷺ: قل لي في الإسلام قولًا لا أسأل عنه أحدًا غيرك، قال: قل: «آمنتُ بالله ثم استقم» رواه مسلم. فالاستقامة هي الصلاح، ولا تكون إلا بالاستمرار على فعل الحلال وترك الحرام، والقيام بالفرائض، وحبّ الله ورسوله الكريم ﷺ.

العدد (٥٣٢) جمادى الأولى ١٤٣٤هـ - مارس - ابريل ٢٠١٣م

مفهوم التعددية في الإسلام

د. عبدالله الحوراني - باحث أكاديمي

من تعاليم الإسلام أنه منح الإنسان حرية العقيدة والتدين، ذلك أن مقر العقيدة في القلب، ولا سلطان مادي على القلب، وعنوانه في ذلك قوله تعالى: ﴿لا إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ قد تَّبَيَّنَ الرُّشْدُ مِنَ الْغَيِّ فَمَن يَكْفُرْ بِالطَّاغُوتِ وَيُؤْمِن بِاللَّهِ فَقَدِ اسْتَمْسَكَ بِالْعُرْوَةِ الْوُثْقَىٰ لَا انفِصَامَ لَهَا وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾(البقرة: ٢٥٦)، وقوله تعالى: ﴿وَلَوْ شَاءَ رَبُّكَ لَآمَنَ مَن فِي الْأَرْضِ كُلُّهُمْ جَمِيعًا أَفَأَنتَ تُكْرِهُ النَّاسَ حَتَّىٰ يَكُونُوا مُؤْمِنِينَ﴾(يونس: ٩٩)، وقوله تعالى: ﴿وَقُلِ الْحَقُّ مِن رَّبِّكُمْ فَمَن شَاءَ فَلْيُؤْمِن وَمَن شَاءَ فَلْيَكْفُرْ﴾(الكهف: ٢٩)، وقد نفذ هذا عمليًا في ظل الدولة الإسلامية وفي بداية عهدها بعد هجرة الرسول الكريم ﷺ من مكة إلى المدينة المنورة، حين كتب عليه الصلاة والسلام صحيفة المدينة بينه وبين اليهود، حيث جاء فيها: «لليهود دينهم وللمسلمين دينهم»، وجاء في عهده لأهل نجران النصارى: «ولنجران وحاشيتها جوار الله وذمة محمد رسول الله ﷺ على أموالهم وأنفسهم وأرضهم وملتهم وغائبهم...

شاهدهم وعشيرتهم وبيعهم، وكل ما تحت أيديهم من قليل أو كثير، لا يغير أسقف من أسقفيته ولا راهب من رهبانيته، ولا كاهن من كهانته»، وفي كتابه ﷺ لأهل اليمن: «إنه من كان على يهوديته أو نصرانيته فإنه لا يفتن عنها..».

وتابع الصحابة الكرام رسولهم الكريم ﷺ في تنفيذ هذا المبدأ، وخاصة منهم الخلفاء الراشدين، حتى أصبحت قاعدة «لا إكراه في الدين» عنوانًا بارزًا ينفّذ عمليًا في تعامل السلطة في الدولة الإسلامية مع المخالفين في العقيدة، مذعنين لقوله تعالى: ﴿وَلَا تُجَادِلُوا أَهْلَ الْكِتَابِ إِلَّا بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ إِلَّا الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْهُمْ وَقُولُوا آمَنَّا بِالَّذِي أُنزِلَ إِلَيْنَا وَأُنزِلَ إِلَيْكُمْ وَإِلَٰهُنَا وَإِلَٰهُكُمْ وَاحِدٌ وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ﴾ (العنكبوت: ٤٦)، آخذين بعين الاعتبار تحذيراته ﷺ من ظلم الأقليات غير المسلمة في المجتمع الإسلامي - وخاصة ممن لهم عهد وذمّة -حيث قال ﷺ: «من ظلم معاهدًا أو انتقصه حقًا، أو كلفه فوق طاقته، أو أخذ منه شيئًا بغير طيب نفس فأنا حجيجه يوم القيامة»، رواه أبو داود، وقال أيضًا: «من آذى ذميًا فأنا خصمه، ومن كنت خصمه خصمته يوم القيامة»، وقال أيضًا: «من آذى ذميًا فقد آذاني، ومن آذاني فقد آذى الله»، وروى نافع عن ابن عمر أنه قال: كان آخر ما تكلم به النّبيّ ﷺ أن قال: «احفظوني في ذمتي».

لقد قام الصحابة مسترشدين في معاملتهم بقوله تعالى: ﴿لَا يَنْهَاكُمُ اللَّهُ عَنِ الَّذِينَ لَمْ يُقَاتِلُوكُمْ فِي الدِّينِ وَلَمْ يُخْرِجُوكُم مِّن دِيَارِكُمْ أَن تَبَرُّوهُمْ وَتُقْسِطُوا إِلَيْهِمْ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ٨﴾ (الممتحنة)، وبتنفيذهم للمبادئ القرآنية والسنة النبوية تتحقق القاعدة الشرعية: «لهم ما لنا وعليهم ما علينا»... ولهذا كان هذا العنوان: «التعددية وانعكاساتها، في ضوء المفاهيم المعاصرة» محاولة تضاف إلى ما سبقها باتهام الإسلام باضطهاد الأقليات، بأنها مهضومة الحقوق، خلافًا لواقع تعاليم الإسلام التي تعترف بالتعددية، ونفي تهمة التسلط والهيمنة، ومنع الرأي الآخر، وعدم الاستماع إليه، وحرمان أصحابه من التعبير عنه بحرية، دعمًا لأقوال بعض علماء المسلمين ومفكريهم المعاصرين، ممن بحثوا في مواضيع التعددية في المجتمع الإسلامي، وبجوازها دون قيد أو شرط في المجتمع الإسلامي، مع الاعتراف بالثوابت الشرعية ومرتكزاتها الأساسية، مسايرين في ذلك، تطور الحياة البشرية، تحت مظلة العدالة والمساواة، وحرية الاعتقاد والتعبير.

يقول تعالى: ﴿هُوَ الَّذِي خَلَقَ لَكُم مَّا فِي

الأَرْضِ جَمِيعًا ثُمَّ اسْتَوَى إِلَى السَّمَاءِ فَسَوَّاهُنَّ سَبْعَ سَمَاوَاتٍ وَهُوَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾(البقرة: ٢٩)، فكل صنف من أصناف الأحياء المخلوقة يتنوع ويتعدد إلى أمم وجماعات، فتقوم التعددية في إطار هذا النوع من الأحياء، كما قامت التعددية في إطار الخلق الحي الذي خلقه الله: ﴿وَمَا مِن دَآبَّةٍ فِي الأَرْضِ وَلاَ طَائِرٍ يَطِيرُ بِجَنَاحَيْهِ إِلاَّ أُمَمٌ أَمْثَالُكُم مَّا فَرَّطْنَا فِي الكِتَابِ مِن شَيْءٍ ثُمَّ إِلَى رَبِّهِمْ يُحْشَرُونَ﴾ (الأنعام: ٣٨).

تنوع

وهذه الأرض التي خلقها الله وسواها، فيها ألوان وألوان من التعددية والتنوع والتمايز والاختلاف، لا يعلم عدده إلّا الله... تنوع في الجبال الرواسي والأوتاد التي تحفظها من أن تمتد... وتنوع في الأنهار – المالحة والعذبة – تنوع بواسطة البرازخ التي تخالف وتمايز مياه كل بحر من البحار ونهر من الأنهار... وتنوع في طبائع قطع الأرض المتجاورات... وتنوع في الثمرات ذات الأرض الواحدة التي خلقها الله. عالم – بل عوالم – من التعددية والتنوع والاختلاف، التي لم يحص العلم الإنساني أعدادها في إطار هذه الأرض: ﴿وَهُوَ الَّذِي مَدَّ الأَرْضَ وَجَعَلَ فِيهَا رَوَاسِيَ وَأَنْهَارًا وَمِن كُلِّ الثَّمَرَاتِ جَعَلَ فِيهَا زَوْجَيْنِ اثْنَيْنِ يُغْشِي اللَّيْلَ النَّهَارَ إِنَّ فِي ذَلِكَ لآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ، وَفِي الأَرْضِ قِطَعٌ مُّتَجَاوِرَاتٌ وَجَنَّاتٌ مِّنْ أَعْنَابٍ وَزَرْعٌ وَنَخِيلٌ صِنْوَانٌ وَغَيْرُ صِنْوَانٍ يُسْقَى بِمَاءٍ وَاحِدٍ وَنُفَضِّلُ بَعْضَهَا عَلَى بَعْضٍ فِي الأُكُلِ إِنَّ فِي ذَلِكَ لآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ﴾ (الرعد:٢-٤).

ومثل الأرض– في التعددية والتنوع بإطار الوحدة – جاء خلق الله – سبحانه وتعالى للسماء – فهي سبع سموات... وفيها ما لا يعلم عدده إلّا الله من عوالم الكواكب والنجوم والمجرات: ﴿هُوَ الَّذِي خَلَقَ لَكُم مَّا فِي الأَرْضِ جَمِيعًا ثُمَّ اسْتَوَى إِلَى السَّمَاءِ فَسَوَّاهُنَّ سَبْعَ سَمَاوَاتٍ وَهُوَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾ (البقرة: ٢٩)،﴿إِنَّا زَيَّنَّا السَّمَاءَ الدُّنْيَا بِزِينَةٍ الْكَوَاكِبِ﴾ (الصّآفّات: ٦)، ﴿وَزَيَّنَّا السَّمَآءَ الدُّنْيَا بِمَصَابِيحَ وَحِفْظًا ذَلِكَ تَقْدِيرُ الْعَزِيزِ الْعَلِيمِ﴾ (فصّلت: ١٢).

عوالم التعددية

وبالشمس والقمر تتعدد المنازل والمدارات، والمشارق والمغارب، والليل والنهار، بالنسبة لكل موقع على سطح الأرض، وفي كل لحظة من اللّحظات... عوالم من التعددية والتنوع والاختلاف في إطار السماء التي خلقها الله.

وهذا الماء الذي أنزله الله من السماء، منه العذب السائغ شرابه، ومنه المالح الأجاج، ومنه البحار، والأنهار، وما سلكه الله في الأرض ليتفجر عيونًا وينابيع، مع التنوع الذي يدركه علم الإنسان في المذاق والخصائص ودرجات الحرارة والمكونات.

ومن هذا الماء الواحد تخرج عوالم وألوان وأصناف متعددة ومتنوعة ومتمايزة ومختلفة من الثمرات: ﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ أَنزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجْنَا بِهِ ثَمَرَاتٍ مُّخْتَلِفًا أَلْوَانُهَا﴾...

وهذه الرياح التي خلقها الله هي الأخرى عوالم من التنوع والتميّز والتعددية والاختلاف... فمنها ريح فيها صرّ أي برد شديد، أو سموم حارّة، ومنها ريح طيبة، وأخرى عاصف شديد الهبوب والتدمير، وقد تأتي قاصفا أي: عاصفًا مهلكًا يقصف الأشجار، وكذلك الرّيحَ الْعَقِيمَ... إلخ، عالم من التعددية والتنوع – الاختلاف – ذلك الخلق الواحد الذي أبدعه بديع السموات والأرض – سبحانه وتعالى.

دين الله واحد، وهذا الدين الإلهي الواحد هو «الإسلام» .. أي طاعة لله، وإسلام الوجه له في هذه الثوابت التي يتدين بها الإنسان ..وتوحيد الألوهية، وإخلاص العبودية لله وحده، والعمل الصالح الذي سيتم الحساب والجزاء عليه يوم البعث والنشور..

وعلى هذه الحقيقة الدينية يؤكد القرآن الكريم: ﴿إِنَّ الدِّينَ عِندَ اللَّهِ الْإِسْلَامُ﴾.

وإذا كانت الإنسانية قد بدأت بالوحدة في الدين والأمّة – الجماعة – والملّة والشريعة – قبل أن تتمايز الأمم وتتعدد، فتختلف في الشرائع: ﴿وَمَا كَانَ النَّاسُ إِلاَّ أُمَّةً وَاحِدَةً فَاخْتَلَفُواْ وَلَوْلَا كَلِمَةٌ سَبَقَتْ مِن رَّبِّكَ لَقُضِيَ بَيْنَهُمْ فِيمَا فِيهِ يَخْتَلِفُونَ﴾(يونس: ١٩)، فإن الاختلاف الذي تأسس على تعدد الأمم وتمايزها هو الاختلاف الطبيعي، تعددت له الرسالات والرسل والكتب والشرائع بتمايز ما اختلفت فيه هذه الأمم والجماعات والأقوام.

وهـذا الاختلاف الطبيعي – في الشرائع – سنة من سنن الله في الاجتماع الديني: ﴿وَلَوْ شَاء رَبُّكَ لَجَعَلَ النَّاسَ أُمَّةً وَاحِدَةً وَلَا يَزَالُونَ مُخْتَلِفِينَ﴾ (هود: ١١٨).

فالشرائع المتعددة هي بمثابة سبل ومناهج التدين بأصول الدين الإلهي الواحد... فهي – بالقياس إلى هذه الأصول – بمثابة الفروع التي يقتضي تطور وتميز أمم الرسالات تطورها وتمايزها، بينما تظل الوحدة دائمًا أبدًا في الأصول الثوابت، التي تمثل أطراً حاكمة للتطور، وفلسفة دائمة للتجدد، وعقائد ثابتة في كل الشرائع بكل الرسالات، فدين الله في جميع الأمم واحد، وإنما تختلف الأحكام في الفروع التي تختلف باختلاف الزمان، وأمّا الأصول فلا خلاف فيها، قال تعالى:﴿قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ تَعَالَوْاْ إِلَى كَلِمَةٍ سَوَاء بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ أَلاَّ نَعْبُدَ إِلاَّ اللّهَ وَلاَ نُشْرِكَ بِهِ شَيْئًا وَلاَ يَتَّخِذَ بَعْضُنَا بَعْضًا أَرْبَابًا مِّن دُونِ اللّهِ فَإِن تَوَلَّوْاْ فَقُولُواْ اشْهَدُواْ بِأَنَّا مُسْلِمُونَ﴾ (آل عمران: ٦٤)... الاعتقاد بالله والنّبوّة وبترك الشر وبعمل البر والتخلق بالأخلاق الفاضلة مستوٍ في الجميع...».

على هذه الحقيقة – وحدة الدين، أزلًا وأبدًا، وتعدد الشرائع –أجمع المسلمون، حتى جعلوها بابا من أبواب أصول الاعتقاد الإسلامي...إن أصل الدين واحد، اتفق عليه الأنبياء، عليهم السلام، وإنما الاختلاف في الشرائع والمناهج).

ولهذه التعددية في الشرائع والمناهج وظيفة فكرية وحضارية... فالاختيار فيها، ومنها محكم ومعيار لتمايز أممها وتياراتها ومذاهبها وفرقائها، فيه وبه يتمايزون ويتفاضلون وفق ما يختارون،

وفي ذلك امتحان واختبار وابتلاء، وإن هذا الاختيار هو بداية للتنافس والتسابق والتدافع بين الفرقاء الذين تمايزوا في الاختيار...الأمر الذي جعل ويجعل لهذه التعددية وظيفة علاقتها وعروتها بالحرية، التي هي – في جوهرها– مسؤولية واختيار!.

الحاكميات البشرية

والتعددية في الحاكميات البشرية، في إطار وحدة الشريعة، تتبدى أكثر ما تتبدى في «السياسة الشرعية»، التي هي إسلامية وفقه إسلامي، تحكمها قواعد الموازنة بين المصالح والمفاسد، والتي لم ترد فيها حدود ثوابت، لخروجها من دائرة الثوابت إلى دائرة المتغيرات، وخروجه – من باب أولى – عن دائرة أصول الاعتقاد، فإذا كانت الشريعة الإلهية الواحدة التي هي «وضع إلهي ثابت» قد فصّلت في شؤون العبادات، وفي ثوابت المعاملات، وفي منظومة القيم، فإنها قد تركت أغلب تفاصيل وجزئيات ومتغيرات المعاملات الدنيوية للاجتهاد الإسلامي، وفقه الفروع، فتعددت فيه حاكميات الحاكمين والفقهاء والمفتين، ووجدنا الأمر مستقرًا على استبعاد الإمامة –الخلافة والدولة – والتدابير السياسية لشؤون العمران من إطار العقائد التي يكون معيار الخلاف فيها الإيمان والكفر وتصنيفها في إطار الفروع التي تتعدد فيها الاجتهادات، ويكون معيار الاختلاف فيها الصواب والخطأ – وفي الأول أجران، وفي الثاني أجر. ورأينا الشيخ الغزالي يقول: «إن نظرية الإمامة ليست من المهمات، وليست من فن المعقولات فيها، بل من الفقهيات»، الفروع فأغلب الأحكام الشرعية تتعدد فيها الحاكميات.

وهذه الأحكام التي قد تتعدد بتعدد اجتهادات الحاكمين (القضاة، والفقهاء المجتهدين) ليست معزولة عن المصدر الشرعي، والتكليف الإلهي، بل إنها قد عدت – في الأصول الإسلامية – من أحكام الله دون أن يضفي ذلك التوصيف على المجتهدين فيها عصمة أو كهانة، لأنها اجتهاداتهم وليست تنزيلًا، وهي حكم الله في حقهم، يجب التزامهم به.

الحضارة الإنسانية متعددة

الحضارة (في إصطلاح العربية) هي مقابل البداوة، فيها حضور وقرار، واستقرار، فالحضور أي: الحاضرين في الحضر، يحدثون تراكما في التمدن، والذي يتهذب به الواقع المادي، والتراكم.. تنمو به الثقافة، التي تهذب النفس الإنسانية، فينهض العمران، وتعم الحضارة... فالحضارة عمران بواقعها المادي العمراني وواقعها الثقافي في تهذيب النفس الإنسانية، وهي ثمرة الحضور والاستقرار في الحاضرة والحواضر، والقرار في المدن والقرى والديار... في القرآن الكريم: ﴿وَاسْأَلْهُمْ عَنِ الْقَرْيَةِ الَّتِي كَانَتْ حَاضِرَةَ الْبَحْرِ إِذْ يَعْدُونَ فِي

السَّبْت إِذْ تَأْتِيهِمْ حِيتَانُهُمْ يَوْمَ سَبْتِهِمْ شُرَّعًا وَيَوْمَ لاَ يَسْبِتُونَ لاَ تَأْتِيهِمْ كَذَلِكَ نَبْلُوهُم بِمَا كَانُوا يَفْسُقُونَ﴾(الأعراف: ١٦٣) وفي الحديث النبوي الشريف «لا يبع حاضر لباد»، بمعنى أن لا يكون ساكن الحاضرة سمسارًا للبائع الآتي من البادية، فيغالي في ثمن السلعة المباعة، لإقامته في الحاضرة بها، بينما البادي يريد البيع سريعًا كي يقفل راجعًا، وفي شعر القطامي:

فمن تكن الحضارة أعجبته فأي رجال بادية ترانا.

والمتنبي يقول:

الناس للناس من بدو وحضر
بعض لبعض وإن لم يقصدوا فعلوا

فقد استخلف الله الإنسان لاستعمار الأرض وعمرانها: ﴿هُوَ أَنشَأَكُم مِّنَ الأَرْضِ وَاسْتَعْمَرَكُمْ فِيهَا فَاسْتَغْفِرُوهُ ثُمَّ تُوبُواْ إِلَيْهِ إِنَّ رَبِّي قَرِيبٌ مُّجِيبٌ﴾، لهذا كان مصطلح العمران في تراثنا القديم أخص بالدلالة على الحضارة التي اشتهر مصطلحها، وشاع في تراثنا الحديث .. إنها التمدن والثقافة، والتراكم العمراني الذي يتزين به الواقع المادي والنفس الإنسانية، وبه يرتقي الإنسان بواقعه، ويسهم الواقع المتمدن في ارتقاء الإنسان المديني المتمدن في الميادين العديدة: الدينية والخلقية والجمالية والعلمية والاقتصادية والسياسية... إلى آخر ميادين الارتقاء في العمران، وهي في إطار وحدة النزوع الإنساني للتحضر، بإزاء تعددية حضارية تتمايز فيها وبها الأمم والشعوب.

إن الثوابت والقسمات الحضارية، التي مثلت وتمثل الهوية التي تميّزت بها أمتنا وحضارتنا الإسلامية عن غيرها من الأمم والحضارات، تلك الخصائص التي نرى ارتباطها الأوثق بالخصيصة الوسطية الإسلامية، هي التي ميزت حضارتنا عن كثير من الحضارات الأخرى بالتوازن والموازنة وذلك إن الحضارة عبارة عن تمايز العموم والخصوص بين الحضارات الإنسانية في الهوية والثقافة والعقائد والفلسفات، وهي عبارة عن كيان ثقافي أهمها تمايزها في الدين، والآراء المختلفة عن العلاقة بين الله والإنسان، والفرد والجماعة، والوطن والدولة، والآباء والأبناء، والزوج والزوجة، وكذلك الآراء المتباينة عن الأهمية النسبية للحقوق والمستويات، والحرية والسلطة، والمساواة والتنظيم الهرمي...وميادين هذه الخصوصيات الحضارية في العلوم الإنسانية والاجتماعية والآداب والفنون والجماليات والعادات والأعراف، تلك التي تتمايز فيها النفس الإنسانية وفق المواريث والعقائد والفلسفات والثقافات والقيم والملل الخ....

تضاد وتغاير

وتعددية التمايز هذه، والتضاد والتغاير بين الحضارات تشترك في الوحدة فيما يسمونه: الحضارة العالمية والإنسانية الواحدة، فهي:

الاشتراك في الإيمان بالخالق. ففي كل الحضارات التاريخية منها والمعاصرة، هناك اشتراك بين جميعها في الأديان بوجود خالق لهذا الوجود، فالإيمان فطرة فطر الله الإنسان عليها...

ونرى اشتراك الحضارات في عموم الإيمان بخالق لهذا الوجود، وقد تتمايز تصوراتها في خصوصية نطاق وآفاق عمل وتدبير الخالق في هذا الوجود... الاشتراك في إنسانية الحضارات، فالحضارات جميعها من صنع الإنسان وإبداعه، عندما يرتقي على سلم التمدن والثقافة والاستقرار لكنها تختلف في التصور الفلسفي لمكانة الإنسان في الكون..

في فلسفة الحضارة الهندية تهميش للإنسان، بحيث تجعله الحقير المجبر الذي لا سبيل إلى خلاصه إلا بالفناء المطلق، أو في ذات الحق «الله» في بعض مذاهب التصوف الفلسفي.

وفي الفكر المادي الغربي تأليه للإنسان، بحيث تجعل منه سيد الكون بالحرية والاختيار، بأن يحلل الحرام، ويحلل الحلال كحق من حقوقه الطبيعية التي لا تلتزم بشريعة من شرائع السماء.

أمّا الإسلام فللإنسان مكانة خاصة، فهو خليفة الله سبحانه وتعالى في الأرض، حر وقادر، ومستطيع وفاعل في حدود عهد الاستخلاف الذي هو الشريعة الإلهية، فهو سيد الكونين وعبدالله وخليفته.

كل الحضارات الإنسانية تشترك في الدين في مصدره وآفاقه، حتى إن الديانات الوضعية والشريحة التي ألحدت، وأحلت المادة محل الله، قد جعلت من الفلسفة المادية عقيدة وديناً.

من هنا نلمس التمايز بين هذه الحضارات ورؤيتها لمصدر الدين، فحضارات الديانات الوضعية غير السماوية في الشرق الأقصى، والحضارة الغربية تقف بمفاهيمها المتعددة، فهي تزعم بأن الدين هو إفراز بشري وثمرة من ثمرات العقل الإنساني، فهذه الحضارات عرفت الدين، لكنها جعلته وضعًا إنسانيًا، وليس وضعًا إلهيًا ووحيًا سماويًا، حتى الحضارات التي اشتركت في الإيمان بالوضع الإلهي للدين، نراها قد تمايزت في تحديد آفاق عمل هذا الدين، فالذين جعلوا الدين علاقة فردية وشخصية خاصة بين الفرد وخالقه وشعائر محبوسة في القلوب والصوامع، وعزله عن أن يضبط ويدبر ويرشد كل ميادين الحياة والعمران، هؤلاء قد تميزت رؤية حضارتهم لآفاق عمل الدين، ولنطاق التدين عن الرؤية الإسلامية لهذه الآفاق.

العدد (٥٢٣) جمادى الأولى ١٤٣٤ هـ/ مارس- ابريل ٢٠١٣م

القرآن مصدر الاجتهاد المعاصر.. رؤية في تفسير آيات الأحكام

د.مسعود صبري - باحث في وزارة الأوقاف الكويتية

التفسير الموضوعي هو أحد ألوان تفسير القرآن الكريم، وقد تعددت تعريفاته، من أهمها:

هو الذي يجمع فيه المفسر الآيات الكريمة المتعلقة بموضوع واحد، على مستوى القرآن كله، أو مجموعة من سوره.

هو بيان ما يتعلق بموضوع من موضوعات الحياة الفكرية أو الاجتماعية أو الكونية من زاوية قرآنية؛ للخروج بنظرية قرآنية بصدده.

هو جمع الآيات المتفرقة في سور القرآن المتعلقة بالموضوع الواحد لفظًا أو حكمًا، وتفسيرها حسب المقاصد القرآنية.

هو بيان موضوع ما من خلال آيات القرآن الكريم في سورة واحدة أو سور متعددة.

هو علم يتناول القضايا حسب المقاصد القرآنية من خلال سورة أو أكثر(١).

منهج تفسير آيات الأحكام

والغالب على منهج تفسير آيات الأحكام هو جمع الآيات التي يعتقد أنها آيات أحكام، ويفسرها آية آية، وغالب من كتب في هذا اللون من التفسير عد الآيات التي تتعلق بالأحكام الفقهية (٥٠٠) آية، بل هناك بعض الباحثين المعاصرين- ممن لا يؤمنون بمقاصد التشريع- يرى أن آيات الأحكام مائتان، ألغيت منهم مائة وعشرون وبقي منها ثمانون آية تشريعية حتى اليوم(٢)، ومنهم من توسع في التفسير كالإمام القرطبي، ولكن تفسيره لا يعد- عند التحقيق- مما يندرج تحت تفسير آيات الأحكام؛ لأنه ضمن إليه مباحث متعددة غير العناية بآيات الأحكام.

منهج الاجتهاد من خلال التفسير الموضوعي للأحكام

إننا بحاجة إلى نضح هذا القسم من علم التفسير، ويمكن أن يتطور ليكون علمًا مستقلًا، وعلى كل، فليست المشكلة أن نعتبر التفسير الموضوعي علمًا مستقلًا، أو أن يندرج تحت علم التفسير، أو أن نعتبر الكل ما يمكن أن يطلق عليه «علوم التفسير»، ولكن الأهم هو إيجاد خطوات عملية لعملية الاجتهاد من خلال التفسير الموضوعي.

ضوابط الاجتهاد في التفسير الموضوعي للأحكام

هناك عدد من الضوابط الحاكمة لعملية الاجتهاد من خلال التفسير الموضوعي للأحكام، ومن أهمها:

- ألا يقدم على الاجتهاد إلا من توافرت فيه شروطه التي ذكرها العلماء في كتب الأصول، فيكون الاجتهاد صادرًا من أهله وفي محله.
- أن الأولى في مثل هذا النوع من الاجتهاد أن يكون صاحبه حافظًا لكتاب الله تعالى عن ظهر قلب، حتى يمكن له استحضار الآيات ومعايشتها، بحيث يتولد عن هذه المعايشة صحبة علمية وروحية مع القرآن الكريم تكون سببًا لفتح الله تعالى للفقيه أن يصل إلى حكم النازلة.
- ألا يتقيد المفسر المجتهد في النوازل بمذهبه، إن كان له مذهب، أو شيخ أو هيئة، بل لابد من التجرد التام، وترك العصبية الفقهية بحيث لا يؤثر شيء عليه أثناء عملية الاجتهاد.
- أن يتقيد المفسر المجتهد بأدوات التفسير والضوابط المنهجية فيه، بحيث يعرف متى يقف في جزئيات لا يصلح فيها إلا ما ورد في النقل، ومتى يعمل اجتهاده في المنقول، وما مدى إعمال العقل في المسألة.
- إعمال القواعد الكلية للتشريع، ومن أهمها كما يشير د.الريسوني: الأصل في الأشياء الإباحة والتسخير، لا دين إلا ما شرعه الله، ولا تحريم إلا ما حرمه الله، حِل الطيبات وحرمة الخبائث، التكليف بحسب الوسع، الوفاء بالعهود والأمانات، التصرف في الأموال منوط بالحق والنفع، التعاون على البر والتقوى.. وغيرها مما يصلح أن يكون قواعد تشريعية كلية(٣).

نموذج من الاجتهاد من خلال التفسير الموضوعي للأحكام

ممارسة النساء لرياضة كرة القدم

وهذه من القضايا المثارة، وهي من النوازل التي لم تعرف لا في عهد المتقدمين ولا المتأخرين، ولكنها نازلة في عصرنا.

تصور المسألة:

لابد أن يكون للفقيه تصور عن المسألة النازلة أولًا، فتكوين فرق كروية للنساء يكون كما هو الحال مع الرجال.. أن هناك نساء يمارسن رياضة كرة القدم، لهن تدريبات متنوعة حتى يتأهلن للعب، هناك مدربون، واستاد للتدريب والتمرين والممارسة، هناك مسابقات محلية ودولية، هناك سفر إما داخل القطر أو خارجه، هناك جوائز، هناك مدفوعات،

هناك أجور للاعبات والمدربين وكل العاملين في الحقل الكروي.
تكشف المرأة عن أعضاء من عورتها، فهي تلبس «المشورت الرياضي»، قد تكون حاسرة الرأس أو تغطي رأسها، لكن غالب اللباس ضيق يصف أعضاء من الجسد، تظهر من المرأة ما تحت الركبة، ويظهر نصف الذراع.
تكون المباراة في ملعب بين فريقين من النساء، وأحيانا يكون بين الرجال والنساء، وهناك حكام، ومتفرجون والأطقم الإدارية والتنظيمية.
تجري النساء في الملعب، ينظر إليها المشاهدون وهي تتمايل وتجري لأجل تحصيل الكرة، قد تقع على الأرض، ويظهر منها ما قد تجسد من عورتها، حركاتها بالجري والقفز والرمي بالكرة ونحوها مما هو معروف ومشاهد.
عناصر التكييف
ممارسة الرياضة الجماعية من النساء.
إظهار عورة المرأة.
الحركات داخل الملعب.
رؤية الرجال المشاهدين لها من خلال الملعب، أو من خلال البث التلفزيوني.
قيام مدربين بتمارين للنساء.
ما قد يصاحبه من لمس للمدرب للمرأة أثناء التدريب.

عناصر الاجتهاد في المسألة من القرآن

إذا نظرنا إلى القرآن الكريم نجد بعض الآيات التي يمكن أن نجتهد من خلالها لبيان الحكم الشرعي للعب النساء كرة القدم، من تلك الآيات:
الموضع الأول:
(قُل لِّلْمُؤْمِنِينَ يَغُضُّوا مِنْ أَبْصَارِهِمْ وَيَحْفَظُوا فُرُوجَهُمْ ذَلِكَ أَزْكَى لَهُمْ إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا يَصْنَعُونَ. وَقُل لِّلْمُؤْمِنَاتِ يَغْضُضْنَ مِنْ أَبْصَارِهِنَّ وَيَحْفَظْنَ فُرُوجَهُنَّ وَلَا يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ إِلَّا مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَلْيَضْرِبْنَ بِخُمُرِهِنَّ عَلَى جُيُوبِهِنَّ وَلَا يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ إِلَّا لِبُعُولَتِهِنَّ أَوْ آبَائِهِنَّ أَوْ آبَاءِ بُعُولَتِهِنَّ أَوْ أَبْنَائِهِنَّ أَوْ أَبْنَاءِ بُعُولَتِهِنَّ أَوْ إِخْوَانِهِنَّ أَوْ بَنِي إِخْوَانِهِنَّ أَوْ بَنِي أَخَوَاتِهِنَّ أَوْ نِسَائِهِنَّ أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُنَّ أَوِ التَّابِعِينَ غَيْرِ أُولِي الْإِرْبَةِ مِنَ الرِّجَالِ أَوِ الطِّفْلِ الَّذِينَ لَمْ يَظْهَرُوا عَلَى عَوْرَاتِ النِّسَاءِ وَلَا يَضْرِبْنَ بِأَرْجُلِهِنَّ لِيُعْلَمَ مَا يُخْفِينَ مِن زِينَتِهِنَّ وَتُوبُوا إِلَى اللَّهِ جَمِيعًا أَيُّهَ الْمُؤْمِنُونَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ (النور: ٣٠ – ٣١).
فيستفاد من هاتين الآيتين بعض الأحكام منها:
حرمة نظر الرجال للنساء بدوام النظر دون حاجة، ومشاهدة الرجال لمباريات كرة القدم النسائية ليست من الحاجات، وما أفضى إلى الحرام فهو حرام، كما فيه الوجوب بغض النظر من قبل النساء للرجال.
وجوب الالتزام بستر عورة المرأة المسلمة، وألا تظهر من عورتها شيئًا أمام الأجانب، وعورة المرأة، وإن كانت محل خلاف بين الفقهاء، إلا أنه لا خلاف في أن كل الجسد عورة، والمختلف فيه الوجه والكفان، بالإضافة إلى القدمين عند الأحناف،

وما سوى ذلك فلا خلاف في حرمة إظهاره أمام الأجانب، وتظهر المرأة بثياب المهنة أمام محارمها.

وفي ممارسة مباريات كرة القدم النسائية تظهر عورة المرأة المحرم كشفها.

أن النهي جاء بضرب المرأة مما تلبسه قديمًا من الخلجال ونحوه، فيقاس عليها حركات النساء في ممارسة كرة القدم، وإن كان النهي جاء في إبداء الزينة الخفية من الخلجال ونحوه، فيكون النهي عن إبداء ما يفتن مما هو ظاهر وليس خفيًا من باب أولى.

كما أنه يستفاد من الآية أيضا حرمة لمس المرأة إلا لحاجة، لأنه لما كانت النظرة إلى جسد المرأة حرامًا، كان لمسها محرمًا من باب أولى.

وفي تفسير عورة المرأة أورد ابن العربي- رحمه الله- نهي عمر بن الخطاب النساء أن يلبسن القباطي وقال: إن كانت لا تشف فإنها تصف. قال الفقيه القاضي أبوبكر رحمه الله: يريد الخصور والأرداف(٤).

ويشهد أيضًا لحرمة تفرج الرجال على النساء، ولو كن محتشمات لكنهن يجرين ويلهين ويلعبن، ما قاله ابن العربي في تفسير آية النور، فقال:

المسألة الثامنة، قوله: ﴿ وَلَا يَضْرِبْنَ بِأَرْجُلِهِنَّ لِيُعْلَمَ مَا يُخْفِينَ مِنْ زِينَتِهِنَّ). قال: كانت المرأة تضرب برجليها ليسمع قعقعة خلخاليها، فمن فعل ذلك فرحًا بحليهن فهو مكروه . ومن فعل ذلك تبرجًا وتعرضًا للرجال فهو حرام. وكذلك من صر بنعله من الرجال إن فعل ذلك عجبًا حرم، فإن العجب كبيرة وإن فعل ذلك تبرجًا لم يجز والله أعلم(٥).

الموضع الثاني:

﴿يا نِسَاءَ النَّبِيِّ لَسْتُنَّ كَأَحَدٍ مِنَ النِّسَاءِ إِنِ اتَّقَيْتُنَّ فَلَا تَخْضَعْنَ بِالْقَوْلِ فَيَطْمَعَ الَّذِي فِي قَلْبِهِ مَرَضٌ وَقُلْنَ قَوْلًا مَعْرُوفًا. وَقَرْنَ فِي بُيُوتِكُنَّ وَلَا تَبَرَّجْنَ تَبَرُّجَ الْجَاهِلِيَّةِ الْأُولَى﴾ (الأحزاب: ٣٢-٣٣).

ويستفاد من هذه الآية حرمة لين الكلام مع الرجال؛ خشية أن يطمع الذي في قلبه مرض، وصوت المرأة وإن كان- على التحقيق- ليس بعورة، ولكنه قد يكون فتنة، خاصة إذا كانت المرأة تنعم صوتها، وكذلك الحال في المشي، فإن المشي في حد ذاته ليس حرامًا، ولكن إن كانت المشية فيها من الميوعة ما يدعو الرجال إليها حرمت.

يقول الإمام الجصاص: وقوله تعالى: ﴿ولا تبرجن تبرج الجاهلية الأولى﴾ روى ابن أبي نجيح عن مجاهد: ﴿ولا تبرجن تبرج الجاهلية الأولى﴾ قال: كانت المرأة تتمشى بين أيدي القوم فذلك تبرج الجاهلية. وقال سعيد عن قتادة: ﴿ولا تبرجن تبرج الجاهلية الأولى﴾ يعني إذا خرجتن من بيوتكن. قال: كانت لهن مشية وتكسر وتغنج فنهاهن الله عن ذلك. وقيل: هو إظهار المحاسن للرجال. وقيل: في الجاهلية الأولى ما قبل الإسلام، والجاهلية الثانية حال من عمل في الإسلام بعمل أولئك.. فهذه الأمور كلها مما أدب الله تعالى به نساء النبي ﷺ صيانة لهن وسائر نساء المؤمنين مرادات بها(٦).

ولاشك أن التمارين الرياضية يتبعها كلام مع المدربين والمسؤولين وغيرهم، وليست كلها منصبة في الحديث عن الرياضة، أو أن يكون حديثًا جادًا، فضلًا عما يتبع الحديث من نظر، وكذلك حركات رياضية قد تثير الشهوة والغرائز.

ويحرم التبرج، وإن كانت المرأة غير عارية؛ لأن التبرج يعني ظهور ما حقه الخفاء، ومنه أن تلبس المرأة ثيابًا تغطي لكنها تجسد العورة، وتبين مفاصل الجسد، ويشهد لهذا حديث أبي هريرة رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال: «صنفان من أهل النار لم أرهما: قوم معهم سياط كأذناب البقر يضرب بها الناس، ونساء كاسيات عاريات مميلات مائلات رؤوسهن كأسنة البخت المائلة، لا يدخلن الجنة ولا يجدن ريحها، وإن ريحها ليوجد من مسيرة كذا وكذا»(٧).

الموضع الثالث:

﴿وَإِذَا سَأَلْتُمُوهُنَّ مَتَاعًا فَاسْأَلُوهُنَّ مِنْ وَرَاءِ حِجَابٍ ذَلِكُمْ أَطْهَرُ لِقُلُوبِكُمْ وَقُلُوبِهِنَّ﴾ (الأحزاب: ٥٣).

يستفاد من هذه الآية مقصدًا هامًا من مقاصد التشريع في العلاقة بين الجنسين، وهو طهارة القلب، فهو مقصود عظيم يجب الانتباه إليه والسعي لتحقيقه، فهل ما يحدث في مباريات كرة القدم للنساء كوسيلة يتحقق بها مقصد طهارة القلب؟

الموضع الرابع:

﴿يَاأَيُّهَا النَّبِيُّ قُلْ لِأَزْوَاجِكَ وَبَنَاتِكَ وَنِسَاءِ الْمُؤْمِنِينَ يُدْنِينَ عَلَيْهِنَّ مِنْ جَلَابِيبِهِنَّ ذَلِكَ أَدْنَى أَنْ يُعْرَفْنَ فَلَا يُؤْذَيْنَ وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَحِيمًا﴾ (الأحزاب: ٥٩).

وهي نص بوجوب ستر العورة، ووجوب الحجاب الكامل للمرأة المسلمة، قال الإمام ابن العربي: «اختلف الناس في الجلباب على ألفاظ متقاربة عمادها أنه: الثوب الذي يستر به البدن، لكنهم نوعوه هاهنا فقد قيل: إنه الرداء، وقيل: إنه القناع»(٨).

وقال مجاهد في قوله تعالى ﴿يدنين عليهن من جلابيبهن﴾: يعني متجلببين ليعلم أنهن حرائر، فلا يتعرض لهن فاسق بأذى من قول ولا ريبة(٩).

الموضع الخامس:

قوله تعالى: ﴿وَلَمَّا وَرَدَ مَاءَ مَدْيَنَ وَجَدَ عَلَيْهِ أُمَّةً مِنَ النَّاسِ يَسْقُونَ وَوَجَدَ مِنْ دُونِهِمُ امْرَأَتَيْنِ تَذُودَانِ قَالَ مَا خَطْبُكُمَا قَالَتَا لَا نَسْقِي حَتَّى يُصْدِرَ الرِّعَاءُ وَأَبُونَا شَيْخٌ كَبِيرٌ. فَسَقَى لَهُمَا ثُمَّ تَوَلَّى إِلَى الظِّلِّ فَقَالَ رَبِّ إِنِّي لِمَا أَنْزَلْتَ إِلَيَّ مِنْ خَيْرٍ فَقِيرٌ. فَجَاءَتْهُ إِحْدَاهُمَا تَمْشِي عَلَى اسْتِحْيَاءٍ قَالَتْ إِنَّ أَبِي يَدْعُوكَ لِيَجْزِيَكَ أَجْرَ مَا سَقَيْتَ لَنَا فَلَمَّا جَاءَهُ وَقَصَّ عَلَيْهِ الْقَصَصَ قَالَ لَا تَخَفْ نَجَوْتَ مِنَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ. قَالَتْ إِحْدَاهُمَا يَا أَبَتِ

اسْتَأْجِرْهُ إِنَّ خَيْرَ مَنِ اسْتَأْجَرْتَ الْقَوِيُّ الْأَمِينُ﴾ (القصص : ٢٣ – ٢٦)

ومن أحكام هذه الآيات:

حظر مزاحمة النساء للرجال، وذلك في قوله تعالى: ﴿قَالَتَا لَا نَسْقِي حَتَّى يُصْدِرَ الرِّعَاءُ﴾.

الحديث مع الرجال للحاجة وبلطف وتأدب، وذلك في قوله تعالى: ﴿فَجَاءَتْهُ إِحْدَاهُمَا تَمْشِي عَلَى اسْتِحْيَاءٍ قَالَتْ إِنَّ أَبِي يَدْعُوكَ لِيَجْزِيَكَ أَجْرَ مَا سَقَيْتَ﴾.

وفي تفسير ﴿إِنَّ خَيْرَ مَنِ اسْتَأْجَرْتَ الْقَوِيُّ الْأَمِينُ﴾ سأل الرجل الصالح ابنته، وقال لها: قال يا بنية هذه قوته فما أمانته؟ قالت: إنك لما أرسلتني إليه قال لي: كوني ورائي لئلا يصفك الثوب من الريح وأنا عبراني لا أنظر إلى أدبار النساء، ودليني على الطريق يمينًا ويسارًا (١٠).

وهذه الآية قد تكون نصًّا في حرمة ممارسة النساء للرياضة مع الرجال.

الموضع السادس:

قوله تعالى: ﴿إِنَّ الْمُسْلِمِينَ وَالْمُسْلِمَاتِ وَالْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ وَالْقَانِتِينَ وَالْقَانِتَاتِ وَالصَّادِقِينَ وَالصَّادِقَاتِ وَالصَّابِرِينَ وَالصَّابِرَاتِ وَالْخَاشِعِينَ وَالْخَاشِعَاتِ وَالْمُتَصَدِّقِينَ وَالْمُتَصَدِّقَاتِ وَالصَّائِمِينَ وَالصَّائِمَاتِ وَالْحَافِظِينَ فُرُوجَهُمْ وَالْحَافِظَاتِ وَالذَّاكِرِينَ اللَّهَ كَثِيرًا وَالذَّاكِرَاتِ أَعَدَّ اللَّهُ لَهُمْ مَغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًا﴾ (الأحزاب: ٣٥).

فرغم أن هذه الآية ليست من آيات الأحكام فإنه يستفاد منها الصورة العامة لطبيعة العلاقة بين الرجال والنساء من المسلمين، وهي أصول الأخلاق في التعامل والسلوك، وما يستنبط من جو الآية من أخلاق المؤمنين والمؤمنات في التعامل، وما يقابل هذا ما قد تكون عليه العلاقة بين الرجال والنساء في إقامة مسابقات كرة القدم.

الموضع السابع:

وقوله تعالى: ﴿وَالْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ يَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَيُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَيُطِيعُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ أُولَئِكَ سَيَرْحَمُهُمُ اللَّهُ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾ (التوبة: ٧١)

وهذه الآية– أيضًا– وإن كانت نصًّا في الأحكام، فإنها توضح طبيعة العلاقة بين الرجال والنساء من المؤمنين، من الولاية بالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر وطاعة الله ورسوله، والتزام الأحكام الشرعية في التعامل، وأن تكون تلك الأحكام هي المرجعية بأن تكون دائمًا في التعامل بينهم مرعية.

الموضع الثامن:

قوله تعالى: ﴿فَالصَّالِحَاتُ قَانِتَاتٌ حَافِظَاتٌ لِلْغَيْبِ بِمَا حَفِظَ اللَّهُ﴾ (النساء: ٣٤)، وإن كانت جل التفاسير ترى معنى حافظات للغيب مختصًا بحفظ المرأة زوجها في نفسها وماله في غيبته، كما قال الإمام القرطبي: «هذا كله خبر ومقصوده الأمر بطاعة الزوج والقيام بحقه في ماله وفي نفسها في حال غيبة الزوج»(١١).

أو أن المقصود بالحفظ مطلق طاعة الزوج، بمعنى أن «النساء الصالحات في دينهن مطيعات لأزواجهن أو مطيعة لله في حق أزواجهن»(١٢).

ويمكن أن تكون الآية وصفًا للمؤمنة بأنها: مراقبة لله تعالى في تصرفاتها وشؤونها، وأنها لا تفعل إلا ما يرضي الله تعالى، ولو كانت بعيدة عن الأعين.

الموضع التاسع:

قوله تعالى: ﴿زُيِّنَ لِلنَّاسِ حُبُّ الشَّهَوَاتِ مِنَ النِّسَاءِ وَالْبَنِينَ وَالْقَنَاطِيرِ الْمُقَنْطَرَةِ مِنَ الذَّهَبِ وَالْفِضَّةِ وَالْخَيْلِ الْمُسَوَّمَةِ وَالْأَنْعَامِ وَالْحَرْثِ ذَلِكَ مَتَاعُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَاللَّهُ عِنْدَهُ حُسْنُ الْمَآبِ﴾ (آل عمران: ١٤).

وفي الآية إقرار لحقيقة أن المرأة مما يشتهي الرجل، وهو شيء مجبول عليه، فجعل الإسلام طريقه ما أباحه له من الطرق الشرعية كالزواج وملك اليمين– بشروطه وأحكامه– فهذه الشهوة المباحة من النساء، أما ما عداها فهي مما حرم الله تعالى، وهذا يعني أن رؤية الرجال للنساء وحركتهن، ومنها ممارسة النساء للكرة ومشاهدة الرجال لهن، مما يحرك الشهوة فيهم تجاههن.

ومن خلال مجموع هذه الآيات يمكن صياغة حكم شرعي لحادثة جديدة لم تعرف إلا في عصرنا، وهي كرة القدم للنساء.

وهكذا يمكن اعتماد ذلك المنهج في الحوادث النازلة: لنستنبط حكمها من القرآن الكريم.

الهوامش

١– مباحث في التفسير الموضوعي، د.مصطفى مسلم، ص: ١٦– ١٧. طبع دار القلم، دمشق، ١٤١٠هـ – ١٩٨٩م.

٢ – ذكر هذا الرأي د.مولاي عمر بن حماد دون أن يسمي صاحبه، راجع: التفسير الفقهي.. النشأة والخصائص، د.مولاي عمر بن حماد، كلية الآداب، المحمدية بالمغرب.

٣– راجع شرح القواعد بالتفصيل في: الكليات الأساسية للشريعة الإسلامية، د.أحمد الريسوني. ص: ٩٤–١١٨.

٤– أحكام القرآن لابن العربي: محمد بن عبدالله الأندلسي، ج٣/٣٨٦، دار الكتب العلمية.

٥– أحكام القرآن، أبوبكر محمد بن عبدالله بن العربي، ت ٥٤٣هـ، ج ٣ /٣٨٩، دار الفكر للطباعة والنشر – لبنان، تحقيق: محمد عبدالقادر عطا، الجامع لأحكام القرآن ، أبو عبدالله محمد بن أحمد الأنصاري القرطبي، ت٦٧١ ، ج ٣٣٨/١٢ دار الشعب – القاهرة.

٦ – أحكام القرآن . أحمد بن علي الرازي الجصاص أبو بكر، ت: ٣٧٠، ج ٥ /٢٣٠. دار إحياء التراث العربي، بيروت، ١٤٠٥، تحقيق : محمد الصادق قمحاوي.

٧ – أخرجه أحمد بن حنبل ٢٣٥٦، ٢٤٤٠، ٥٢٥٠، وأخرجه ابن حبان ١٦٥٠٣، وأخرجه البيهقي ٢٣٣٤، وأخرجه أبو يعلى ١٢٤٧، وأخرجه الطبراني ٢٢٢٥، وأخرجه الطبراني ٨٢٥٧، وأخرجه ابن أبي شيبة ٧٥٣٠، ٢٢٣٧١، ٥٢٥٧، ٥٢٥٨،

٨– أحكام القرآن لابن العربي، ج٣/٦٢٥.

٩– تفسير السمرقندي المسمى بحر العلوم، نصر بن محمد بن أحمد أبو الليث السمرقندي ت:٣٦٧، ج ٣ /٦٩، دار الفكر– بيروت، تحقيق: د.محمود مطرجي.

١٠– أحكام القرآن لابن العربي ج ٣ /٤٩٤.

١١– الجامع لأحكام القرآن ، أبو عبدالله محمد بن أحمد الأنصاري القرطبي، ج٥ /١٧٠، دار الشعب– القاهرة.

١٢– كتاب التسهيل لعلوم التنزيل، محمد بن أحمد بن محمد الغرناطي الكلبي، ج١/١٤٠دار الكتاب العربي، لبنان – ١٤٠٣هـ– ١٩٨٣م، الطبعة: الرابعة.

المكتبة الرقمية وأثرها في التعلم الذاتي

د. محمد حسان الطيان
أستاذ اللغة العربية - الجامعة العربية المفتوحة

لم يعد أمر العلم والتعليم والتعلّم مقصورًا على الدروس والمحاضرات والكتب والمكتبات والدوريات والمجلات، وإنما امتد في عصر المعلوماتية والحاسوب ليصبح على طرف الثمام من كل من يمتلك الحاسوب، أو يجلس إليه، أو يعبث بإزراره، فما هو إلا أن يطلب فيعطى، ويسأل فيجاب، ويبحث فيجد، وغالبًا ما يعود من عملية بحثية لم تستغرق سوى ساعات معدودات، بزاد وفير، وعلم غزير، وإجابات شافية، وحلول وافية.

رحم الله الشاعر إذ يقول:

ما العلم مخزون كتب
لديك منها الكثير
فللدجاجة ريش
لكنها لا تطير

أما إنه لو أدرك المكتبة الرقمية لعلم أنها تمنح القارئ جناحي نسر يطير بهما في أي موقع من مواقع القراءة والبحث والأدب والعلم والتعلّم.

تعرّيف المكتبة الرقمية

تعرف المكتبة الرقمية بأنها: المكتبة التي توفر نص الوثائق والمصادر في شكلها الإلكتروني، سواء كانت منشورة على الشابكة (internet)، أو مخزنة على الأقراص المدمجة CD أو الصُّلبة Hard أو غير ذلك من وسائل التخزين المحدثة (flash memory) وتمكن الباحث من الوصول إلى البيانات والمعلومات المخزنة إلكترونيًا من خلال شبكات المعلومات.

فالمكتبة الرقمية تختزن أساسًا مواد في شكلها الإلكتروني، وتسيطر على مجموعة ضخمة من هذه المواد بفعالية، ولذا فإن البحث في المكتبات الرقمية ما هو في الحقيقة إلا بحث في شبكات المعلومات ونظمها.

مزايا المكتبة الرقمية:

تمتاز المكتبة الرقمية بعدة مزايا أهمها:

١ – توفير حجم كبير من البيانات والمعلومات.

٢ – اختصار الكثير من الوقت والجهد.

٣ – تمكين الباحث من السيطرة على مصادر المعلومات الإلكترونية بيسر وسهولة ودقة وفاعلية، بحيث يمكنه التنظيم والتخزين والحفظ والاسترجاع والتعديل.

٤ – تمكين الباحث من الاتصال بزملائه عن طريق البريد الإلكتروني، والمشاركة في الندوات والمؤتمرات المرئية.

٥ – إتاحة المجال أمام الباحث لنشر نتائج بحثه (نشرًا إلكترونيًا) فور انتهائه منه.

مكنت الباحث من السيطرة على مصادر المعلومات بدقة وفاعلية وأتاحت النشر الإلكتروني ولا غنى عن الورق

وإذا كان للمكتبات الورقية أنظمة ترتبها وتصنفها كنظام ديوي العشري، فإن المكتبة الرقمية لا نظام لها ولا حدود تحدها، إنها من السعة بحيث لا تقبل التحديد ومن التنوع بحيث لا تقبل الترتيب والتصنيف. كلما سئلت أجابت، ولديها المزيد، والإبحار عبر الشابكة يثبت لك صحة قولي، فمئات المواقع العربية ترفد الثقافة العربية بكل غني ومفيد، وفيها مواقع متخصصة لخدمة اللغة وفنونها المختلفة، بدءًا من النحو والصرف، ومرورًا بالبلاغة والعروض، وانتهاء بمهارات الكتابة والإملاء.

قوام المكتبة الرقمية

مفتاح المكتبة الرقمية هو الحاسوب، فكل من ولج عالمه يستطيع أن يفيد من هذه المكتبة، وأن يطالع فيها، ويبحث في أرجائها، ويطوّف في شعبها، سواء كان ذلك في مواقع الشابكة (الإنترنت) أو في البرامج والنظم الإلكترونية، أو في النسَخ الإلكترونية من الكتب المختلفة.

وسأعرض فيما يلي لأهم أركان هذه المكتبة مبرزا أثرها في اللغة العربية.

الشابكة (الإنترنت)

ثمة مجالات كثيرة تستخدم فيها الشابكة (الإنترنت) لتوفير الخدمات للمكتبة الإلكترونية، ومن أهمها:

١ – المصادر الإلكترونية كالقرآن الكريم، والحديث النبوي الشريف، والموسوعات المختلفة، والمعجمات.

٢ – المجلات والصحف الإلكترونية العامة والمتخصصة.

٣ – فهارس المكتبات العالمية، حيث توفر أكثر من ألف مكتبة وطنية وجامعية فهارس على «الإنترنت»، هذا بالإضافة إلى الببليوغرافيات والكشافات المختلفة.

٤ – تطوير مجموعات المكتبة ومقتنياتها من خلال التزود الإلكتروني عن طريق الاتصال المباشر بدور النشر.

٥ – البحث في أي مجال معرفي عن طريق محركات البحث.

٦ – تقديم خدمات مرجعية سريعة وواسعة ودقيقة.

وتحظى العربية بنصيب لا بأس به في مواقع الشابكة، وإن كان صغيرًا بالقياس إلى مواقع اللغات الأخرى ولاسيما الإنجليزية، والمتصفح لها يتقلب بين مواقع الأدب والشعر واللغة والنحو والعروض، حتى ليغلب على الظن أنه ما من فن من فنون اللغة إلا وأنت واجد له حيزًا ما في هذه الشابكة، وتوفر لك محركات البحث خدمة سريعة للوصول إلى طلبتك، فما هو إلا أن تحدد ما تريد بكتابته على محرك للبحث كمحرك «google» حتى تحظى بسيل من المواقع التي ورد فيها ما حددت، ومن ثم تعمد إلى استعراضها واحدة واحدة، لتميز سمينها من غثها وتحظى منها بما تريد، وتصل إلى ما تبغي، سواء كان ذلك بيتا من الشعر، أو علما من الأعلام، أو مسألة من المسائل، ناهيك عن البحث عن آية كريمة، أو حديث شريف، أو خبر من

الأخبار، أو ما يتصل بذلك من أمور.
إن مواقع العربية على الشابكة لا تقتصر على عرض المادة اللغوية، أو وضع مصادر اللغة وأمهات الكتب العربية والمعجمات في داخلها، بل تتعدى ذلك كله إلى مواقع تعليمية تعلم فنون اللغة والأدب، فمن فن العروض إلى فن الكتابة والإملاء والنحو والبلاغة والشعر وغير ذلك.
بل إن الجامعات الافتراضية والمفتوحة باتت تعتمد الشابكة مصدرًا رئيسيًا من مصادر التعليم فيها، إذ تشتمل مواقعها على مقررات علمية تكاد تغني الطالب عن حضور المحاضرات التقليدية بما تشتمل عليه من محتوى المقرر، ووجوه التفاعل معه، ومع مدرّسه وزملاء الدراسة فيه.
وسأعرض فيما يأتي لأمثلة من بعض المواقع المعنية بالعربية ومصادرها مع نبذة يسيرة عن كل منها، أختمها بنبذة عن تعليم العربية في الموقع التعليمي للجامعة العربية المفتوحة التي أتولى فيها رئاسة مقررات اللغة العربية:

● **المكتبة الشاملة**
لعل هذه المكتبة هي الأكبر حجمًا، والأوسع انتشارًا، والأكثر استعمالاً، في المكتبات الرقمية العربية، فهي تشتمل على ٦١١١ كتابًا، وزعت في أقسام للبحث، تناولت علوم الشريعة الإسلامية بدءًا من القرآن وعلومه وتفاسيره، ومرورًا بالحديث ومتونه ورجاله، وانتهاءً بالعقيدة والفقه وأصوله والفتاوى، كما تناولت علوم العربية المختلفة من نحو وبلاغة وعروض ومعاجم، وكتب الأدب، والسيرة والتاريخ والتراجم والطبقات... إلخ.
وهي تمتاز بقابليتها للزيادة، والتطوير والتحديث، وقد أعلن أخيرًا عن آخر

تدقيق آلي وتصحيح نحوي ونظام صرفي وترجمة آلية وتحويل الكلام المكتوب إلى منطوق والعكس

إصدار لها وهو الإصدار الرسمي الثاني للمكتبة الشاملة (غرة رجب ١٤٣٣ هـ، ١ يونيو ٢٠١٢ م ورقم التحديث البرمجي به هو ٣,٤٨)
وهذا عنوانها على الشابكة
http://shamela.ws/indexphp/main

● **الوراق**
نُعِتَ هذا الموقع بأنه أكبر مكتبة عربية تراثية على الإنترنت، وهو يشتمل على مئات الكتب في شتى العلوم والفنون العربية.

● **مكتبة مشكاة الإسلامية**
يشتمل هذا الموقع على ٢٦٤٧ كتاب، فضلاً عن المقالات والدروس والفتاوى.

● **المنبر التعليمي للجامعة العربية المفتوحة (Arab CampusE-Learning System)**
وهو موقع إلكتروني خاص بالجامعة العربية المفتوحة وفروعها السبعة (في الكويت ولبنان والسعودية والأردن والبحرين ومصر وعمان) يشتمل على نظام تعليمي متكامل لمقررات الجامعة المختلفة، يتيح للطالب التفاعل مع أجزائه المتنوعة، والاطلاع على مقررات الجامعة المطلوبة من خلاله، وتعلم وحدات كل مقرر وفق التقويم الجامعي المتبع، وسؤال المدرس عن كل ما يعرض له من مشكلات، والتحاور مع زملائه ومدرسه في المنتدى المخصص لذلك، وتقديم الواجبات في مواعيدها المحددة، وغير ذلك من وجوه التفاعل مع المقرر وأستاذ المقرر.
كما يتيح للمدرس أن يدخل عبره إلى شعبه المختلفة، ويتعرف إلى طلابه، ويخاطبهم، ويجيب عن تساؤلاتهم، ويتابع نشاطاتهم، ويقبل واجباتهم، ويصححها، ويقومها، وغير ذلك من وجوه التفاعل مع المقرر وطلبة المقرر.

البرامج والنظم الإلكترونية
ثمة برامج ونظم إلكترونية وضعت لخدمة فنون العربية المختلفة كتعليم النحو، والعروض، والتدقيق الآلي، والتصحيح النحوي، والنظام الصرفي، والترجمة الآلية إلى العربية، وتحويل الكلام المكتوب إلى منطوق والعكس، وغير ذلك. وسأقتصر هنا على نظامين كان لي شرف المشاركة فيهما من خلال عملي في المعهد العالي للعلوم التطبيقية والتكنولوجيا التابع لمركز الدراسات والبحوث العلمية بدمشق، وقد أنجزا بتكليف ورعاية وتحكيم من المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم، وهما:

● **النظام الصرفي العربي:**
يرمي هذا النظام إلى استعمال الحاسوب في الانتقال من الجذر الثلاثي أو الرباعي إلى الكلمات المشتقة منه، إذ يقوم الحاسوب اعتمادًا على المعجم الحاسوبي، وعلى قوانين النحو والصرف بعمليتي الاشتقاق والتصريف (التوليد والتحليل).
أما في الاشتقاق فهو يولد:

● **الأفعال** المجردة محددا أبوابها التصريفية، وما يدل على لزومها وتعديتها، مع تحديد نوع الفعل المجرد من حيث الصحة والاعتلال والهمز والتضعيف.
● الأفعال المزيدة وأوزانها الصرفية، وما يدل على لزومها وتعديتها.
● الأسماء المشتقة: (اسم الفاعل ومبالغته، واسم المفعول، واسما الزمان والمكان، وأسماء الآلة، واسم التفضيل، والصفات المشبهة).
● المصادر السمعية للأفعال الثلاثية المجردة.
● المصادر القياسية للأفعال الثلاثية المزيدة وللأفعال الرباعية المجردة والمزيدة.

وأما في التصريف فهو يحلل:

● الأفعال «المجردة والمزيدة» عند إسنادها إلى جميع الضمائر (ضمائر المتكلم والمخاطب والغائب)، في صيغة الماضي والمضارع «مرفوعًا ومجزومًا ومنصوبًا ومؤكدًا» والأمر «مؤكدًا وغير مؤكد». وذلك في حال بناء الفعل للمعلوم، وبنائه للمجهول.
● الأسماء المشتقة والمصادر مفردة ومثناة ومجموعة، مذكرة ومؤنثة، وذلك في جميع حالاتها الإعرابية (الرفع والنصب والجر)، مع مراعاة الاسم من حيث تنكيره وتعريفه وإضافته.

ويمتاز هذا النظام بما يأتي:

● استيعابه جميع جذور العربية، فقد حوى:
(٧٨٢٠) جذرًا ثلاثيًا ورباعيًا.
(٢٣٦٥٥) فعلاً ثلاثيًا ورباعيًا، مجردًا ومزيدًا.
(١١٩٧٠) مصدرًا سماعيًا.
● قدرته على توليد جميع الأسماء المشتقة والمصادر القياسية.
● استغراقه جميع أبوب النحو والصرف المتعلقة بالاشتقاق وبتصريف الأفعال والأسماء، وكذلك قواعد التصريف المشترك (الإعلال، والإبدال، والادغام).
● قدرته على رسم الهمزة وفق قواعد رسمها.
● ضبطه التام للكلمات بالشكل.
● سهولة التعامل معه وسرعة تنفيذه.

ب – تعليم قواعد النحو بالحاسوب:
وهي مجموعة برامج حاسوبية يختص كل منها بدرس من دروس قواعد العربية، كالأفعال الخمسة، والحال، وكان وأخواتها... وقد تم إعدادها على نحو يتوافر فيه صفة الإنتاج الجيد علميًا وتربويًا وفنيًا، واستخدمت فيها تقنيات الوسائط المتعددة (Multimedia) وروعيت فيها النقاط الآتية:

● السهولة والوضوح، واجتناب كل استثناء أو شذوذ.
● العرض الشائق والتفاعل المتواصل.
● الإكثار من الأمثلة والشواهد.
● التدريبات والاختبارات مع التصحيح ومنح الدرجة المستحقة.
● تزويد كل درس بمكتبة يطلع الطالب من خلالها على عدة كتب تناولته.
● تزويد كل درس بفيلم فيديو.

الكتب والموسوعات والمخطوطات

وهي أكثر من أن تحصى، ولعل قادمات الأيام ستشهد تحولاً خطيرًا في هذا الباب فتترافق النسخة الورقية مع النسخة الإلكترونية من كل كتاب، ولا أزعم أن حضارة الورقة ستزول، وإنما أزعم أنها ستسير جنبًا إلى جنب مع حضارة الحاسوب والمكتبات الإلكترونية، حيث يغني قرص واحد عن مكتبة كاملة، وحتى لا أكون مبالغًا أو مغاليًا سأعرض لموسوعة واحدة، وضعت في قرص واحد، فأغنت عن مكتبة كاملة وهي الموسوعة الشعرية.

● الموسوعة الشعرية

تشتمل هذه الموسوعة على نحو المليونين ونصف المليون من أبيات الشعر (٢٤٣٩٥٨٩) موزعة على دواوين (٢٣٠٠) شاعر، بالإضافة إلى (٢٦٥) مرجعًا أدبيًا تشتمل عليها زاوية المكتبة، وتضم أمهات المصادر الأدبية العربية كالبيان والتبيين للجاحظ، والأغاني

لأبي

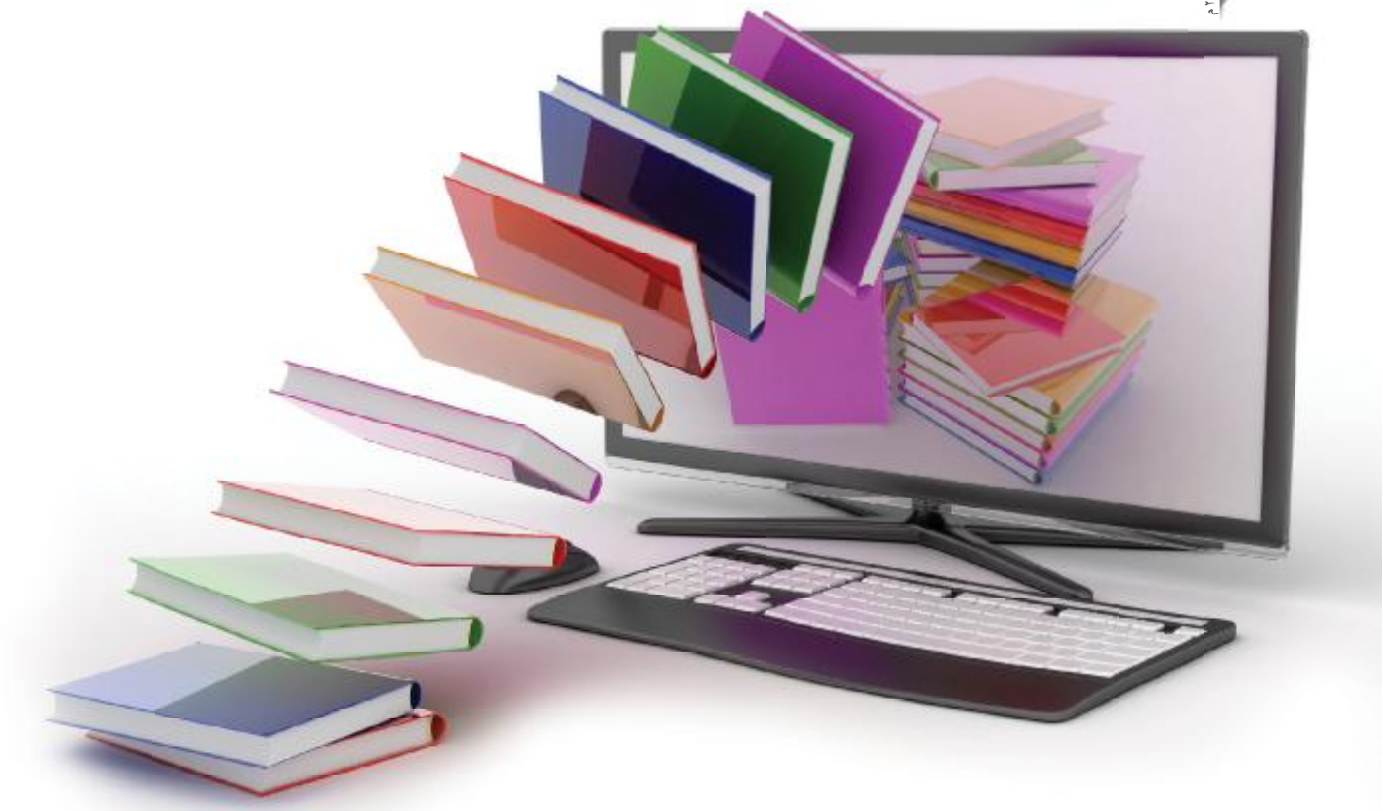

الفرج الأصفهاني، وأسرار البلاغة للجرجاني ومجمع الأمثال للميداني.
يضاف إلى ذلك عشرة معجمات تضمها زاوية المعجمات، وهي من أهم معجمات اللغة العربية، كأساس البلاغة للزمخشري، ولسان العرب لابن منظور، وتاج العروس للزبيدي.
وقد زودت الموسوعة الشعرية بكثير من المزايا الفنية والأدبية أهمها:
١ – خدمة البحث في نصوص الموسوعة بشقيها «الدواوين الشعرية» و«المجاميع الأدبية» حيث يتم البحث بطرق متعددة، كالبحث عن الشاعر بأي جزء من اسمه، أو القصيدة بمطالعها وقوافيها أو بحرها، أو البحث عن أي كلمة أو مجموعة كلمات.
٢ – التقطيع العروضي، وهي خدمة تمكن المستخدم من الحكم على سلامة أي بيت وتحديد بحره.
٣ – الاستماع إلى مجموعة من القصائد الشهيرة المسجلة بأصوات نخبة من الأدباء وغيرهم ممن يجيدون فن الإلقاء.
٤ – جداول إحصائية تدل على توزع الأبيات والقصائد والبحور الشعرية، وذلك حسب تصانيف مختلفة كالعصور والبلدان وغيرها.
٥ – تراجم كل الشعراء المدرجين فيها.
٦ – تعريف تفصيلي بالمراجع الأدبية والمعجمات اللغوية.
ولا بد لي أن أشير هنا إلى أنني كثير المراجعة في هذه الموسوعة، حتى لا يكاد يوم من أيامي يخلو من الرجوع إليها، للاستفسار عن بيت من الشعر، أو خبر من الأخبار، أو مسألة من مسائل اللغة والأدب، بل إني عولت عليها في تحضير درس أسبوعي في كتاب البيان والتبيين للجاحظ اضطلعت به منذ بضعة أشهر، فكانت والحق يقال نعم المُعين والمَعين يسترفده الوافد، وينهل منه الوارد.
وكنت كلما راجعت فيها مسألة تذكرت قوله تعالى ﴿قَالَ الَّذِي عِندَهُ عِلْمٌ مِّنَ الْكِتَابِ أَنَا آتِيكَ بِهِ قَبْلَ أَن يَرْتَدَّ إِلَيْكَ طَرْفُكَ﴾ فما إن أضغط على مؤشر البحث حتى يوافيني الحاسوب بمواضع يصعب على المرء أن يصل إليها في الساعات ذوات العدد.

خاتمة

على الرغم مما حققته المكتبة الرقمية للباحث والمتعلم من خدمات جليلة فإن بينها وبين ما هو مأمول منها أمدًا بعيدًا، فالعلم إن لم تعطه كلك لم يعطك بعضه. وعلى المتعلم ألا يكتفي بوجه واحد من وجوه التعلم، بل لابد له من صحبة أولي العلم والإفادة منهم ومن تجاربهم وخبراتهم. وليكن شعاره دائمًا: إنما العلم بالتعلم، وإنما الحلم بالتحلم، ومن يتوخّ الخير يعطه، ومن يتوقّ الشرّ يوقه.

مِن إعجاز ترتيب الأقارب في القرآن:

مَن أحَبُّ الأحبة إلى القلب ساعةَ الكَرب؟

عبد الإله بوشامة - أكاديمي مغربي

ترتيب المقولات النحوية في الكلام إمّا ترتيب خَطّي محتكم إلى ضوابط لغوية تَحفظ رتبة عناصره بعيدًا عن التأويل، وإما ترتيب منفتحة دلالته على تعدد القراءات، ومحتكمة معانيه إلى السياق التداولي ومقصديات المتكلم، وإذا تعلق الأمر بترتيب الأحبة في سلّم الحب، وفي مراقي القلب، فإنَّ سُلّم التأويل أعقد وأصعب، خاصة أنَّ المحبة شعور قلبي غامر هو سلطان المشاعر، وأن كيمياءها يصنع بالمرء ما تصنعه بالعجين الخمائر.

الإشكالية

المحبة جمع معقد وإنْ صيغت بصيغة المفرد، فهي تستوعب كمّاً غير محدود ممن تمارس عليهم كيمياءها العجيب. ومع أن البحث في الإنسانيات صعب، وتمحيص إشكالية ترتيب ذوي الرحم الأقربين في القلب محرج وعسير، فلا مانع من تجشّم ذلك. فهل هم في قلب المحبِّ على درجة واحدة أم درجات؟

ذلك ما سنحاول الكشف عنه من خلال المقاربة التالية.

المنهجية

تقتضي أسلمةُ المنهج والتصور أنْ يمتح الباحث من الخلفية المرجعية لرؤيته للعالم وللظواهر، فبديهي أنْ يشكل النص القرآني منطلقًا ومنتهى لحلّ الإشكالية، فكلام فاطر الخلق عن خلقه أولى من كل افتراض ومنطق.

المنطلق النصي

سنمحص الإشكالية انطلاقًا من ترتيبين مختلفين لأقرب الأقارب في آيات من سورتين كريمتين هما سورة عبس، عند قوله تعالى: ﴿يَوْمَ يَفِرُّ الْمَرْءُ مِنْ أَخِيهِ وَأُمِّهِ وَأَبِيهِ وَصَاحِبَتِهِ وَبَنِيهِ لِكُلِّ امْرِئٍ مِنْهُمْ يَوْمَئِذٍ شَأْنٌ يُغْنِيهِ﴾ (الآيات: ٣٤-٣٧)، وسورة المعارج عند قوله عز وجل: ﴿يَوَدُّ الْمُجْرِمُ لَوْ يَفْتَدِي مِنْ عَذَابِ يَوْمَئِذٍ بِبَنِيهِ وَصَاحِبَتِهِ وَأَخِيهِ وَفَصِيلَتِهِ الَّتِي تُؤْوِيهِ﴾ (الآيات: ١١ – ١٤). لا جرم أنَّ هذا المنطلق محفوف بالمزالق، لأنَّ ظاهره قد يشطّ بالباحث عن الميزان، ومنطوقه قد يزيغ به عن البرهان، وذلك لما تعرض له ترتيب المحبين إلى القلب من قلب. فهل الترتيب اعتباطي، أم مقصود لحكمة ما؟

الاستدلال

١- التأويل اللغوي: ظاهرة التقديم والتأخير

نستهلّ به المقاربة لأسبقيته التاريخية، وانبنائه على كلام العرب البلغاء قبل ظهور العلوم وأنواعها. فمن عادة العرب أن تبدأ كلامها بالأهم فالأهم، ولهذا حين سئل عليه الصلاة والسلام عما يُبدأ به في قوله تعالى: ﴿إِنَّ الصَّفَا وَالْمَرْوَةَ مِنْ شَعَائِرِ اللَّهِ﴾ (البقرة ١٥٨) قال: «اِبْدَؤوا بِمَا بَدَأَ الله به»(١). لكنَّ هذا البعدَ اللغويَّ القائمَ على منطق «الأول هو الأهم» مطلقًا يصطدم بترتيب الأقارب الضِّدّي في السورتين، ويتعارض ومقصدية ترتيبهم، وأسرار إعجازه، فلا يعقل أن يكون الأبناء مثلًا على درجة واحدة من الأهمية، وهم يتصدرون آيات «المعارج»، ثمَّ وهم هم مَن يذيِّلون آيات «عبس»!

نخلص إذًا إلى أن الاكتفاء بالبعد التأويلي اللغوي قاصر عن كشف أسرار الإشكال، فمع إقرارنا بمركزية ظاهرة التقديم والتأخير داخل البلاغة العربية، وعلم المعاني تحديدًا، (٢) إلا أنها عاجزة في حضرة النص القرآني المعجِز.

٢- التأويل السياقي:

أ- ظروف ترتيب الأقارب

١- مشهد ترتيب الأقارب في سورة عبس مشهد يجري في ظرف خاص، قال عنه سبحانه وتعالى: ﴿فإذا جَاءَت الصَّاخَّةُ﴾، وقد فُسرت الصاخة بأنها: إمَّا اسم من أسماء يوم القيامة عظمه الله وحذره عباده (ابن عباس) (٣)، وإمَّا اسم للنفخة في الصور (ابن جرير)، وإمَّا صيحة يوم القيامة، سميت بذلك لأنها تصخ الأسماع، أي تبالغ في إسماعها حتى تكاد تصمّها (البغوي)(٤)، وإمَّا الهول العظيم (٥)، ولا جرم أنَّ الموقف العام المميز لمشهد السورة هو موقف الفرار من أعزّ الأحباب.

تدور التفسيرات حول صيحة مهولة تكون يوم القيامة، لعلها الصيحة الثانية التي يقوم فيها الناس لرب العالمين، ومهما يكن، فإن لحظة الحسم النهائية للوقوف بين يدي الجبار لما تدقّ أجراسُها، وما زال

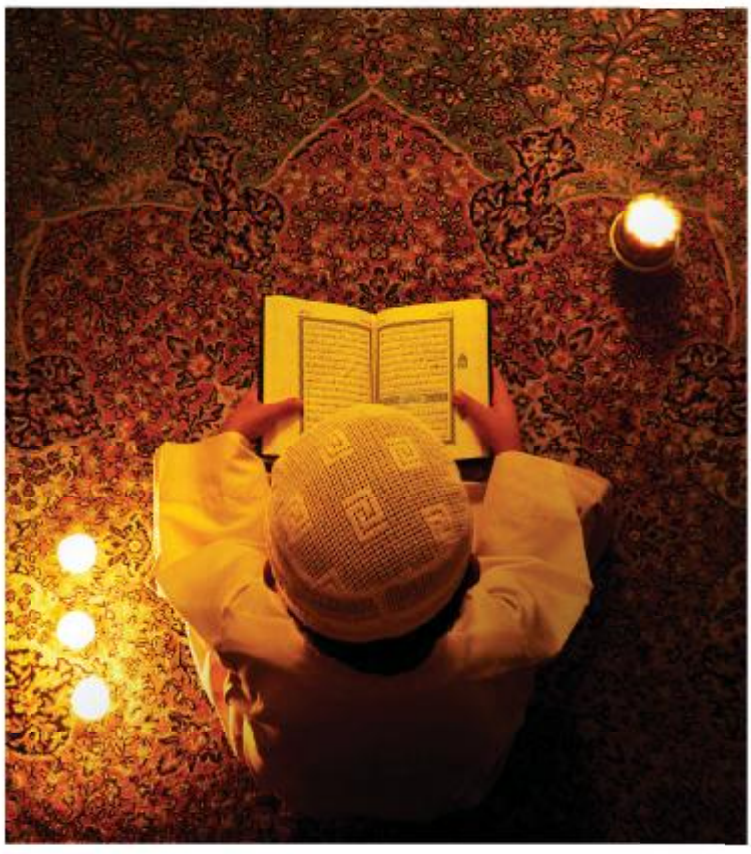

المرء قادرًا على ترتيب درجة القرب من أحبته. فكأنَّ المشهد على خطورته، يلمح إلى بعض أمل هذا المَكروب، إذ ما زال قادرًا أثناء فراره من أحبته على سلوك ترتيب محدد هو بيت القصيد، ومناط التوهج، ومدار الإدراك. لكن أشهر المفسرين اكتفوا بأنه «يراهم ويفرّ منهم ويبتعد منهم، لأنَّ الهول عظيم، والخطبَ جليل... قال قتادة: الأحب فالأحب، والأقرب فالأقرب»(٦).

أجل، تفطّن قتادة إلى مسألة الترقي في التنقل بين الأحب والأقرب، لكنَّ كلامه مع ذلك مغرق في العمومية، فلا يحدد سهمُ الرسالة اتجاهًا بعينه، فهل الوجهة تصاعدية من الأخ فصاعدًا، ومعناه أنه الأحب والأقرب ومَن سواه دونَه أوَّلا بأول؟ أم أنها تنازلية؟ (٧).

ب- القول بالترتيب التصاعدي للأقارب في مشهد الفرار

حاول ابن تيمية أن يؤلف بين اللغوي والمفسر في جوابه عن سؤال أحدهم عن سبب البدء بالفرار من الأخ فقال: «لِمَ ابْتَدَأَ بالأخ، وَمِنْ عَادَة الْعَرَب أَنْ يُبْدَأَ بالأَهَمِّ؟ بَدأ بذكر الأدنى (الأخ)، فلو ذكر الأقرب أولا (الأب والأم والزوجة) لم يكن في ذكر الأبعد فائدة طائلة، فقال: إنَّ الابْتِدَاءَ يَكُونُ في كُلِّ مَقَامٍ بِمَا يُنَاسِبُهُ فَتَارَةً يَقْتَضِي الابْتِدَاءَ بالأَعلى وَتَارَةً بالأَدْنَى، وَهُنَا الْمُنَاسَبَةُ تَقْتَضِي الابْتِدَاءَ بالأَدْنَى، لأَنَّ الْمَقْصُودَ بَيَانُ فِرَارِهِ عَنْ أَقَارِبِهِ مُفَصلاً شَيْئًا بَعْدَ شَيْءٍ... فَابْتُدِئَ بِنَفْيِ الأَبْعَدِ مُنْتَقِلاً مِنْهُ إِلَى الأَقْرَبِ، فَقِيلَ أَوَّلاً: ﴿يَفِرُّ الْمَرْءُ مِنْ أَخِيهِ﴾ فَعُلِمَ أَنَّ ثَمَّ شِدَّةً تُوجِبُ ذَلِكَ. وَقَدْ يَجُوزُ أَنْ يَفِرَّ مِنْ غَيْرِهِ، وَيَجُوزُ أَلا يَفِرَّ، فَقِيلَ ﴿وَأُمِّهِ وَأَبِيهِ﴾ فَعُلِمَ أَنَّ الشِّدَّةَ أَكْبَرُ مِنْ ذَلِكَ بِحَيْثُ تُوجِبُ الْفِرَارَ مِنَ الأَبَوَيْنِ، ثُمَّ قِيلَ ﴿وَصَاحِبَتِهِ وَبَنِيهِ﴾ فَعُلِمَ أَنَّهَا طَامَّةٌ بِحَيْثُ تُوجِبُ الْفِرَارَ

هذا هو الفرق بين ترتيب الأقارب في سورة عبس وترتيبهم في سورة المعارج

مِمَّا لَا يَفِرُّ مِنْهُمْ الَّا فِي غَايَةِ الشِّدَّةِ وَهِيَ الزَّوْجَةُ وَالْبَنُونَ وَلَفْظُ صَاحِبَتِهِ أَحْسَنُ مِنْ زَوْجَتِه» (٨).

وعلى هذا دأب عدد كبير من المفسرين، كالزمخشري في «الكشاف»: بدأ بالأخ ثم الأبوين لأنهما أقرب منه، ثم بالصاحبة والبنين لأنهم أقرب وأحب، وقتادة السالف ذكره كما نقله عنه ابن كثير. وذهب بعضهم إلى أن الحكمة في ذلك الترقي على سبيل المبالغة، كأنه قيل: «يفر من أخيه، بل من أبويه، بل من صاحبته وبنيه»، ذكر نحو هذا البيضاوي، والرازي، والنسفي، وشيخ الاسلام.

فلماذا يفر منهم؟ يعرض القرطبي لهروب المرء من أخيه، أي من موالاته ومكالمته عدة أقوال: منها أنه لا يتفرغ لذلك لاشتغاله بنفسه، ومنها إنما يفر حذرا من مطالبتهم إياه، لما بينهم من التبعات؛ ومنها لئلا يروا ما هو فيه من الشدة، ومنها لعلمه أنهم لا ينفعونه ولا يغنون عنه شيئًا، قال عبدالله بن طاهر الأبهري: يفر منهم إلى من يملك كشف تلك الكروب والهموم عنه لما تبين له عجزهم (٩).

٢- أمَّا مشهد ترتيب الأقارب في سورة المعارج فيقع ﴿يَوْمَ تَكُونُ السَّمَاءُ كَالْمُهْلِ وَتَكُونُ الْجِبَالُ كَالْعِهْنِ وَلَا يَسْأَلُ حَمِيمٌ حَمِيمًا يُبَصَّرُونَهُمْ﴾، المشهد مرهوب كما وصفه صاحب «في ظلال القرآن»، إذ السماء فيه كَـذَوْبِ المعادن الكدر، والجبال كالصوف الواهن المنتفش، والناس في همٍّ شاغل، وحُقّ لَهم، فالكرب يطوي الجميع، والهول ينشر الجميع، قطعًا للوشائج، وحبسًا للنفوس في قفص وحدتها، وأقسى ما في الأمر أنَّ كل حميم لا يعرف حميمه فحسب، بل يبصّره (١٠).

وقد قدم الرازي لمعنى يبصرونهم تخريجين: الأول متعلق بما قبله، كأنه لما قال: ﴿وَلَا يَسْأَلُ حَمِيمٌ حَمِيمًا﴾ قيل: لعله لا يبصره، فقيل يبصرونهم، ولكنهم لاشتغالهم بأنفسهم لا يتمكنون من تساؤلهم؛ والثاني: متعلق بما بعده، والمعنى أنَّ المجرمين يبصرون المؤمنين حال ما يود أحدهم أنْ يفدي نفسه بكل ما يملكه، فإن الانسان إذا كان في البلاء الشديد، ثم رآه عدوه على تلك الحالة كان ذلك في نهاية الشدة عليه (١١).

فإذا تقرر أنَّ ترتيب الأقارب في «المعارج» واقع تحت وطأة مشهد مبطّن بالهول، طافح بالكرب، غارق في فزع يُفقد الإحساس بالغير على الإطلاق، فأي منحى سيتبعه، التنازلي أم التصاعدي؟

ذهب القرطبي في تفسير قوله تعالى: ﴿يَوَدُّ الْمُجْرِمُ لَوْ يَفْتَدِي مِنْ عَذَابِ يَوْمَئِذٍ بِبَنِيهِ وَصَاحِبَتِهِ وَأَخِيهِ وَفَصِيلَتِهِ الَّتِي تُؤْوِيهِ وَمَنْ فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا ثُمَّ يُنْجِيهِ﴾ إلى أنَّ المجرم يتمنى لو يفتدي من عذاب جهنم يومئذ بأعز من كان عليه في الدنيا من أقاربه، وهم بنوه، فلا يقدر (١٢) ومثل ذلك أوَّل به الطبري، فرأى أنَّ الله جل ثناؤه بدأ بذكر البنين، ثم الصاحبة، ثم الأخ، إعلامًا منه عباده أنَّ الكافر من عظيم ما ينزل به يومئذ من البلاء يفتدي نفسه، لو وجد إلى ذلك سبيلًا، بأحب الناس إليه كان في الدنيا، وأقربهم إليه نسبًا. إنَّ

موقف السورة هو موقف الافتداء، وشتان بينه وبين الفرار (١٣).

ج- التركيب بين الموقفين

نخلص بعد هذه التأملات إلى أن ترتيب عناصر الجملة غير اللازم مرهون بالسياق، فهو الذي يبرر الابتداء بالأبعد تارة، وبالأقرب أخرى. وواضح أنَّ المناسبة في «عبس» تقتضي الابتداء بالأدنى، لأنَ لحظة الفرار وإنْ جلّتْ، فإنَّ في الذهن بقية قدرة على المفاضلة، وبذلك فإنَّ الفرار عن الأقارب خاضع لتراتبية تفاضلية من الأدنى إلى الأعلى، ولهذا قال شيخ الإسلام أعلاه (١٤): فَلَوْ ذَكَرَ الْأَقْرَبَ أَوَّلًا لَمْ يَكُنْ فِي ذِكْرِ الْأَبْعَدِ فَائِدَةٌ طَائِلَةٌ فَإِنَّهُ يَعْلَمُ أَنَّهُ إذَا فَرَّ مِنْ الْأَقْرَبِ فَرَّ مِنْ الْأَبْعَدِ وَلَمَا حَصَلَ لِلْمُسْتَمِعِ اسْتِشْعَارُ الشِّدَّةِ مُفَصَّلَةً... فلمَا قال: ﴿وَصَاحِبَتِهِ وَبَنِيهِ﴾ عُلِمَ أَنَّهَا طَامَّةٌ تُوجِبُ الْفِرَارَ مِمَّا لَا يَفِرُّ مِنْهُمْ إلَّا فِي غَايَةِ الشِّدَّةِ وَهِيَ الزَّوْجَةُ وَالْبَنُونَ. أمَّا المناسبة في «المعارج» فمناسبة عذاب لا يُتصور ومقام مساومة وافتداء. ومن إعجاز القرآن أنْ صوّر هذا المقام من خلال موقف عصيب مهول لا يطاق، موقف افتداء المرء نفسه، ولا يشهد على الهول ويدل على الخطب من أنْ يفتدي بالأقرب إلى قلبه، فيبدأ ببنيه أعز ما لديه، ثمَّ صاحبته أحب من ترافقه وتُسارِرُه، ثمَّ أخيه وهو دونهما في القرب منه، ثم فصيلته، وهي أبعد في هذه الدونية، ثمَّ من في الأرض جميعًا وهم أشد بعدًا.

ومهما استوعبنا خطورة الموقفين وخصوصية كل منهما تجريديًا ونظريًا، فلا قبل لنا بتمثلهما واقعيًا، وهو ما فاقنا به المتلقون الأوائل لهذه الآيات لحظة نزولها وذيوعها سواء من حيث قوة إيمانهم وصدق اعتقادهم، أو من حيث تشاركهم في فهم اللغة التي نزل بها الوحي

لماذا غاب الأب والأم عن موقف الفداء؟

وتداولهم لها، وحاجتهم النفعية إليها في ترتيب الأدنى والأعلى أو الأقرب والأبعد. فتغييب البعد التداولي للآيات يحجب كثيرًا من الحقائق لبعد الهوة بين واقعنا وبين واقعهم، كظاهرة الفرار من الأبناء، والزوجة في الخطوب وعظائم الأمور، وما تجره من العار (١٥) على مر العمر.

إن ترتيب الأقارب في مشهد الفرار تصاعدي تبعًا لعامل الالتصاق بهم، أو الاستقلال عنهم، أو «امتلاكهم»، ويمكن توضيح الأمر كما يلي:

الأخ أول من يفارَق، الأبوان ثانيًا بعد أن يستقل المرء بنفسه عنهما، ويأتي ترتيب الأب بعد الأم نظرًا إلى التصاق النسب منه به، ولأنَّ الأم لا تستطيع أن تدفع عنه أو تنصره عند النزال كما قد يفعل الأب.

الزوجة رابعة، وهي في الآية «صاحبة»، وصفًا بها لزوجة بعينها، زوجة محبوبة معشوقة، وإقصاء بها لزوجة بغيضة ربما فرَّ منها أوّلًا، فهذه بالذات هي التي «تستوعبه»، بعد الأبوين، حتى الوفاة، وهي أيضًا رابعة لأنه «يمتلكها» لامتلاكه بُضعها بقوة عقده عليها، لكن، ومع ذلك، فقد يطرأ ما يفصل بينهما، كالطلاق مثلًا؛ الأبناء أخيرًا، وهم كذلك إذ لا شيء يفرق بينهم وبين الآباء، لأنهم بضعة منهم، وقطعة من أكبادهم، وملك خاص لهم (١٦) لهذا يعد الفرار منهم أخيرًا أمرًا منطقيًا في سياق التعبير عن تراتبية الهول المتراخي، كما يعد الافتداء بهم أوّلًا أقصى وأعمق دليل على لحظة الهول الداهم، إذ ليس أقسى وأبشع من أن يفتدي المرء نفسه بأولاده؛ ولهذا فانَّ الافتداء لهوله ولأمل قبوله يكون بالأقرب، والألصق، والأحب، وهذا من إعجاز القرآن الكريم، ولو كان الأمر اعتباطيًا، لاستبدلت كلمة (أبيه) بـ (أخيه) أو (بنيه) ما دامت على الوزن نفسه، ولكنه معجز ذو كمال.

ويحق أن نتساءل الآن عن سر غياب الأب والأم عن موقف الفداء؟ ذهب الدكتور فاضل السامرائي وثلة من المؤولين في تبرير ذلك إلى أنَّ الله تعالى أمر بإكرام الوالدين، ومن دلائل ذلك منْعُ الافتداء بهما اكرامًا لهما، فهما يُفْدَيان ولا يفتدى بهما، ولذلك ضرب الله صفحًا عن ذكرهما لبيان عظم حقوقهما، وقدرهما، وامتناع الافتداء بهما مهما يكنَ الحال.

وعلى وجاهة هذا الرأي من حيث الفطرة والأخلاق والمروءة، فإننا نسجل عليه بعض التحفظ: فسياق الآيتين لا يدع مجالًا لفطرة، ولا لمكارم أخلاق أو حقوق، وإلا فإن حقوق الابن، خاصة إن كان رضيعًا، أوكد، كما أنَّ المفتدي في الآية «مجرم» (١٧) وأنّى للمجرم أن يستحضر حقًا أو مكرمة في لحظة نزول العذاب؟ ولا نستبعد أنَّ السرد القرآني الحريص على تجسيد الخطب الرهيب قفَزَ عمدًا على الوالدين مختزلًا المسافة نحو الفصيلة والناس أجمعين.

وإذا جاز لنا أن نؤول أبعد من ذلك، ذهبنا إلى أن نبينا عليه الصلاة السلام قد استعمل عبارة: فداك أبي وأمي مع صحابي جليل ظل يفتخر بها طوال حياته، وما كان له ذلك لو لم يستشعر صدق الكلمة، خصوصًا وقد نطق بها رسول الله ﷺ يوم أحُد وقد تفرق الناس عنه، ووقف سعد بن أبي وقاص يجاهد ويقاتل باستماتة. وعلى الرغم من أن العبارة من الألفاظ الشائعة عند العرب، ومن الكَلِم الذي يُطلق مجازًا، إذ المراد بها أن أبي وأمي يَنوبَان مَنابَك في دفع المكروه عنك، إلا أنها في هذا السياق ذات

دلالة لا ينبغي تحاشيها (١٨).

الاستنتاج

تصف آيات السورتين مشهدين متفاوتي الهول في الزمن والوقوع، وقد واكب الإعجاز القرآني تأثيث المشهدين من صميم فسيفساء لحظتيهما، فكان بديهيًّا أن يتم الترتيب المنطقي، في الفرار، من الأبعد إلى الألصق، ومن أدنى التراتبية إلى أعلاها، وكان طبيعيًّا أن يتم الترتيب في مشهد الفداء ممن خلقه الله هَلوعًا بالألصق إمعانًا من الله على أن العذاب لا يطاق ولا يُتصور بحيث يقع الافتداء على أقرب الناس، وأحبهم، وأضعفهم، وألصقهم بالمرء، وأملكهم له، وأحوجهم إليه.

نخلص من كل هذه التأويلات والتأملات إلى أن الأبناء هم أقرب المقربين إلى الإنسان، وأحبهم إليه، وألصقهم به. يمدنا أحد علوم التواصل المعاصرة ببعض وقود الدفع بهذا الرأي بعيدًا، وهو علم المسافة (١٩) ويقوم هذا العلم على أن المسافة التي يحددها المرء من موضوعات العالم الخارجي تعكس حقيقة المكانة التي تحتلها تلك الموضوعات في نفسه بين أبعادها أو تقريبها، وعليه، فوقوف المرء على المستوى التجريدي، في موقف بحيث يقع الأخ منه في المرتبة الأولى، ثم الأم، ثم الأب، ثم الزوج، ثم الأبناء، يعني أن المسافة بينه وبين كل قريب محددة بدقة، انطلاقًا من مكانته في نفسه قربًا أو بعدًا، ولهذا كان الأبناء آخر من يفر منهم في موقف الفرار لحظة قيام الناس لرب العالمين.

وتأكيدًا لصحة هذا المنطق الذي يوهم بالمغالطة في الظاهر ستكون مسافة الأبعد مكانيًّا هي الأقرب فعليًّا لحظة الافتداء، وفي هذا بليغ إقناع بأن الترتيب داخل النفس هو هذا الذي يتم فيه الافتداء بالابن والبنت، وكلما صدم الموقف والاختيار، تحققت دقة الوصف، ومنطق اللحظة، وهول الخطب، ومن خلالها إعجاز الكتاب.

كل هذا للإقناع بأن الأحب إلى القلب هو الأبناء، وسنميل بدورنا إلى تبني رأي البياني فاضل السامرائي في اعتبار الآباء فوق الافتداء، وبذلك نضرب العصفورين بحجر واحد. ولعل من الطريف أن نختم هذه التأملات بأن كل أب واقع بين جاذبية هذا الحب الشديد للولد، وجاذبية الحرج من شدة هذا الحب على والديه حين كان مجرد ولد.. والله تعالى أعلى وأعلم.

الهوامش

١- حديث مرفوع رقم ٢٢٦٥: نا مُحَمَّدُ بْنُ الْقَاسِمِ بْنِ زَكَرِيَّا، نا سُفْيَانُ بْنُ عُيَيْنَةَ، نا سُفْيَانُ الثَّوْرِيُّ عَنْ جَعْفَرِ بْنِ مُحَمَّدٍ عَنْ جَابِرٍ عَنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ قَالَ: «ابْدَأُوا بِمَا بَدَأَ اللهُ تعالى بِهِ».

٢- اعتبر بعضُ الباحثين التقديم والتأخير فنًّا رفيعًا قائمًا بذاته «يَعْرِفه أهل البصر بالتعبير والذين أوتوا حظًّا من معرفة مواقع الكلم.. وقد بلغ القرآن الكريم في هذا الفن - كما في غيره - الذروة في وضع الكلمات الوضعَ الذي تستحقه في التعبير بحيث تستقر في مكانها المناسب» د.فاضل السامرائي، كتاب التعبير القرآني، ص ٤٩.

٣- من أول من ذكر هذا المعنى من المفسرين مقاتل بن سليمان البلخي، ويحيى بن سلام البصري، وذكره ابن جرير الطبري، ثم اشتهر بعدهم عند المفسرين.

٤- قال بذلك الخليل بن أحمد وابن قتيبة والزجاج وأبوالليث السمرقندي والثعلبي والواحدي وابن عطية وغيرهم، قال الخليل بن أحمد: الصّاخّة صَيحة تَصُخّ الآذانَ فتصمُّها، ويقال: كأنما في أذنه صاخّة، أي طعنَة، وقال الزجاج: أصل الصخ في اللغة الطعن والصك، يقال صخّ رأسَه بحجر أيْ شدَخَه، والغُراب يَصخّ بمنقاره في دُبُر البَعير أيْ يَطعَن، فمعنى الصّاخة الصاكة بشدة صوتها للآذان، وذكر الزمخشري في الكشّاف وجهًا آخر فقال: يقال صخ لحديثه مثل أصاخ له، فوصفت النفخة بالصاخة مجازًا، لأنَّ الناس يصخون لها أي يستمعون.

٥ - الصاخة في لسان العرب اسم من أسماء الداهية، وهذا المعنى ذكره الخليل بن أحمد وابن قتيبة وأبومنصور الأزهري وابن سيده ومكي بن أبي طالب القيسي وابن عجيبة الحسني وغيرهم، قال الخليل بن أحمد: يقال: رماه الله بصاخة، أي بداهية وأمر عظيم.

٦- كقول ابن كثير مثلًا في تفسيره، الصفحة ص ٥٨٥

٧- نستأنس هنا بمفسر مغربي هو ابن عجيبة الحسني، فقد صنف الآية في الباب نفسه، قال: ﴿يومَ يفرُّ المرءُ من أخيه﴾، أي يهرب من أخيه لاشتغاله بنفسه، فلا يلتفت إليه ولا يسأل عنه، ويفر أيضًا من ﴿أمّه وأبيه﴾ مع شدة محبتهم فيه في الدنيا، ﴿وصَاحِبَتِه﴾ أي زوجته، ﴿وبَنِيه﴾، بدأ بالأخ ثم بالأبَوَين: لأنهما أقرب منه، ثم بالصاحبة والبنين لأنهم أحبُّ.

٨ - مجموع الفتاوى لابن تيمية: ٧٤/١٦، بتحقيق عبدالرحمن بن محمد بن قاسم.

٩ - الجامع لأحكام القرآن للقرطبي: ١٩٤.

١٠ - اختلفت تفسيرات هذا الفعل المضارع المبني للمجهول وإعراب ضمائره والعامل فيها، ويمكن إجمالها في أربعة أوجه، قدمها الماوردي وغيره: أحدها أنه يبصر بعضهم بعضًا فيتعارفون، قاله قتادة، والثاني: أن المؤمنين يبصرون الكافرين، قاله مجاهد، والثالث أن الكافرين يبصرون الذين أضلوهم في النار، قاله ابن زيد، والرابع أنه يبصر المظلوم ظالمه، والمقتول قاتله، وقيل أيضًا: إن الملائكة يعرفون أحوال الناس فيسوقون كل فريق إلى ما يليق بهم.

١١ - مفاتيح الغيب للرازي:٦٤١/٣٠

١٢- الجامع لأحكام القرآن:٢٦٣.

١٣- جامع البيان للطبري:

١٤- مجموع الفتاوى لابن تيمية: ٧٤/١٦، مصدر متقدم.

١٥- نمثل لذلك بقول علي حاثًا أنصاره على القتال ومركزًا على ظاهرة الفرار من الزحف: «اسْتَحْيُوا مِنَ الْفَرِّ، فَإِنَّهُ عَارٌ فِي الأعقاب، وَنَارٌ يَوْمَ الحساب ..» نهج البلاغة، الخطبة ٦٦، وإذا كان أكبر عار يوصم به جبين المحارب هو الفرار، فإن الأبناء يؤخذون بجريرة آبائهم ولا ينفكون يعيّرون بفرارهم مدى الحياة، فكيف يغدو حال الفرار من الأبناء والزوجة؟

١٦- نحيل خصوصًا على حديث: «أنت ومالُك لأبيك» الذي رواه ابن ماجة، والإمام أحمد.

١٧- وإنْ فسره بعضهم بالكافر وبعضهم بالمذنب عمومًا.

١٨- قال الإمام النووي: في الافتداء بالأبوين قولان: بالجواز، وهو قول جمهور العلماء، وبالكراهة كقول عمر بن الخطاب والحسن البصري وغيرهم، وإنما جوّزه الجمهور لغياب حقيقة الفداء، إذ هو مجرد إعلام بالمحبة والمنزلة، ولورود أحاديث صحيحة بالافتداء، شرح مسلم، الإمام النووي، ج ١٥، ص ١٨٤.

١٩- www.blinkx.com/watch--video/-/C-Iy٠sr٩iBVEH٠٩٥٠dnLg نحيل بهذا الرابط على محاضرة قيمة في الموضوع.

لا ينالها المرء إلا بطول تجربة ودربة في معاملة الناس

المداراة..

ثمرة الحكمة ونصف العقل

بلال المريسي – اليمن

لما كانت النفس البشريّة أشبهَ بقلعة حصينة، ودُرّة مصونة، وبحر زاخر، وموج متلاطم، وواد سحيق، وفجّ عميق، تصفو حيناً وتتكدّر أحياناً، جاءت الشريعة الغراء لتسبرَ أغوارَها، وتكشفَ عن أسرارها، وترفعَها عند انحطاطها، وتنفيَ عنها ما يحول بينها وبين صفائها وإشراقِها.

ولكن قد يعتري الإنسان عوارض نفسية جُبل عليها كالحب والبغض والرضا والغضب.. تدفعه للمُضي وفقًا لهواه راكبًا رأسه فيصبح المجتمع أوصالاً متمزقة.. فاقتضت حكمة الله تعالى أن يهيئ للإنسان أدبًا ينظمُ به علاقاته، ويتحامى به ما يدعو إلى القطيعة والخصام، والبغض والانتقام، هذا الأدب هو محور حديثنا.

إنه خلق قويم وأدب متين إنه خلق المداراة، نعم.. إنها المداراة نصف العقل بل هي العقل كله ودليل كماله ورجاحته، وهي أيضًا ثمرة الحكمة، إذ إن هذه المنزلة لا ينالها المرء إلا بطول تجربة ودربة في معاملة الناس على اختلاف طبائعهم وأخلاقهم.

فما المداراة؟ وما أنواعها؟ وما هي وسائل اكتسابها؟ وما ثمارها؟

المداراة خفض الجناح للناس، ولين الكلام، وترك الإغلاظ لهم في القول.

قال ابن حجر: (المراد به الدفع برفق).

وقيل: هي درء المفسدة والشر بالقول اللين، وترك الغلظة أو الإعراض عن صاحب الشر إذا خيف شره أو حصل منه أكبر مما هو ملابس له.

هذا وهناك بعض المفردات قد يظن البعض أنها بمعنى المداراة، بل ويختلط على الكثير من الناس إيجاد الفرق بينها وبين المداراة، ومن تلك المفردات:

١- المداهنة:

وهي اللغة من الإدّهان، وهو المصانعة واللين، وقيل: المداهنة إظهار خلاف ما يضمر، وداهن الرجل إذا نافق. ومنه قوله تعالى: ﴿وَدُّوا لَوْ تُدْهِنُ فَيُدْهِنُونَ﴾ (القلم: ٩).

قال الحافظ ابن حجر- في الفتح: وظن بعضهم أن المداراة هي المداهنة فغلط لأن المداراة مندوبٌ إليها، والمداهَنةَ محرّمة.

وقال الغزالي: (الفرق بين المداراة والمداهنة- الغرض الباعث على الإغضاء، فإن أغضيت لسلامة دينك ولما ترى من إصلاح أخيك

فرق كبير بينها وبين المداهنة والنفاق!.. وهذه خطواتك لكسب قلوب الناس

بالإغضاء فأنت مدار، وإن أغضيت لحظ نفسك واجتلاب شهواتك وسلامة جاهك فأنت مداهن) .

٢- النفاق:

والنفاق والمداهنة وجهان لعملة واحدة إذ هما يشتركان في الشر والإيذاء في الباطن مع إظهار الحسن والجميل في الظاهر ولكن على حساب الدين، فالمداراة هي المجاملة والمداهنة هي النفاق.

٣- التُقْيَة:

التقية لغة: من اتقيت الشيء وتَقَيته واتّقيه تقىً وتَقيّة وتقاء، حذرته. وتعني أيضًا الخشية والخوف.

اصطلاحًا: عرّفها ابن حجر بقوله: التقية الحذر من إظهار ما في النفس من معتقد وغيره للغير.

وقيل: هي: مجاملة الناس بما يعرفون وترك ما ينكرون حذرًا من غوائلهم في أمور الدين.

وسائل اكتساب المداراة:

لكي يحبك الناس افسح لهم طريقهم، ولكي ينصفك الناس افتح لهم قلبك، ولكي تنصف الناس افتح لهم عقلك، ولكي تسلم من الناس تنازل لهم عن بعض حقك. فالكرام يتعاملون بالثقة ويتواصلون بحسن الظن ويتوادون بالإغضاء عن الهفوات والزلات. وفيما يلي بعض الوسائل المعينة لكسب قلوب الناس بحسن مداراتهم:

١- التحلي بخلق الصبر:

قال ابن تيمية: (المؤمن مشروع له مع القدرة أن يقيم دين الله بحسب الإمكان بالمحاربة وغيرها، ومع العجز يمسك عما عجز عنه من الانتصار، ويصبر على ما يصيبه من البلاء من غير منافقة، بل يشرع له من المداراة ومن التكلم بما يكره عليه ما جعل الله له فرجًا ومخرجًا).

٢- التحلي بخلق الرفق والرحمة: فإن المداراة قائمة على الرفق لتحقيق المراد من صلاح معوج أو كفاية شر عدو ونحوه.

٣- فهم الواقع ومعرفة طبائع الناس: قال ابن الجوزي: (لينظر المالك في طبع المملوك، فمنهم: من لا يأتي إلا على الإكرام فليكرمه، فإنه يربح محبته، ومنهم: من لا يأتي إلا على الإهانة، فليداره، وليعرض عن الذنوب؛ فإن لم يكن عاتب بلطف، وليحذر العقوبة ما أمكن، وليجعل للمماليك زمن راح، والعجب ممن يعنى بدابته، وينسى مداراة جاريته). قال بشر بن الحارث: (من عرف الناس استراح) .

٤- احتساب الأجر في دعوة الخلق: وخصوصًا من يتصدر لدعوة العصاة وأهل الشرور والكفر لابد أن يناله منهم أذى مما قد يدفع الداعية لترك دعوتهم، لذا فاحتساب الداعية للأجر عند الله في مداراته لأهل الكفر والفجور والتحبب لهم من غير إقرار بمعصية أمَلا في هدايتهم مما يعين الداعية على تحمل الأذى.

٥- تقديم ترك الانتصار للنفس في حال القدرة، وحفظ النفس في حال العجز: ففي الحالة الأولى استبقاء للود والمسير قدمًا في الإصلاح، وفي الحالة الثانية عصمة النفس ودفع الشرور.

٦- بذل المال: فلكل قلب مفتاح والمال مفتاح لكثير من القلوب، خاصة في مثل هذا الزمان، حيث أصبحت قيمة الرجل بما يملك من عقارات وتجارات.. لا بما يملك من أخلاق وفضائل، فلكي يحبك الناس أفدهم من علمك، وأشركهم في مالك وسعهم بخلقك، يحبوك كثيرًا .

٧- إعلان المحبة والمودة للآخرين: فإذا أحببت أحدًا أو كانت له منزلة خاصة في قلبك فأخبره بذلك، فإنه أبقى في

الألفة وأثبت في المودة، وهذا الإعلان سهم يصيد القلب ويأسره فيصبح في شباكك، لكن بشرط أن تكون هذه المحبة لله، وليس لغرض من أغراض الدنيا كمنصب وغيره، فكل أخوة لغير الله هباء، وهي يوم القيامة عداء (الأَخِلَّاءُ يَوْمَئِذٍ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ إِلَّا الْمُتَّقِينَ).

٨- **الابتسامة: قالوا:** هي كالملح في الطعام، فالابتسامة جواز سفر إلى القلوب، وهي مع ذلك عبادة وصدقة (تبسمك في وجه أخيك صدقة) لأن الوجه عنوان الكتاب ومرآة القلب ورائد الضمير وأول الفأل.

٩- **البدء بالسلام: فلكي تميل القلوب** إليك عليك ببسط الوجه والبشاشة وحرارة اللقاء وشد الكف بالكف فقد روي (لا تحقرن من المعروف شيئًا ولو أن تلقى أخاك بوجه طلق) وقد روي عن الحسن البصري أنه قال: المصافحة تزيد في المودة.

١٠- **الهدية: وفي الحديث الصحيح:** ((تهادَوْا تحابوا)).

١١- **بذل المعروف وقضاء الحوائج:**
أحسن إلى الناس تستعبد قلوبهم
فطالما استعبد الإنسان إحسان

• من ينبغي مداراتهم:

المداراة مندوب إليها، وتستحب مع جميع الخلق، لا سيما:

مداراة الأعداء:

قال تعالى:﴿لَا يَتَّخِذِ الْمُؤْمِنُونَ الْكَافِرِينَ أَوْلِيَاءَ مِنْ دُونِ الْمُؤْمِنِينَ وَمَنْ يَفْعَلْ ذَلِكَ فَلَيْسَ مِنَ اللَّهِ فِي شَيْءٍ إِلَّا أَنْ تَتَّقُوا مِنْهُمْ تُقَاةً ..﴾ (آل عمران: ٢٨) قال الشنقيطي في أضواء البيان: (هذه الآية الكريمة فيها بيان لكل الآيات القاضية بمنع موالاة الكفار مطلقًا وإيضاح، لأن محل ذلك في حالة الاختيار، وأما عند الخوف والتقية، فيرخص في موالاتهم بقدر المداراة التي يُكتفى بها شرهم، ويشترط في ذلك سلامة الباطن من تلك الموالاة.

قال لقمان الحكيم لابنه: «يا بني كذب من قال إن الشر بالشر يطفأ، فإن كان صادقًا فليوقد نارين، ولينظر هل تطفئ إحداهما الأخرى، وإنما يطفئ الخير الشر كما يطفئ الماء النار».

يقول ابن الجوزي رحمه الله: (من البله أن تبادر عدوًا أو حسودًا بالمخاصمة، وإنما ينبغي إن عرفت حاله أن تظهر له ما يوجب السلامة بينكما، إن اعتذر قبلت، وإن أخذ في الخصومة صفحت، وأريته أن الأمر قريب، ثم تبطن الحذر منه، فلا تثق به في حال، وتتجافاه باطنًا، مع إظهار المخالطة في الظاهر).

ومن مداراة العدو قول الشافعي- رحمه الله:

إني أحيّي عدوي عند رؤيته
لأدفع الشر عني بالتحيات
وأظهرُ البِشْرَ للإنسان أبغضه
كأنما قد حشا قلبي محبات

وقد دارى الأنبياء عليهم الصلاة والسلام أقوامهم مع ما نصبوا لهم من العداوة والعناد، فهذا أول الرسل نوح عليه السلام يدعو قومه ليلًا ونهارًا سرًا وجهارًا، وإبراهيم يداري أباه وقومه، وشعيب عليه السلام يقول الله على لسانه: ﴿وَمَا أُرِيدُ أَنْ أُخَالِفَكُمْ إِلَى مَا أَنْهَاكُمْ عَنْهُ إِنْ أُرِيدُ إِلَّا الْإِصْلَاحَ مَا اسْتَطَعْتُ﴾ (هود: ٨٨).

ولقد كانت المداراة السِّمَة المميزة لسلوك نبينا محمد ﷺ مع أعداء الدعوة المتربصين بها الدوائر من اليهود، والمنافقين، والحمقى من المشركين، والمؤلّفة قلوبهم، وأجلاف الأعراب، سيما في أول الأمر، ومن ذلك:

- عدم قتله إمام الكفر والنفاق عبدَالله ابنَ أُبَيّ بن سلول وتلطّفه به، حتى لا يثير عليه قومه وعشيرته
- عدم إعادة بناء الكعبة على قواعد إبراهيم عليه السلام بعد أن عزم عليه، تألفًا لقريش ورحمة بهم حتى لا يظنوا به ظن السوء.
- إعطاؤه المؤلّفة قلوبهم في غزوة حُنين وغيرها لكل واحد منهم مائة من الإبل، تألفًا لهم وحرصًا على أن يدخل الإيمان في قلوبهم، بل أعطى صفوان ابن أمية واديًا من الإبل ووديًا من الغنم حتى أسلم وحسن إسلامه ودعا قومه إلى الإسلام قائلًا: إن محمدًا يعطي عطاء من لا يخشى الفقر، بعد أن قال: جئتكم من عند خير الناس.. هذا قليل من كثير، إذ لم يكن هدفنا الإحاطة بكل من داراهم الرسول ﷺ، ولكن قصدنا الإشارة والتنبيه إلى ذلك

مداراة الولاة والحكام:

قال العتابي: «المداراة سياسة لطيفة، لا يستغني عنها ملكٌ ولا سوقة، يجتلبون بها المنافع، ويدفعون بها المضار، فمن كثرت مداراته كان في ذمة الحمد والسلامة».

وقد جاء في الحديث قوله عليه الصلاة والسلام: «يا أيها الناس اتقوا الله، وإن أمّر عليكم عبد حبشي مجدع فاسمعوا له، وأطيعوا ما أقام لكم كتاب الله».

قال المباركفوري: «فيه حث على المداراة والموافقة مع الولاة، وعلى التحرز عما يثير الفتنة ويؤدي إلى اختلاف الكلمة».

والناظر في الكتاب العزيز يجد أن الله تعالى حث رسله وأرشدهم إلى مداراة أقوامهم وحكامهم، وقد أوصى الله تعالى موسى وهارون عندما أرسلهما إلى فرعون: ﴿اذْهَبَا إِلَى فِرْعَوْنَ إِنَّهُ طَغَى. فَقُولَا لَهُ قَوْلًا لَيِّنًا لَعَلَّهُ يَتَذَكَّرُ أَوْ يَخْشَى﴾(طه: ٤٣ - ٤٤).

وقد دارى بعض الصحابة أئمة الجور بالصلاة خلفهم ومنهم: عبدالله بن مسعود رضي الله عنه كان يصلي خلف الوليد بن عقبة بن أبي معيط، وكذا أنس بن مالك وعبدالله بن عمر صليا خلف الحجاج ابن يوسف مع جوره وظلمه مقابل فضلهم وسابقتهم.

مداراة النساء:

أحوج الناس إلى المداراة النساء، وذلك لغلبة العاطفة عليهن وسرعة انفعالهن، وسلاطة ألسنتهن، واعوجاج أخلاقهن، ولقد حضّ النبي ﷺ على الصبر عليهن والرفق بهن وأخبر أن إنشاد الزوج الاستقامة الكاملة لخلق زوجته

يؤدي إلى طلاقها، ففي حديث أبي هريرة: «استوصوا بالنّساء، فإنّ المرأة خُلقتْ من ضلع، وإنّ أعوج شيء في الضلع أعْلاه، فإنْ ذَهَبْتَ تُقيمُه كسَرْتَه، وإنْ تركته لَم يزل أعْوَج، فاستوصوا بالنّساء» متّفق عليه.

قالَ الحافظ ابن حجر في «الفتْح»:

«وفائدته: أنّ المرأة خلقتْ من ضلع أعْوج، فلا ينكر اعْوجاجها، أو الإشارة إلى أنها لا تقبل التقويم، كما أنّ الضلع لا يقبله... إنْ أردتَ منها أن تترك اعوجاجها أفضى الأمر إلى فراقها، وكأن فيه رمزًا إلى التقويم برفْق، بحيث لا يبالغ فيه فيكسر، ولا يتركه فيستمر على عوَجه، فلا يتركها على الاعْوجاج إذا تعذتْ ما طبعتْ عليه من النّقْص إلى تعاطي المعصية بمُباشرتها، أو ترْك الواجب، وإنّما المراد أنْ يتركها على اعْوجاجها في الأُمُور المباحة.

وقدْ بوّب البخاري في صحيحه: باب المُداراة مع النساء، وقد ورد ذلك المعنى في حديث سمرة الذي رواه أحمد: «إنّ المرأة خلقَتْ من ضلع، وإنك إنْ ترد إقامة الضّلَع تكسرها، فدارها تعشْ بها».

آه .. لو سلك الأزواج هذا السلوك لما افْترق زوجان، ولتماسكت الأسر، وحلّ الوئام مكان الخصام.

مداراة الأصدقاء:

لا تعامل أخاك بمثل ما يعاملك به، بل كن خيرًا منه دائمًا- يُسيء وتُحسن خيرًا من يُسيء وتُسيء، فتتوسع دائرة الفرقة والخصام ويطول زمانها، ولكي تسلم من ذلك عليك بالمداراة، ومن يتذكر إساءة إخوانه إليه لم تصفُ له مودتهم، ومن تذكر إساءة الناس إليه لم يطب له العيش معهم، فانسَ ما استطعت النسيان.

ومن أروع ما قيل في مداراة الصديق:

أغمض عيني عن صديقي كأنني لديه
بما يأتي من القبح جاهل
ومما بي جهل غير أن خليقتي تطيق
احتمال الكره فيما أحاول
متى ما يريني مفصل فقطعته بقيت
ومالي في نهوضي مفاصل
ولكن أداريه، وإن صح شدني فإن هو
أعيا كان فيه تحامل

مداراة السفهاء والتلطف معهم:

جاء في الصحيحين من حديث عروة ابن الزبير- رضي الله عنهما- أن عائشة- رضي الله عنها- أخبرته أن رجلاً استأذن على النبي ﷺ فقال: «ائذنوا له، فبئس أخو العشيرة، أو بئس رجل العشيرة». فلما دخل ألانَ له الكلام، فقلت له: يا رسول الله! قلتَ له: الذي قلتَ، ثم ألنت له في القول؟ قال: «يا عائشة! إن شر الناس منزلة عند الله يوم القيامة، من ودعه- أو تركه الناس اتقاء فحشه».

قال ابن حجر في الفتح: (وهذا الحديث أصل في المداراة) وذكر في شرحه أنه وقع في بعض الطرق بلفظ «إنه منافق أداريه على نفاقه وأخشى أن يفسد عليّ غيره».

وروي عن أبي الدرداء رضي الله عنه أنه قال: إنا لنبش في وجوه قوم وإن قلوبنا لتلعنهم.

وإن كمال الخلق لا يكون إلا بالإغضاء والتحمل لبعض أخلاق الناس السيئة كما قال تعالى: ﴿خُذِ الْعَفْوَ وَأْمُرْ بِالْعُرْفِ وَأَعْرِضْ عَنِ الْجَاهِلِينَ﴾ (الأعراف: ١٩٩).ورحم الله القائل:

ليس الغبي بسيد
في قومه
لكن سيد
قومه
المتغابي.

موانع اكتساب المداراة:

العجلة والطيش: وقد قيل: «إذا تأنيت أصبت أو كدت تصيب، وإذا استعجلت أخطأت أو كدت تخطئ».

سرعة الغضب والانتصار للنفس: لأنك إذا اعتدت الغضب من كل ما لا يرضيك، فلن تهدأ أبدًا، فعند الغضب يضحك الشيطان منك، لأنه قد سلبك زمام أمرك وصار متحكمًا في تصرفاتك ومصيرك، فأملك نفسك واستعذ بالله من شره وغير موضع هيئتك التي أنت عليها- حينها يولي الشيطان خائبا منكسر الخاطر إذ فاتته الفرصة لإغوائك والتنكيل بك.

٣- سوء الخلق وغلظة القلب.

٤- الكبر وضعف إرادة الخير للناس.

٥- قلة الصبر والحلم والرفق والأناة.

٦- إساءة الظن بالآخرين.

العدد (٥٢٣) جمادى الأولى ١٤٣٤هـ/ مارس- ابريل ٢٠١٣م

القول المأثور في إحياء الصواب المهجور (٨)

عبدالله أيت الأعشير
مفتش منسق جهوي لمادة اللغة العربية - المغرب

المتتبع لحال اللغة العربية الفصحى، يدرك أنها من أكثر الضحايا التي تسلل إليها الاختراق، الذي لم يعد مقتصرًا على إلباس الفصحى بعض أردية اللغات الأجنبية، وإنما أطلت علينا العولمة بأخرة بصنوف اختراقات أخَر لا قبل لنا بها، ولم نُعدّ العدة اللازمة لنَخْل المعارف المستوردة، وتصفية قمحها من زؤان العولمة الجارفة.. اختراقات تحكّمَتْ، أو كادت أن تتحكم في الذوات الفردية والجماعية التي لم تعد تكتفي بمعاداة الفصحى وقواعدها، ولكن ويا للأسف تطاولت ثُبَات وَعزينَ على القيم الأصيلة التي تُعبِّر عنها الفصحى، وأغْرتْها بُنيَّات طرق الأقدام الخفيفة التي تنتهجها الأمركة، بواسطة شبكاتها الإلكترونية التي أوجدت فئة من الأغْنَام في كل المجتمعات العربية، كلما حاولت التحدث بالفصحى، أو بالفصيحة قفزت إلى ألسنتها سيول من الكلم الأجنبي تَتدُ به كلامها لتُنْجيها من عُسْر الحديث الطلق بالفصحى.

هذا التلوث اللغوي الذي بدأت قطراته وأنواؤه تتحول إلى جَعَافِرَ وأَسْرِيَةٍ دخلت إلى ساحتنا العربية من دون استئذان، لتسطو وتمحو وتزيل المعالم والآثار، لابد لمواجهة هذا السيل القُحاف من تهيئة زُبَر الحديد القادرة على الصّدّ والرّدّ؛ لأجل صيانة لغتنا الجميلة من الطّمّ والرّمّ الذي تُحشى به، سواء صادف ذلكَ مصلحَة أو لم يصادفها. ذلك أن كلمات اللغة في ظل العولمة المُتَغَوّلة مثل الأشياء والبضائع والأناسي تسافر في حركات لا

رادّ لها. لذا فإن القائمين على أمر العربية الفصحى، يجب أن يكون جهاز تصفيتهم ضَيِّق الثقوب، وأن يعدوا كل ما زاد عن الحاجة بذرةَ فساد شيطانية، وجرثومةً سرطانية يجب استئصالها قبل أن يبلغ الأمر المُذَمّر.

لذا علينا أن ندرك نحن العربَ أن الذي يستبدل بكلمة عربية، كلمةً أجنبية إنما يسعى إلى إيجاد سوق لغوية يستفيد منها الأجنبي في إطار الاقتتال والمنافسة اللغوية. ونحن عندما نركب هذه السُّبُل الضالة، نعبِّد الطريق لإيجاد نفوذ لغوي اقتصادي منافس للعربية الحبلى بكثير من الألفاظ والاصطلاحات المَزْمُومَة المَخْطومَة التي ظلت أعيننا في غطاءَ عن آلائها، حتى سَهَتْ عنها أقلام مفَنِّينا ولغوييننا المعاصرين، فأخطأها البحث، رغم أنها على نفسها شاهدةٌ بحُسْن صياغتها ودقتها في الإصابة والوصف الذي يحق له أن يطرد الكلم الأجنبي؛ أملًا في التأسيس لحلول لغوية عربية تضع الهناء مواضع النّقب؛ لإدخال العربية إلى أندية العولمة بكل تلويناتها التقنية والاقتصادية والعلمية والسياسية والخدْماتية والإعلامية.

الخطة البَزْلاءُ التي تبذر بذرة النماء اللغوي الذي يؤتي أكله كل حين، منطلقها تَثْويرُ لغة القرآن الكريم، ودراسة لغة الحديث النبوي الشريف، وإحياء لغة الشعراء المُفْلقين والخطباء المَصَاقِعَة، بَلْهَ الانتماء إلَى دنيا الحرْفيّين والعلَماء الذين يُوَلّدون اصطلاحات مِهْنيّةً تمس أشغالهم وأدواتهم وحرفهم ومعتملاتهم. أما بذور الحيرة والشك التي تزرعها العولمة في أرضنا العربية العَذِيّة لإطفاء أنوار العربية الفصحى، بإشاعة أحكام لمْ تصُنْها أصالة الرأي، فإن هذه الورقة اللغوية، ومعها الدعوات التي تسمع هنا وهناك في أرجاء الوطن العربي، تسعى إلى فتح كوة للأمل؛ نُطِل من خلالها على بعض كنوزنا الدفينة التي حَجَبَهَا عَنّا العَمَش الثقافي الذي ابْتُلينا به طيلة عهود السُّبات العميق، عسانا نصنع معجزة تَدُلُّنا على كنوز الفصحى وجواهرها التي لا توجد على السّيف، لذلك لابد من عَرَكيّ يغوص عنها في بطون أُمّات المعجماتً والرسائل اللغوية التي تغنينا عن التسول بما في أيدي الآخرين، ناهيك عن إعادة الاقتراض من خُشارة موائدهم ومصانعهم اللغوية التي ليس بيننا وبينها نسب.

إذا جاز لي أن أستعير عبارة الفيلسوف العربي الأندلسي ابن رشد: «الحق لا يُضاد الحق» فإن مجموعة من الاصطلاحات والألفاظ المَذيقَة التي نستعملها في أحاديثنا مثل اصطلاح «الكحول» الذي يملأ السمع والبصر، يجب طرده من حظيرة الفصحى لصالح لفظة قرآنية تضرب بعرق أصيل في الفصاحة هي «الغَوْل» التي أحالها قصور الباع، وقلّة الاطلاع إلى الهَجْر الذي جعلها دَبْرَ آذاننا، رغم أنها لفظة قرآنية نتلوها آناء الليل وأطراف النهار على هذه الشاكلة: قال تعالى من سورة الصافات آيات ٤٥و٤٦ثم ٤٧ ﴿يُطافُ عَلَيْهِمْ بِكَأسٍ مِنْ مَعِين بَيْضَاءَ لَذّة للشّارِبينَ لاَ فِيهَا غَوْلٌ وَلاَ هُمْ عَنْهَا يُنْزَفُونَ﴾ أي ليس فيها غائلة الصداع. قال أبوعبيدة: الغَوْلُ أن تغتال عقولهم. وأنشد:

وما زالت الكأسُ تَغْتالُنَا
وتَذْهبُ بالأوّلِ الأوّلِ (١)

وقال امرؤ القيس: (٢)

رُبَّ كأسٍ شَربتُ لا غَوْلَ فيها
وَسَقَيْتُ النّديمَ منْها مزاجَا

«الكحول» إذن كلمة تدل بلا مراء على قصور فهمنا بما لدينا، إنها لفظة كزّة فَجّة متنافرة الأصوات، قَمَشْناهَا مَحْطوبَةً من مصانع الغرب الذي أخذها عَنّا من لفظة «الغَوْل» المُتَأنّقة في مظهرها ومخبرها، فسمّاها «alcool» مستبدلًا بصوت «الغين» التي يصعب تلفظها عندهم صوت «الكاف» لكن عَميتْ علينا أنباؤها فظننا أن كنانة العربية خَلْوٌ منها، فقُمْنا بتعريبها على طريقة المَمْهورَة إحدى خَدَمَتَيْها؛ لنَسُدّ للعربية نقصًا لا وجود له إلا في أذهاننا التي ألِفَت الكسل؛ حتى تكدّس أديم العربية بأمشاج من الكلم المُعَرّب على طريقة إعادة الاقتراض، كما هو الشأن بالنسبة إلى اصطلاح «الغَوْل» الذي أخذه الغرب من لغة القرآن، وحَلأنَا من الرجوع إليه. ومن يضلل الله فما له من هاد!

هذا الاصطلاح المعرب ب: «الكحول» وغيره من الاصطلاحات مثل: «الخرشوف» و«البنزين» و«الترسانة» و«سوزان...» التي عادت إلينا في زيّ غَرْبي مُتنكّر للأصل العربي، يجب ردُّهَا إلى أصلها العربي؛ بتعقُّب أساليب تنكرها ومكرها وتمزيق أقنعتها لإزالة الأصباغ التي تتستّر بها، ومن ثمة الكشف عن وجهها العربي الذي يفضح أسرارها، بكيفية لا يسمح لها ولمثلها بالإقامة في لغتنا العربية المجتباة.

تلك فاتحة ما يجب البداءة به في التنقية والاصلاح اللغوي المستند إلى الأحكام المعلّلة؛ كلما دَجَتْ علينا قضية لغوية جَلّيْناها بالبحث والتفتيش الذي يبرز لطائف الفصحى وقدرتها على التكيف مع دنيا الناس، مهما تعقدت وتطورت. إذ يجب التعامل مع مَتْن العربية بنفس الطريقة التي نسلكها مع اللبن في مِمْخَضه؛ كلما ازددنا مخضه أخرج إتاءه وزبدته؛ وبذلك نستطيع أن نعيد للغتنا العربية بريقها وخلابتها التي تجعل الآخرين يتطلعون إلى الاستمداد منها، تبعًا للحكمة الأزهرية التي تقول: من أراد أن تكون كلماته من رأسه، فلتكن ثمرته من فأسه.

الهوامش:

١- الصحاح: تاج اللغة وصحاح العربية، إسماعيل بن حماد الجوهري، تحقيق أحمد عبدالغفورعطار، الجزء الخامس. (باب اللام فصل الغين) ص ١٧٨٦. ط ٤ – كانون الثاني/ يناير ١٩٩٠م، دار العلم للملايين.

٢- الإتقان في علوم القرآن، أبوالفضل عبدالرحمن الحافظ جلال الدين عبدالرحمن السيوطي، تحقيق وتوثيق: طه عبدالرءوف سعيد، المجلد الأول، الجزء الثاني. ص ٣٢، المكتبة التوفيقية، مصر.

اليوم الأخير

محمد عبد الصمد الإدريسي - كاتب مغربي

حين سأله صديقه «حمدون» على سبيل المزاح والدعابة وهو يريد أن يسمع منه أمانيه:
كيف لو علمت أنك في يومك الأخير من هذه الحياة؟ أين كنت ستقضيه؟
دارت الأرض بـ«الحاج فرج»، وأحس بدقات قلبه تتسارع بطريقة قلقة، لم يعش مثلها حتى في اللحظات الحرجة التي مرت به، لا يعرف لماذا غيرته جملة واحدة.. حتى إنه ليُحس كأن مخالب قد انغرزت في عنقه وأحكمت قبضتها عليه، وأن عروقه توشك من فرط الاحتقان أن تندلق أمام عينيه الجاحظتين.. لقد أنساه هذا السؤال لحظات الأنس السابقة التي أمضياها معًا يتسامران ويتبادلان النكتة تلو النكتة، والمزحة تلو المزحة. لكن «حمدون»- هذا الرجل الظريف الذي يعشق مجالسته كل مساء ليريحه بخفة دمه من ضنك يومه المثقل بالصراعات والهموم- لفظ اليوم قولًا ثقيلًا عليه، وقذفه بسهم لم يخطر على باله أن سيكون يومًا ضمن كنانته التي يجمع فيها كل طريفة ومليحة.

وجد نفسه يعيد السؤال في داخله «ماذا لو كان حقًا هذا يومي الأخير؟». إن السؤال يبدأ بافتراض فقط: «ماذا لو؟»، لكن كلمة «اليوم الأخير» لها وقع غريب.. فلطالما فر من مثل هذا الخطاب المميت الذي لا يطيق سماعه لحظة واحدة.. إن حياته مجرد أرقام وحسابات لا أول لها ولا آخر، وأعماله التي يلهث وراءها كل يوم، على الرغم من أنها روتينية فإنها لا تنتهي.. والمشاريع السياحية والاقتصادية التي ينوي إطلاقها تحتاج شهورًا وشهورًا.. فأي شيطان وسوس لحمدون بفكرة اليوم الأخير؟ إن قضاء يوم أو حتى شهر في أرقى أماكن الدنيا لن يعجز «الحاج فرج» الذي لا يحفظ حتى أسماء مؤسساته الفرعية والصغيرة لكثرتها، والفيلات والشقق التي يمتلكها، لو أراد أن يلبث في كل واحدة منها ساعة من نهار لأمضى في ذلك شهرًا كاملًا!! وسوق الصناعة والتجارة في البلد طوع يمينه ويملك ناصيتها بيده، وعائداتها عليه وعلى أسرته تكفيه للعيش دوما.. لكن حمدون يقول «اليوم الأخير»!! وتناهت إلى سمعه قهقهات «حمدون» وهو يخبط بيديه على الطاولة، فعاد من شروده وشعر كأنه ودع الدنيا

لحظات ثم عاد.. عاد إليها بجسد مكدود وروح قلقة، فلم تعد له حاجة للجلوس.

فاجأه حمدون:

أين سرحت؟ ألا تريد أن أعرف أين ستمضيه؟ لكنه اليوم الأخير!! هههه هههه..

وارتمى «حمدون» مرة أخرى يقهقه في جنون، وأهداب عينيه تلتصق بالدموع، وهو يضحك من حالة الدهشة والهلع التي رآها بادية عليه.. وقد أحالت وجهه كوجه طفل بليد.

أما هو، فقد فرك عينيه كمن قد استفاق لتوه.. وأجال بصره حواليه، فخيل إليه أن الجميع يتحدث عن اليوم الأخير، وأن المنتزه الذي يجلس فيه اسمه اليوم الأخير، ولم يلتفت إلى «حمدون»، وإنما أخذ مفتاح السيارة الأتوماتيكي وأرسل الإشارة، فأضاءت أنوارها من بعيد.. قال السائق وهو يلف عليه حزام السلامة:

إلى أين إن شاء الله يا حاج؟

إلى مسجد الحي.

المسجد؟ هل قلت المسجد يا حاج؟ وهل المسجد عيب علي؟ أم تظنني يهوديًا؟

لا.. مسلم يا حاج.. مسلم.. وأكثر.

كان الوقت وقت صلاة المغرب، والحاج يقف بالقرب من باب المسجد، وهو لا يعرف كيف يبدأ الحديث مع الإمام، إن لسانه لم يتعود إلا على حديث الصفقات والعقود، ولم يجرب قط التعامل مع هذا النوع من الناس.. وظهر الإمام يسلم عليه بعض المصلين، ثم أقبل قادمًا وجلبابه الأنيق تضفي عليه هالة من الجلال والوقار، اعترض طريقه فغمرته نفحة من عطر قوي فارتبك وهو يسلم عليه، وأحس بنفسه كمجرم يقف أمام القاضي الذي سيعفو عنه، فلم يدر هل يعانقه؟ أم يقبل يده؟ أم..أم...

وبدت حركاته متلعثمة حرجة إلى أن جاءه صوت الإمام كالماء البارد:

أهلا وسهلا «حاج فرج».. لا عليك يا حاج.

أوشك أن يغمى عليه وهو يسمع اسمه على لسان الإمام!! كيف يقابله لأول مرة وهو يعرفه ويعرف اسمه؟ إن هذا الأمر يزيد من إدانته.. إدانته بماذا؟ لا يدري؟ المهم أنه يحس بنفسه في وضعية لا يحسد عليها، تبدو معها روحه عارية مكشوفة أمام إمام المسجد، لقد عاش أيامه لا يدخل مكانًا إلا ويتخافت الناس باسمه، ولا يمشي في الطريق إلا واسمه الكبير يسبقه أمامه.. وكان هذا الأمر يشعره بالزهو والمجد، ولم يدر أنه سيقف يومًا موقفًا يتمنى لو لم يعرف اسمه أحد، هاهو «الحاج فرج» يقف أمام المسجد ومع الإمام الذي يعرفه ويعرف اسمه بالضبط.. والعيون تتلصص عليه من كل الزوايا.. وحاول أن يصطنع ابتسامة مؤقتة لكنه لم ينجح إلا في استجماع ما تبقى من شجاعته ليقول دفعة واحدة:

المعذرة يا إمام، جئتك في أمر أسأل عنه، لا تؤاخذني.. على الرحب.. هذا واجبنا.

أريد أن أسألك عن..

عن.. أقصد..

عن ماذا يا حاج؟

أريد أن أعرف عن..

عن العمل في اليوم الأخير؟

اليوم الأخير؟! وما لك واليوم الأخير؟! إننا مطالبون بعمل الخير كل يوم.. وإذا قامت الساعة وفي يد أحدكم فسيلة فليغرسها.. كما قال المصطفى ﷺ.

كمن عثر على ضالته في الظلام، قاطعه «الحاج فرج»:

الفسيلة؟ ما الفسيلة؟

الفسيلة.. النخلة أو النباتات الصغيرة للغرس يا حاج؟ ﴿وقل رب زدني علمًا﴾، كان ما سمعه «الحاج فرج» جديدًا عليه يسمعه لأول مرة، فلم تعلمه حياته المهنية سوى الحذر والاحتياط والادخار في يوم الرخاء ليوم الشدة.. لذلك ما إن غادر الإمام حتى أخرج «الحاج فرج» هاتفه، اتصل بأحد مستخدميه في عجل قائلًا: أريد أن تكون ضمن أقرب صفقة استيراد حمولة من الفسائل؟ واحرص أن تكون من أجود الأنواع..

الفسائل؟ نعم الفسائل.. ﴿وقل رب زدني علمًا﴾.

في أطلس الفتوحات.. تصافحك أجواء المجد الإسلامي على امتداد التاريخ

د.محمد حسين أبوالعلا
أكاديمي مصري

نعم.. لا تزال الفتوحات الإسلامية هي البؤرة الآسرة في التاريخ العربي الإسلامي، ولا تزال محل استقصاء ودراسة وتحليل عند علماء الغرب، بل لا تزال هي الممثل الحقيقي للقوة الإسلامية على امتداد تاريخها، إذ إنها الانطلاقة الكبرى في المشاركة الحضارية والإسهام الفاعل في تأكيد سطوة الكينونة الإسلامية وإقرار السنة الكونية في التدويل ببصمة عريضة لا تمحى، ذلك أنها دالة بفاعليتها على المدى الزمني العميق والزاخر الذي بلغ بها نحو ثمانية قرون بما تتضاءل بجانبه حضارات أخرى كثيرة.

لقد جاء أطلس الفتوحات الإسلامية فيضًا معرفيًا هائلًا قدمه التراثي الشهير أحمد عادل كمال، في محاولة علمية محضة استغرقت ما يزيد على ربع قرن لتجديد العهد بالفتوح الإسلامية، لكنه جاء على غير ما كان من الكتابات عن هذه الفتوح، ذلك أنه تصوير خرائطي لأحداث التاريخ بمعنى أنه يحكي بالخرائط ذلك التاريخ المتفرد ويشرحه بأقل قدر من العبارات، ولقد اعتمد الأطلس في منهجيته على نحو مائة وأربعة وثلاثين خريطة، تم ضبطها وتحقيق مواقعها وإيضاح المسارات والالتقاءات وبيان مراحل كل معركة ومراحل كل فتح وتواريخ ذلك بالتقويمين القمري والشمسي، كما اعتمد في إطار تلك المنهجية دراسة حركة الفتوح الإسلامية من الزاوية الجهادية، استراتيجية وتخطيطًا متناولًا فتح العراق وسائر إمبراطورية فارس الساسانية، شاملة أقاليم فارس والأهواز وساجستان ومكران وخراسان وأرمينيا وأذربيجان، ثم

ضرورة مواجهة العقل الإسلامي لنظيره الغربي لدحض اختلاقاته السوداء

تناول أقاليم ما وراء النهر والسند، كما تم تناول فتح بلاد الشام وسورية ولبنان والأردن وفلسطين، وما يتعلق بفتح مصر والشمال الإفريقي، ثم جزر البحر المتوسط وبعض سواحله الشمالية من إيطاليا وفرنسا وحتى سويسرا.

ويعرض الأطلس في تسلسل تاريخي لتلك الفتوح في ما بين المحيط الأطلسي والمحيط الهادي باعتبارها حدثًا متفردًا استثنائيًا في تاريخ العالم غير مسبوق ولا متبوع، ويعود تفرده هذا إلى سرعة الإنجاز وعبقريته، إذ لم يتجاوز مداه الزمني أكثر من عشرين عامًا مسجلًا ريادة وصدارة ومكانة وكيفية وشموخًا حضاريًا يذكر العالم الإسلامي دومًا بشروط النهضة وأسس التقدم ومعطيات السيادة وثوابت التاريخ ودروسه وحكمه ومتغيرات الجغرافية حين تتجه النوايا نحو الإقلاع الحضاري.. وقد أشار إلى أن هذه الفتوح قد تمت على مرحلتين، الأولى تبدأ منذ نهاية عهد أبي بكر الصديق إلى نهاية عهد عمر بن الخطاب، وفيها تم فتح العراق وبلاد فارس كلها ومصر، أما الثانية فهي تمثل فترة خلافة الوليد بن عبدالملك بن مروان والتي تم فيها فتح الشمال الإفريقي كله والأندلس ثم فتح آسيا الوسطى وإقليم السند في الشرق وهي مساحة تمتد إلى أكثر من سبعين خطًا من خطوط الطول، وكل ذلك يأتي في شرح مستفيض واف ربما لا يسمح بالعودة لمراجع أخرى قد لا تبلغ درجة شموله وإحاطته بكل ما يرتبط بتلك الفتوح من جغرافية وعقيدة وحضارة.. ويأتي أطلس الفتوح الإسلامية مدعومًا بحشد من الفهارس الدقيقة على غرار فهرس الأعلام وفهرس البلدان والأماكن والتضاريس، بجانب ذلك

رصد الأطلس يوميات وحوليات تلك الفتوح الإسلامية طبقًا للتاريخين الهجري والميلادي على مدار نحو تسعمائة وخمسين عامًا بدءًا من فتح خيبر وانتهاء بفتح موسكو ومملكة بورنو الإفريقية.

أجواء المجد الإسلامي

ولعل المتصفح لهذا الأطلس إنما يعايش أجواء المجد الإسلامي على امتداد أشواطها التاريخية متبينًا مدى التفوق الأسطوري عسكريًا وحضاريًا، كذلك تجليات العظمة في أطيافها المتنوعة ومدى انسحاق الآخر أمام الأنا الإسلامية التي كانت محط أنظار الأمم والشعوب على اختلاف أعراقها وثقافاتها، وهو ما يجعلنا نتواجه بالضرورة مع بعض التساؤلات مثل: لماذا لم يستلهم العقل الإسلامي المعاصر القيمة الفعلية للفتوح الإسلامية من حيث المغزى والدلالة والمعنى التاريخي؟ لماذا لم يستلهم ذلك العقل أيضًا ولو ومضات من تراثه الفكري والثقافي والديني بما يحرك ثورة الشك داخله وينسف معطياته البالية التي دفعته دفعًا نحو التقهقر والتخاذل بل والانسحاب من الشوط الحضاري المعاصر؟ وإلى متى يظل الواقع الإسلامي على درجة عليا من التردي في ظل غيبة هذا العقل الإسلامي؟ وكيف يمكن تطويع هذا العقل ليعمل بآليات وطرائق معاصرة تتسق وتغيرات الواقع الإنساني؟ بل كيف له أن يستوعب تلك اللحظة الحضارية التي خاضت العقول في صناعتها وإحداثها، بل ومحاولات الارتقاء بها لما هو أسمى؟ وما الذي يشغل هذا العقل الآن؟ وهل لتلك الموضوعات والقضايا والإشكالات من أصداء تعد محققة لوجوده؟ وبأي معيار يمكن قياس طموحات العقل الإسلامي؟ وهل تمثل هذه الطموحات خطوات ريادية نحو اجتذاب خيوط المسيرة الحضارية؟ أم أنها طموحات لا تعدو أن تكون منبتة الصلة بأحداث دافعية خاصة بالواقع الإسلامي المعاصر؟ وهل تمثل المراجعة الذاتية لخلايا وسراديب العقل الإسلامي النواة الكبرى في اتخاذ مسارات تحديثية محققة لأهليته؟

إن الإجابة عن كل تلك التساؤلات يمكن اختزالها في ضرورة تفعيل العقل الإسلامي ليتواجه من جديد مع العقل الغربي الجامح داحضًا مزاعمه واختلاقاته السوداء، عاصفًا بآراء الجبهة الاستشراقية المعادية للإسلام واقعًا وتاريخًا وعقيدة، ليؤكد ديناميكيته وحيويته وصلابة منطقه حتى لا يظل أسير أطروحات وأفكار تفتقد للموضوعية والرصانة العلمية، ساعية نحو خلخلة الأطر الأيديولوجية للإسلام، فضلًا على محاولات تقويض شموخ مقاصده العليا التي يمكن أن تعصم الإنسانية الآن وتقيلها من عثراتها وهي في أشد لحظات تأزمها.

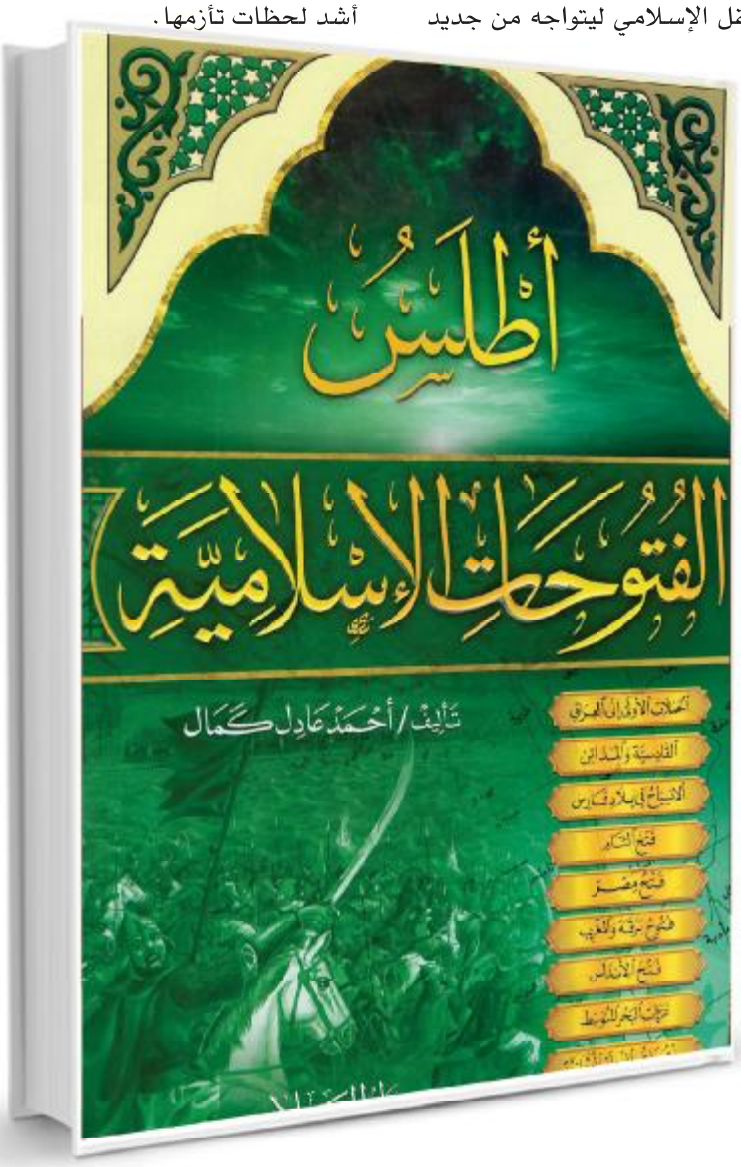

الملل وفقدان الحافز الشخصي من أهم أعراض ما بعد البلوغ

بشرى شاكر
باحثة وإعلامية - المملكة المغربية.

جل المراهقين ومع بداية الاضطرابات الفسيولوجية التي ترافق مرحلة مرورهم من الطفولة إلى المراهقة يبدأون بالشعور بنوع من القلق والتغييرات المزاجية ويترجمون ذلك بأعراض فسيولوجية مثل: اضطرابات الهضم، زيادة في الوزن، آلام مختلفة، الشعور بالإعياء، التشنج القوي، وغالبا ما ترافق هذه الأعراض التي تعد نوعا من المرض النفسي- الجسدي psychosomatisation، لدى العديد من المراهقين عدم الرغبة في الدراسة وأيضا عدم المشاركة في الحصص الترفيهية بما فيها الرياضة، ويبدأ المراهق في الانطواء على نفسه أو يتبنى سلوكيات عدائية تجاه مجتمعه، وكأنه يطلب من محيطه عدم الإزعاج وتركه لعزلته.

تسمى هذه الفترة بفترة ما بعد البلوغ، وهي مرحلة تعرف تغيرات هرمونية تعطل عمل الجسم ودفعاته الحيوية أو «الليبيدو»، ويدخل فيها المراهق في حالة اكتئاب، ويفقد حوافزه الشخصية ورغبته في كل شيء، ولا يقتصر

المبالغة في الإهتمام بالنتائج الدراسية يأتي بمردود سلبي على المراهق

هذا الأمر على الدراسة فقط، وإنما أيضا أي أمر يربطه بمجتمعه حتى وإن كان ترفيهيا، فيبدأ بالشعور بالملل والضجر من كل شيء، وهنا على الأهل أن يساعدوا «طفلهم المراهق» في التغلب على ما يمر به من تغيرات لا يستطيع مجاراتها فيقابلها بالابتعاد عن كل نشاط، والتأفف من كل شيء، وذلك بالبحث عن حافز لطفلهم والأشياء التي يمكن أن تسترعي انتباهه أكثر من غيرها، دون أن يرغموه على حوافزهم الشخصية، حيث إن معظم الآباء حينما يجدون من أبنائهم تراجعا دراسيا وانزواء على ذواتهم لا يفهمون ما يعانون منه، بل يستمرون في الضغط عليهم للاجتهاد أكثر والدراسة، لأنهم يسقطون رؤيتهم للمستقبل عليهم ويريدون رؤيتهم ناجحين، تماما كما كانوا يحلمون بتحقيق هذا النجاح لأنفسهم، وباتوا يرونه في أطفالهم، كما أن هناك من يدفع طفله للخروج من عزلته، لأنه بطبعه اجتماعي، ويرى أن على ابنه أن يكون مثله، ويندمج في مجتمعه ومحيطه.

في هذه المرحلة بالذات على الآباء مراعاة حوافز الطفل وليس أهدافهم الشخصية، فإن كان الطفل يميل للرسم فقد يكون هذا الشيء الوحيد الذي سيخرجه من الملل الذي يحسه وفقدان رغبته في الأشياء الأخرى وبتركه يرسم وينفس عن رغبته هاته قد يعود لباقي الأشياء بنفسه وبدون ضغط من أهله، أي يعود للدراسة والتحصيل العلمي، وأيضا يبدأ في المشاركة في الأنشطة الترفيهية والرياضية الجماعية.

إن فترة المراهقة هي فترة تكثر فيها التساؤلات لدى الطفل الذي قارب البلوغ، فهو يفكر في مستقبله وفي هويته، ويطرح العديد من الأسئلة حول وضعه والمتغيرات التي تحصل له جسديا ونفسيا، ولذلك فمعظمهم يدخل في فترة عدم

الرغبة في أي شيء، والابتعاد عن كل أمر يجعلهم يفكرون من جديد مثل الدراسة، والاحتكاك بالغير، وعليه فإن أنجع الوسائل التي يمكنها أن تساعد هذا المراهق على الخروج من حالته هذه، هي محاولة الأهل محاورته وإقحامه بشكل لطيف في مناقشات وأيضا بعض الأعمال التي كانت تستهويه من قبل أن يقع في مرحلة الضجر والملل هذه، كما أن على الأهل الاهتمام برغبات المراهق في هذه المرحلة الحرجة، وليس فقط بالتحصيل الدراسي لديه، لأنه ما إن يشعر أن أهم شيء لديهم هو نتائجه الدراسية فإنه يميل إلى عدم الذهاب للمدرسة، وإلى التقليل من الاهتمام بدروسه، وكأنه يفرض نوعا من العقاب على والديه لأنهما يهتمان لدراسته أكثر ما يهتمان له ولرغباته بنظره طبعا، خاصة أن مرحلة المراهقة توافق نهاية المرحلة الإعدادية وبداية الثانوية، فيعامل الطفل على أنه شخص بالغ، إذ إننا نطلب من المراهق التفكير بالدراسة على أنها عمل يؤهله للمستقبل بينما من قبل كان يدرس ليحصل على نتائج جيدة ويرضي والديه وأساتذته أو ليحصل على جائزة ما، ولكن دون أن ينظر إلى أبعاد هذه الدراسة أو يفكر في المستقبل، فيبدأ المراهق بطرح عدة أسئلة، عن التوجه الدراسي الأنسب، وهل يتوفر على الكفاءات اللازمة ليختار توجها أو آخر، كثرة الأسئلة تجعله يشعر بالرعب والخوف وبالتالي يقرر أسهل الأمور وهو التخلي عن كل شيء ويفقد رغبته في كل شيء أيضا.. ولهذا فإن أفضل وسيلة لمساعدته على اجتياز ما يمر به هو عدم المبالغة في الاهتمام بالنتائج الدراسية، ولكن بنفس الوقت الاهتمام بكل نجاح له ومساعدته بدون ضغط على أن يعود لطبيعته، ويتجاوز ما يشعر به من خوف من المتغيرات التي تلحق جسمه وحياته، كما أنه لا ضير من أن يقوم الوالدان أو أحدهما برحلة رفقة هذا «الطفل المراهق»، أو ببعض الأنشطة التي لا علاقة لها بالدراسة، كأعمال يدوية لا تستدعي كثرة التفكير التساؤلي ولكنها تحتاج للتركيز، وهي أعمال تجعل المراهق يفرغ طاقته وبنفس الوقت يعود للاندماج في حياته الطبيعية، وتمكن الآباء من معرفة ميول الطفل لجعلها حافزا له للمرور من هذه المرحلة بشكل سليم وبأدنى مشاكل.

مقدمات في التجديد والاجتهاد الأسري

الجيلالي بن محمد سبيع – باحث دراسات أسرية

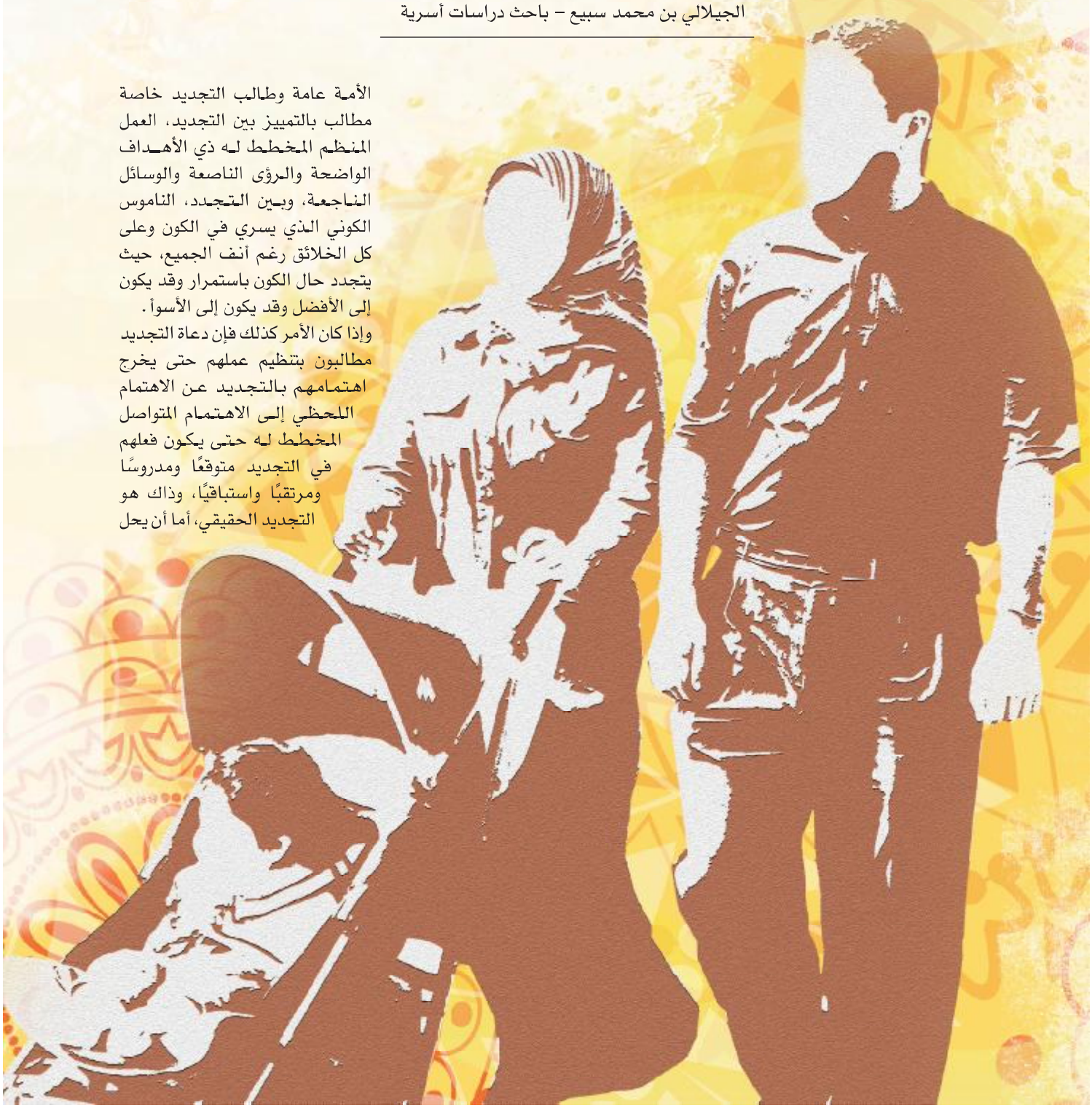

الأمة عامة وطالب التجديد خاصة مطالب بالتمييز بين التجديد، العمل المنظم المخطط له ذي الأهداف الواضحة والرؤى الناصعة والوسائل الناجعة، وبين التجدد، الناموس الكوني الذي يسري في الكون وعلى كل الخلائق رغم أنف الجميع، حيث يتجدد حال الكون باستمرار وقد يكون إلى الأفضل وقد يكون إلى الأسوأ.

وإذا كان الأمر كذلك فإن دعاة التجديد مطالبون بتنظيم عملهم حتى يخرج اهتمامهم بالتجديد عن الاهتمام اللحظي إلى الاهتمام المتواصل المخطط له حتى يكون فعلهم في التجديد متوقعًا ومدروسًا ومرتقبًا واستباقيًا، وذاك هو التجديد الحقيقي، أما أن يحل

التجديد فوق رؤوسنا في شكل صدمات تحرك فينا همم البحث في أعقاب تلك الصدمة وتلك اللحظة، لنستريح بعد معالجة تلك النازلة استراحة محارب فهذا تجدد، وقد يأتي في لحظات أخرى بما لا طاقة لقدراتنا القتالية التجديدية معه.

وأهم ما يجب أخذه بعين الاعتبار في أي عملية تجديدية اجتهادية هو المنهج الذي سيتبع في تلك العملية الشمولية المعقدة، وحين نتحدث عن منهج في التجديد والاجتهاد فإننا نتحدث عن منهج عام، له وحدة متماسكة، ويتناول أحكام الإسلام بصفة عامة لا يفرق بين مجال وآخر.

غير أن عمومية هذا المنهج لا تنافي اهتمامه بطبيعة أي مجال سيسبر أغواره، لأن لكل مجال خصوصيته التي تميزه عن مجالات أخرى، خصوصية تجعل الدارس والباحث عن التجديد في مجال من المجالات يعرف ما يقدم وما يؤخر، يعرف ما يمكن تغييره وما لا يمكن، يعرف أين ينفق جهده، يعرف باختصار من أين تؤكل الكتف؟

وإذا عرفت أهمية معرفة طبيعة أي مجال قبل بدء الاشتغال فيه، فإن للأسرة خصائص ومميزات تجعلها حقلًا فريدًا، ومنزلًا خاصًا، ويمكن إجمال أهم ما يميزها في النقاط التالية:

١-الأسرة نظام إلهي وتشريع سماوي بامتياز، إلهي في أصل خلقها ووجودها، وسماوي في تعهدها من العدم إلى العدم، من عدم ما قبل الوجود إلى عدم ما بعد الموت . والعدم هنا تعبير مجازي . وإلا فالموت قنطرة نحو حياة أخرى.

وهذا الأمر يناقض عددًا كبيرًا من النظريات والنظريات الاجتماعية خصوصًا، والتي ترى أن الأسرة نظام من وضع البشر والمجتمع، ونتفق مع أصحاب تلك النظريات أن المجتمع يشرف على الأسرة، إنما ليس هو واضع نظامها وقواعد سيرورتها، ﴿سُبْحَانَ الَّذِي خَلَقَ الْأَزْوَاجَ كُلَّهَا مِمَّا تُنْبِتُ الْأَرْضُ وَمِنْ أَنْفُسِهِمْ وَمِمَّا لَا يَعْلَمُونَ﴾ (يس: ٣٦).

٢ -الأسرة حقل عرف تشريفًا لم يشهده حقل تشريعي آخر في الإسلام، ومما يدل على ذلك اعتبار الله عز وجل الزواج العقد المؤسس للأسرة آية من آياته، وهو عقد تشارك في إبرامه ومباركته أطراف عدة عكس أكثر العقود التي تستلزم رضا وحضور المتعاقدين فقط، وتستمد الأسرة تشريفها أيضًا من كون فك رابطتها من أبغض الحلال(٢) إلى الله عز وجل، فإن لم تكن بذاك الشرف والمكانة فلم أحيطت بكل هذه الهالة وهذا الاحتياط؟!.

٣ – الأسرة حقل فصلت أحكامه في القرآن تفصيلًا دقيقًا، عكس ما هو معروف في أغلب أحكام الإسلام التي يقدمها القرآن في شكل مبادئ عامة مجملة وقواعد كلية، لتقوم السنة بتفصيل تلك الأحكام وشرح مجملها وغامضها ومبهمها، وتخصيص عامها وتقييد مطلقها.

وقد اختلف الأمر في المجال الأسري إذ ترك للسنة الشارحة نزر يسير توضحه من تلك الأحكام، والكل يعلم كيف فصل الله عز وجل في كتابه العزيز في أحكام الزواج والطلاق والعدة والرجعة والإرث وغيرها، وسيلامس هذا الأمر عن كثب كل من عاد إلى كتب تأصيل أحكام الأسرة، ليقف على أن أصل أغلب أحكام التشريع الأسري مأخوذ ومبثوث ومفصل في القرآن الكريم.

٤ – الأسرة حقل له ارتباط وثيق بالعقيدة والايمان والتربية، أو لم يربط الله عز وجل بر الوالدين . وهو أمر أسري . بوحدانيته ورضاه(٣) فقال عز من قائل: ﴿قُلْ تَعَالَوْا أَتْلُ مَا حَرَّمَ رَبُّكُمْ عَلَيْكُمْ أَلَّا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا﴾ (الأنعام: ١٥١)، ولأهمية الأمر كرره فقال: ﴿وَقَضَى رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا إِيَّاهُ وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا﴾ (الإسراء: ٢٣).

أو لم يردف الله عز وجل آيات كثيرة من التشريع الأسري بالدعوة إلى تقواه! ولننظر خاصة في آيات الطلاق وكيف تكرر فيها هذا الأمر باستمرار فقال الله في افتتاح سورة الطلاق: ﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ إِذَا طَلَّقْتُمُ النِّسَاءَ فَطَلِّقُوهُنَّ لِعِدَّتِهِنَّ وَأَحْصُوا الْعِدَّةَ وَاتَّقُوا اللَّهَ رَبَّكُمْ﴾ (الطلاق: ١) وتكرر أمر التقوى أربع مرات في الآيات الخمس الأولى.

أما أمر التربية فواضح في التشريع الأسري القرآني وضوح الشمس، ويتجلى في الدعوة المستمرة إلى التساكن والرحمة والمودة والفضل والاعتراف بالفضل، وكل ذلك نتيجة للتربية السليمة والأخلاق الفاضلة ومن أمثلة هذه الدعوات قوله تعالى: ﴿وَعَاشِرُوهُنَّ بِالْمَعْرُوفِ﴾ وقد أجمل ﷺ هذا الأمر في قوله: «خيركم خيركم لأهله، و أنا خيركم لأهلي»(٤)، وقوله: «أكمل المؤمنين إيمانًا أحسنهم خلقًا وألطفهم بأهله»(٥).

إن ما سقناه من أمثلة يستنبط منها ذاك الارتباط، إنما هو غيض من فيض، لتظل العقيدة والإيمان والتربية محركات تدفع الأسرة نحو مزيد من الالتزام والرقي والعطاء.

٥ – الأسرة حقل انعدمت فيه منطقة الفراغ التشريعي، أو بالأحرى كادت تنعدم، مما نجم عنه ضيق في مجال الاجتهاد، وهذا الضيق هو نتيجة حتمية للتفصيل الذي طال التشريع الأسري كما قلنا من قبل.

هذا التفصيل ولد أنواعًا أخرى داخل الحقل الأسري من مثل اجتهاد الفهم والإدراك والتنزيل داخل هذه الخلية.

٦ – الأسرة حقل مفتوح: ويتطلب تدخلات متتالية، وليس في هذا تناقض مع الخاصية التي قبلها، لأن

الباب مفتوح على مصراعيه لاستقبال نوازل أسرية جديدة، ومعلوم أن النوازل لا تنتهي وخصوصًا إذا تعلق الأمر بمجال يحتاجه جميع الناس ويلجؤون إليه، لأنه لا يوجد شخص على وجه الأرض إلا وتربطه مع آخرين علاقة أسرية.

٧ –الأسرة حقل يشرف عليه المجتمع: ويتعهده باستمرار في إشارة بليغة إلى أهميته وخطورته وقدسيته وفداحة العبث فيه وبه.

يقول د. عبدالمجيد النجار: «ومن أحكام الأسرة أن يكون تأسيسها بالزواج شأنًا اجتماعيًا يشرف عليه الأهل من الطرفين بالولاية، ويشارك فيه المجتمع بالإشهار، فإذا ما شابتها أثناء رحلة الحياة شوائب الشقاق أشرف المجتمع على ذلك بتحكيم حكمين من أهل الزوج والزوجة للحيلولة دون ما عسى أن يتركه ذلك الشقاق من أثر سلبي على العلاقات التي كانت قد توطدت بآصرة الصهر، وذلك إما استئنافًا للمعاشرة بالمعروف، أو إنهاء لها بإحسان»(٦).

وما قاله د. عبدالمجيد أمثلة من قاعدة عامة قال فيها: «ومن أبرز ما يدل على المقصد الاجتماعي من الأسرة أن الدين قد اعتبرها في أحكامه شأنًا اجتماعيًا وليس شأنًا شخصيًا، وأوكل شطرًا كبيرًا من شؤونها إلى المجتمع يرى فيه رأيه ويعالجها بمعرفته.. وذلك من مثل قوله تعالى ﴿وَلا تُنْكِحُوا الْمُشْرِكِينَ حَتَّى يُؤْمِنُوا﴾(البقرة:٢٢١) وقوله تعالى كذلك ﴿وَأَنْكِحُوا الأَيَامَى مِنْكُمْ وَالصَّالِحِينَ مِنْ عِبَادِكُمْ وَإِمَائِكُمْ﴾ (النور: ٣٢)(٧).

٨ – الأسرة حقل حرص عليه الشرع أيما حرص

حرص عليها بالدعوة إلى التقوى والمكارمة والخلق الحسن فقال من ضمن ما قال: «إذا جاءكم من ترضون دينه وخلقه فأنكحوه إلا تفعلوه تكن فتنة في الأرض وفساد عريض»(٨)

وحرص عليها بالوقاية والاحتياط فقال مما قال: ﴿قُلْ لِلْمُؤْمِنِينَ يَغُضُّوا مِنْ أَبْصَارِهِمْ وَيَحْفَظُوا فُرُوجَهُمْ﴾ (النور: ٣٠)، وقال أيضًا: ﴿ وَلا تَقْرَبُوا الزِّنَا إِنَّه كَانَ فَاحِشَةً وَسَاءَ سَبِيلا﴾ (الإسراء: ٣٢).

وحرص عليها بتسليط أشد العذاب على من اعتدى عليها أو أخل بنظامه أو مبادئها، فقال مما قال: ﴿ إِنَّ الَّذِينَ يَرْمُونَ الْمُحْصَنَاتِ الْغَافِلاتِ الْمُؤْمِنَاتِ لُعِنُوا فِي الدُّنْيَا وَالآخِرَةِ وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾ (النور: ٢٣).

يقول د. محمد البشير مغلي: «ولقد بلغ سبحانه من حرصه على صيانتها حرصه على تكوينها وفق إرادته، أن سلط - وهنا المغزى - على الإخلال بقواعدها والتعدي على حدودها وانتهاك حرماتها أشد أنواع العذاب في الدنيا وأضرى أصناف التنكيل وأردع القوامع وأبلغ المقامع التي تبلغ حد القتل رجمًا أو رميًا من شاهق على مشهد جماعي من الناس بل وإشراكهم في إقامة الحد، أو جلدًا أو تغريبًا ونفيًا أو نزعًا لشرف الشهادة، ما كان في اقتراف جرائم أسرية وعظائم اجتماعية كرذيلة الزنا وخسيسة الشذوذية وكبيرة القذف» (٩).

إن ما ذكرناه من خصائص متعلقة بالحقل الأسري يدل دلالة واضحة على أهمية هذه الخلية النواة في المجتمع، فالتشريع والحفظ الرباني والإشراف والتعهد المجتمعي عاملان يدلان على قداسة وشرف الأسرة وإرادة كل طرف منهما صونها عن العبث والتلاعب لما ينجم عنهما من أضرار بليغة وآفات وخيمة.

٩ – الأسرة حقل مقاصدي بامتياز، ففيه يحفظ الدين القويم، وفيه تصان النفس البشرية عن الضياع والفساد، وفيه يعتنى بالعقل السليم، وفيه يحفظ النسل وتعرف هويته ونسبه، وفيه يحفظ المال والعرض معًا.

ولكل واحد من المقاصد الضرورية السابقة، ما يدل عليه من الشرع ويدعو إلى وجوده وحفظه وصيانته عن العبث والعنت.

وبتسييج أحكام الأسرة بالمقاصد وتوجيهها وفق قصد الشارع، يحكم الرباط ويشدد حول الخلية الأساس في المجتمع وفي ذلك إشارة إلى شرفها ومكانتها، قال المقري رحمه الله: «إذا شرف الشيء في نظر الشارع كثرت شروطه وشدد في تحصيله»(١٠).

هوامش

١- أخرجه أبوداود في كتاب الملاحم، باب ما يذكر في قرن المائة، تحت رقم ٤٢٩١، سنن أبي داوود، ص ١٠٦، ٤/١٠٧، طبعة ١٤٠٨هـ ١٩٩٨م، دار الجيل.
وأخرجه الحاكم في المستدرك على الصحيحين، في كتاب الفتن والملاحم تحت رقم ٨٥٩٢، لمحمد بن عبدالله أبوعبدالله الحاكم النيسابوري، تحقيق: مصطفى عبدالقادر عطا، ص ٤/٥٦٧،ط ١، ١٤١١هـ- ١٩٩٠م، دار الكتب العلمية – بيروت.

٢- عن ابن عمر رضي الله عنهما أن النبي ﷺ قال: «أبغض الحلال إلى الله الطلاق»، أخرجه البيهقي في السنن الكبرى، باب ما جاء في كراهية الطلاق، ص ٧/٣٢٢.

٣- عن عبدالله بن عمرو قال: قال رسول الله ﷺ: «رضا الله من رضى الوالدين وسخط الله من سخط الوالدين» أخرجه البيهقي في شعب الإيمان، باب في بر الوالدين، تحت رقم ٧٨٢٩، ص ٦/١٧٧.

٤- أخرجه ابن ماجه في سننه، باب حسن معاشرة النساء، تحت رقم١٩٧٧. ص ١/٦٣٦.

٥- أخرجه النسائي في سننه تحت رقم ٩١٥٤، ص ١، ١٤١١هـ- ١٩٩١م،
دار الكتب العلمية، بيروت.

٦- مقاصد الشريعة بأبعاد جديدة، د. عبدالمجيد النجار، ص ١٦٤ و ١٦٥، ط١، ٢٠٠٦م، دار الغرب الإسلامي.

٧- المصدر ذاته، ص ١٦٣.

٨- أخرجه البيهقي في السنن الكبرى، باب الترغيب في التزويج من ذي الدين والخلق المرضي، تحت رقم ١٣٢٥٩. ص ٧/٨٢ .

٩- «مقاصد التنزيل من تشريعات الأسرة الإسلامية» مقال للدكتور محمد البشير الهاشمي مغلي- أستاذ بجامعة الأمير عبدالقادر للعلوم الإسلامية بقسنطينة- بمجلة المجلس الإسلامي الأعلى بالجزائر، ص ١٧٧. العدد ٣، السنة ٣، ١٤٢٠ هـ – ٢٠٠٠م.

١٠- من القاعدة ٨٥٣، قواعد الفقه، ص ٣/٣٩٣.

الذهب.. سيد المعادن

محيي الدين عواد الظاهر - باحث سوري

هو بالرومية خرصون وبالسريانية دهبا، وبالهندية سورن، وبالتركية ألطن وبالفارسية زر، وبالعربية بعد الذهب النضار، ويقال لما استغنى منه بخلوصه عن الإذابة العقيان، وهو مثل الموجود في براري السودان . استعمل الذهب لعدة قرون في صنع الحلي والعملات، ولعدة قرون كان كل ما ينشئه الإنسان، ويصنعه يقوم على أساس الذهب، وكل ما يشتريه من بضائع وسلع يدفع ثمنه بالذهب. كان الأمر كذلك في الصين، والهند، ومصر القديمة. ولايزال كذلك أيضا في عالمنا الحديث. وفي كل أدوار تاريخ الذهب فإنه كان سيد المعادن، فهو الذي تؤدى جميع الأعمال من أجله. وباستثناء الحلي، والأسنان الصناعية، والتعليقات الذهبية، وكذلك في بعض الأحيان الملامسات الكهربائية، والمغازل لصنع الألياف، لم يكن للذهب استعمالات عملية. ويزامل الذهب عدة معادن، أخرى هي التي تجاوره في النظام الدوري. فمنها الفضة التي كانت معيارا للنقد جنبا إلى جنب مع الذهب وكانت قيمتها أعلى من قيمة الذهب في الأزمنة القديمة، والبلاتين الذي لا يزال له حتى اليوم قيمة أعلى من الذهب، والمعادن البلاتينية: البلاتين، والإيريديوم، والروديوم، والروثينيوم، والأزيوم، وهي أقل وفرة من الذهب، ولم تسهم في خدمة الإنسان إلا حديثا.

الدم والعرق

لقد كان الذهب، هذا المعدن الوضاء، على مر القرون سببا في ارتكاب الجرائم، ونشوب الحروب، وفي تعاسة وفقر الغالبية من الناس وفي رفاهية القلة منهم. ويصور الذهب في الأساطير على أنه بذرة أحط الأحاسيس والمشاعر. وتوصف الحروب والمؤامرات لحيازة الذهب في كثير من أوراق البردي المصرية التي يرجع تاريخها إلى آلاف السنين. وكان الذهب هو الذي دفع الإسبان إلى تدمير حضارات الأزتيك والمايا الفريدة ولقد محيت أمم بأكملها من على ظهر الأرض ليعود الإسبان والبرتغاليون والبريطانيون بسفن محملة بالذهب إلى أوطانهم.

وكل اكتشاف لرواسب ذهبية جديدة يكون مثارا لاندفاع جديد وراء الذهب يصحبه عدد لا يحصى من المآسي والوفيات. لقد كان الأمر كذلك عندما اكتشف الذهب في البرازيل وحدث نفس الشيء عندما تدافعت الجماهير الباحثة عن الذهب إلى كاليفورنيا. ولقد قدم الكاتب «جاك لندن» وصفا مؤثرا للاندفاع وراء الذهب على ضفاف الكوندايك الجليدي.

وكان الذهب سببا في نشوب حروب عديدة في تاريخ الإنسان. فلقد نشبت حرب بين إنجلترا وإسبانيا من أجل

ذهب أميركا. ومنها حرب بين إنجلترا والترنسفال من أجل ذهب وماس جنوب إفريقيا. ومن المحقق في كل الحروب الرأسمالية أنها قد نشبت من أجل الذهب، مهما كانت الأسباب النبيلة التي يتستر وراءها المحاربون، دينية كانت أم وطنية.

ولكن للذهب جانبه الوضاء أيضا؛ فلقد صنعت منه أيدي الجواهريين الماهرة ما لا يحصى من الأشياء الجميلة المتقنة. ولسوء الحظ فإن ما صنعوه من روائع كان يتحول غالبا إلى كتل صماء، لأنها كانت مصنوعة من الذهب.

ولقد بدأ الإنسان في التنجيم عن الذهب في نفس وقت التنجيم عن النحاس، إن لم يكن قبل ذلك.

ولكن الذهب كان نادرا في عالم الإنسان القديم – أوروبا، وشمال إفريقيا، وجنوب آسيا. ثم اختل الميزان باكتشاف الأمريكتين وكان التوسع في إنتاج الذهب كبيرا، بالأخص في نهاية القرن السابع عشر، عندما بدأ تطوير واسع النطاق لحقول الذهب في البرازيل. وفي خلال القرن الثامن عشر كان متوسط الإنتاج السنوي من الذهب حوالى (١٩) طنا.

وفي بداية القرن التاسع عشر انصرفت الجهود إلى الحرب التي شنتها مستعمرات أميركا الشمالية ضد الإسبان، فهبط إنتاج الذهب هبوطا حادا، فكان متوسط الإنتاج السنوي فيما بين عامي ١٨٠١، ١٨٢٠ حوالي ١٤,٦ طنا، ولكن الإنتاج السنوي من الذهب ارتفع في منتصف القرن التاسع عشر إلى ٢٠١,٣ طنا وفي نهاية هذا القرن كان الرقم ٤٥٨,٤ طنا.

وزاد الإنتاج في أثناء الحرب العالمية الأولى، وفي عام ١٩٣٨ كان الإنتاج ١١٦٣ طنا، وزاد إلى ١٢٦٨طنا في عام ١٩٤٠.

غالبية الذهب تستخرج من الترنسفال..على أعماق تصل إلى ٣آلاف كيلو

وأدت الحرب العالمية الثانية إلى تناقص آخر في إنتاج الذهب، فلم ينتج عام ١٩٤٥، سوى ٨١٢ طنا وفي عام ١٩٥٠ بلغت حصيلة الدول الثمانية الرئيسة المنتجة للذهب، ٦٠١١ طنا، و١٠٦٧ طنا عام ١٩٦٠.

وتستخرج غالبية الذهب من الترنسفال وتوجد العروق الحاوية للذهب هناك على أعماق قد تصل إلى ثلاثة كيلو مترات، حيث لا تهبط درجة الحرارة إلى أقل من ٣٥ – ٤٠م ويشقى المعدنون في الحصول على الذهب، ذلك المعدن الأصفر الذي يعود بالأرباح الضخمة على أصحاب المناجم. ولقد وجد الكثير من الذهب على مسافة قصيرة من سفير دلوفسك في الأورال حيث تقع بحيرة شارتاش.

وفي النهاية اكتشفت في خمسينيات القرن الماضي رواسب ذهبية على طول نهر أمور، واكتشفت رواسب أخرى عام ١٨٧١ في منطقة بريمون. فأصبحت روسيا من الدول الرئيسة المنتجة للذهب. فما إن حل عام ١٩٢٣ حتى بلغ إجمالي ما فيها من الذهب ٢٨٧٩ طنا.

وكان العمل غير محتمل في مناجم الذهب بروسيا القيصرية. ورغم أن عدد ساعات العمل اليومي للعمال كان حوالي اثنتي عشرة ساعة فإنهم كانوا غالبا ما يعملون في الصيف ست عشرة ساعة. وكانت الإضرابات شيئا مألوفا. وكان أضخم هذه الإضرابات ذلك الذي حدث في مناجم لينا الذهبية يوم ٤إبريل عام ١٩١٢ والذي أصبح يوما مشهودا في تاريخ الحركة الثورية في روسيا. وبعد ثورة أكتوبر ١٩١٧ مباشرة بادرت الحكومة السوفيتية ببذل كل الجهود لتغيير الأوضاع في صناعة تنجيم الذهب، فجاوز إنتاج الذهب ١٩٣٣ ما كان ينتج منه في روسيا القيصرية. ولا توجد في أي بلد يزاول استخراج الذهب مناجم كالتي في جنوب إفريقيا. والمنجم الحديث عبارة عن مؤسسة إنتاجية ضخمة ومعقدة وباهضة الثمن.. لقد كان تنجيم الذهب يوما ما مهنة بدائية، فأصبح الآن صناعة حديثة تستخدم فيها الأساليب الآلية المتقدمة.

كتل الذهب الفطري وخام الذهب

يوجد الذهب في أغلب الأحيان على هيئة حبيبات صغيرة أو تراب ذهبي، وفي بعض الأحيان يوجد على هيئة كتل قد تكون كبيرة في الحجم والوزن. ولقد وجدت أكبر كتلة في الاتحاد السوفييتي سابقا بالأورال الجنوبي، وهي تزن ٣٥ ك ج، محفوظة في أحد المتاحف. ووجدت أكبر كتلة في العالم في أستراليا. ومن الصعب رفعها بيد واحدة، إذ يبلغ وزنها ١١١,٦ ك ج.

والذهب الفطري لا يكون نقيا قط، فهو يحتوي على ٥ إلى ٣٠ ٪ من الفضة، وحتى ٢٠ ٪ من النحاس، مع بعض الشوائب الأخرى ويوجد في أغلب الأحيان في عروق رقيقة مبيتة في الكوارتز ويتحات صخر الأديم مع الزمن، فيتفكك الذهب من الكوارتز وتحمله المياه معها. ولما كان الذهب ثقيلا فإنه يترسب في الأنهار على هيئة رواسب ثم يستخلص بوساطة «التقصيع».

والقصعة وعاء دائري جوانبه مائلة. ويجب أن يكون خفيفا ومتينا في نفس الوقت ليتحمل التداول السيئ. ويقوم العامل بملء قصعته بالحصى الحاوي للذهب ويغطسها في الماء.

ثم يبلل الرمل جيدا ويقلبه تقليبا تاما بيده لتفتيت كتل الطمي، مع التقاط الأحجار الكبيرة نسبيا، ثم يهز القصعة وهي لا تزال تحت الماء لترتفع المادة الخفيفة إلى السطح ولتستقر الجسيمات الأثقل منها في القاع. ومن وقت لآخر يقوم العامل بإمالة القصعة ويزيل المادة السطحية، ويكرر الخطوات المرة تلو المرة حتى لا يتخلف سوى الذهب وقليل من الرمل الثقيل. ومع توافر المهارة اليدوية لا يكاد يفقد أي ذهب في عملية التقصيع.

وهناك طريقة أكثر تقدما وهي طريقة أحواض التصريف. وحوض التصريف مجرى مائل، وفيه يحمل الحصى الحاوي للذهب بوساطة تدفق مائي، وقد يغطى قاع حوض التصريف إما بمصفاة معدنية بها خروم، أو ببطاطين من القنب الخشن، وتمر الأحجار والرمال الخفيفة خلال الحوض إلى نهايته السفلى، في حين يستقر الذهب والمعادن الأخرى الثقيلة في قاع الحوض فإما أن تتساقط خلال الستار أو تترسب في ثنايا القنب. وإذا كان الذهب مصحوبا بنحاس فطري، فإنهما يظلان معا و كذلك لا يستطيع الماء أن يزيل الرمال السوداء أو الماجنتيت فتزال بوساطة مغناطيس.

ويعتمد تنجيم الذهب على نطاق واسع، غالبا، على استخدام الكراكات وتشمل كراكة تنجيم الرواسب على حفارة، ووحدة تصفية وغسل، تركب كلها على بدن الكراكة العائمة، ويمكن تشغيل الكراكات إلى أعماق قد تصل إلى ٢٥ مترا. وتجرف أفكاك الكراكة الفولاذية الحصى الحاوي للذهب، ثم يطحن الحصى ويغسل ويخلص مما به من ذهب.

والذهب المستخلص بأي من تلك الطرق يحتوي على كثير من الشوائب لذلك يجب تنقيته. وتكون آخر مرحلة في العادة هي التحليل الكهربائي وتبلغ نقاوة الذهب ٩٩٩,٩من الألف.

درجة النقاء

درجة النقاوة تحدد نقاوة المعادن النبيلة. ولقد كان المصريون القدماء هم أول من مارس عملية اختبار نقاوة المعادن القديمة من أربعين قرنا ومن الطبيعي أن تظهر عدة طرق وتختفي منذ ذلك الحين.

ويعبر عن درجة النقاء في الاتحاد السوفييتي سابقا وفي بعض الدول الأخرى بأجزاء من الألف ويستعمل الجواهريون السوفييت الذهب بدرجات نقاء، ٣٧٥، ٥٨٣،٥٠٠، ٧٥٠، ٩٥٨. وتقاس درجة النقاء في بريطانيا وسويسرا وبعض الدول الأخرى بالقراريط، أو أجزاء من ٢٤ جزءا. فالمعدن النبيل الذي له أعلى درجة من النقاء يقال أنه ٢٤ قيراطا وإذا احتوت الكتلة على ٢٢ جزءا من الذهب وجزأين من إضافات تسابكية يقال أن درجة نقاء هذا الذهب ٢٢ قيراطا. أو أنه ذهب ٢٢ قيراطا.

المراجـــــع:

١ ـ لسان العرب، ابن منظور.

٢ ـ الجماهر في معرفة الجواهر، البيروني.

٣ـ المعادن والإنسان، تأليف م.فاسيليفا، ترجمة: د.أنور محمود عبدالواحد.

٤ – الشيطان الأصفر الذهب والرأسمالية، انيكين، ترجمة دار التقدم ١٩٨٢.

كيف تتنفس العزة؟

نجلاء محفوظ - كاتبة صحافية - مصر

تعرف الأشياء بنقيضها، لذا نبدأ بالمذلة وما يتبعها من الشعور بالضآلة والصغر النفسي والعجز وقلة الحيلة «وحتمية» تقديم التنازلات -أيًا كان نوعها- للفوز بما نريد، أو للنجاة مما نخاف. ويخاصم من يختار المذلة «نفسه» فقد كرم الرحمن بني آدم، فكيف «يتنازل» عن التكريم الإلهي، ويختار الذلة لبشر مثله؟!

أحلى شراب بالكون

والعز أحلى شراب بالكون، وهو حلو المذاق عذب ولطيف يتوغل برفق بحياة «من» اختاره ليمنحه بشاشة بالوجه، وسماحة بالطبع وترفعًا «حقيقيًا» عن كل الصغائر، لوعيه ويقينه بأن العزة لله ولرسوله وللمؤمنين -كما يخبرنا القرآن الكريم- لذا يجعل همه الأوحد بالحياة أن ينال القرب من المؤمنين باتباع العزة منهجًا «وحيدًا» يستظل به في صحارى الحياة المتنوعة.

الفشل الذريع

ولكي نتنفس العزة يجب «تصديق» الحقيقة المؤكدة، وهي أن كل ما بالكون من صنع الخالق عز وجل «وحده»، ولا يستطيع بشر أو كل المخلوقات أن يغيروا مما قدره الخالق لنا، «واليقين» أنه إذا اجتمعت الدنيا على إصابتنا بمكروه لم يقدره الخالق عز وجل فسيحصدون الفشل الذريع، وإذا اجتمعوا بكامل قواهم لمنحنا مكسبًا لم يكتبه الخالق «فسيتنفسون» خيبة الأمل، فما أصابنا لم يكن ليخطئنا، وما أخطأنا لم يكن ليصيبنا.

شئنا أم أبينا

ومفاتح الرزق بين يدي الرحمن «وحده»، فلا يستطيع أي بشر مهما كانت قوته أو اعتماده على قوى خارجية أو داخلية أن ينتقص من أرزاقنا ولو بمقدار بسيط، ولذا نتنفس العزة بامتياز..

وصدق من قال: إنك إذا أردت كتابة شيك بمبلغ ضخم لإنسان فإن القلم لا يملك الموافقة أو الرفض، فأنت الذي تملك الكتابة أو تمزيق الشيك، فضلًا عن تحديد المبلغ.

وجميعًا -شئنا أم أبينا- مثل القلم، ولله المثل الأعلى، فالخالق سبحانه وتعالى يجعلنا وسيلة إمّا للخير أو للشر، وفقًا لاختياراتنا.

ولا نصدق من يدعي اضطراره للسرقة أو للكذب أو لظلم إنسان، فكلنا لدينا اختيارات في كل لحظة بحياتنا.

الخاسرون

وهناك من يتوهم أنه سيخسر دنيويًا، لاختياره الصدق أو الأمانة أو العدل، والمؤكد أن كل سائر عكس الفطرة التي خلقنا الله عليها هو الخاسر في الدنيا قبل الآخرة.

ونشبهه بمن يسير للوراء وليس للأمام، فسيسقط ولو بعد حين.وأتذكر مسؤولا صرخ في موظفيه: أسهل شيء لدي أن أقوم بتجميد إنسان.

وشاهدته بعد ذلك بعد أن جمده مسؤول أعلى منه.

وأكاد أسمع من يعترض: هناك من يتمتعون بالحياة ولديهم كل شيء ويستمتعون!

وأردُّ بتأمل لصور كثيرة نشرت لحكام ومسؤولين في أوج امتلاكهم للسلطة والمال والنفوذ، وكانوا مثقلين بالهموم.

خضوع وحياء

وهو ما يذكرنا بقول بعض الصالحين: «لو يعلم الملوك وأبناء الملوك ما نَحْنُ فيه من السعادة لجالدونا عليها بالسيوف».

فالسعادة الحقيقية بالحياة تأتي «ثمرة» للعزة والشموخ بلا اغترار، ودون أي شبهة بالإحساس بأن من ينعم بالعزة أفضل من غيره، بل عليه أن يكون أكثر خضوعًا وشكرًا وحياءً للخالق الذي منحه العزة.

مع طرد أي استعلاء على من يختارون الذلة، وتعلم شكر الخالق عز وجل على نعمة العزة، فبالشكر تدوم النعم وتتضاعف أيضًا.

كبير وغال

لتشعر بالعزة تعلّم أن تتعامل مع نفسك على أنك كبير مهما كان سنك، وغال مهما تناقصت مدخراتك، وأقسم برب العزة أنني رأيت فقراء يتعففون بصورة مذهلة، ومنهم رجل عجوز يبيع الليمون بالشارع، حاولت سيدة إعطاءه قدرًا من المال، فرفض بحزم، وقال: أنا أعمل، ولديّ ما يكفيني، والله اسمه الحق، ولا يجوز أن آخذ ما لا أستحق!!

ورأيت بعض الأغنياء يرخصون أنفسهم عند الشراء، وشاهدت الكثيرين يتصرفون بتدنٍّ «بالبوفيه» المفتوحة وما شابه.

ولن أنسى سيدة جميلة ترتدي مجوهرات باهظة الثمن كانت تنتفض غضبًا، وتقول: حمام السباحة لدى فلانة أكبر من «فيلتنا»!

اجعله خادمك

لكي تشعر بالعزة لابد أن ترتب أولوياتك جيدًا بالحياة، لتدرك أن المال خادم لك، وترفض باستماتة أن يكون سيدك، وتجعله وسيلة لحياة جيدة وليس غاية بحد ذاته، وتتذكر الحديث الشريف: «تَعِسَ عبد الدينار، تَعِسَ عبد الدرهم، تعِس عبد الخميلة، تعِس عبد الخميصة، إن أُعطي رضي وإن منع غضب، تعس وانتكس، وإذا شيك فلا انتقش».

وهذا تحذير من الرسول ﷺ من «الخضوع» للدنيا، وأن تكون غايتنا الوحيدة فنهدر عزة المؤمن للحصول على المال.

وتعس، أي: هلك.

وانتكس، أي: رجع على عقبيه، وختم له بخاتمة السوء.

وإذا شيك فلا انتقش، معناها: إذا أصابته مصيبة دنيوية مثل الشوكة مثلًا فلا انتقش، معناه: لا أزيلت عنه، ولا أخذت عنه بالمنقاش الذي يزال به الشوك.

المفتاح

أود أن نتذكر –جميعًا– أننا سنعيش مرة واحدة، ومن العار ألّا نتنفس احترام النفس بكل ثانية منها، ومن المؤكد أن «أوكسجين» احترام النفس يتلخص في العزة، ومفتاحها أن نعيش أحرارًا مع «كل» الرغبات، وأن نتقن الاستغناء عما لا يمكننا الحصول عليه حاليًا.. وهذه ليست دعوة للسلبية بالطبع، فما يمكن الحصول عليه بالمزيد من الجهد –دون إذلال– نرى التفريط فيه إساءة للنفس، وخصمًا من حقوقنا في الفوز بحياة أفضل بعد الاستعانة بالخالق سبحانه.

ونتفق مع قول شيخنا النبيل محمد الغزالي: الصبر على ما يمكن تغييره بلادة.

شروط

ويشترط عند الاستغناء طرد أي شعور بالحرمان، لأنه يورث المرارة، ويقود للسخط وكراهية اختيار العزة، فيعيش صاحبه بنفسية المهزوم أو يختار الانحراف ليشبع ما يراه حرمانًا.

ونفضل عند الاستغناء الشعور بقوة الاستغناء، والتأكيد على أن الغنى الحقيقي يكمن في ترك ما يتصرف البعض بتدن للحصول عليه، والعكس صحيح.

ولنتذكر ضرورة طرد أي شعور بالتضحية لترك ما يتناقض واختيار العزة، وما يستوجب المذلة للحصول عليه، وتذكر أن العزة في صالحك وإن كانت هناك خسائر مالية أو اجتماعية مؤقتة، فعلى المدى البعيد أنت الرابح.

ويختلف الغنى عن الشبع، فمن يكتسب المال الحرام لا يشبع أبدًا، ويكون مثل من يرتوي بماء البحر، دائم العطش ويخاف من فقدانه، ويرى دائمًا أنه يستحق الأكثر مقابل ما يقدمه من تنازلات أخلاقية، وعدم إحساسه بالأمان لخوفه من العقوبات مستقبلًا، أو لشعوره بفقدانه الاحترام ممن حوله.

اختبارات

وأكاد أسمع القائلين: ولكن هناك من يستطيعون قطع أرزاقنا، أو إيذاءنا

وأردُّ بثقة: الجميع يقع في اختبارات «حقيقية» حينئذ.

فصاحب السلطة أو النفوذ «يتوهم» أنه يستطيع المنح والمنع، ويتناسى أنه «مجرد» وسيلة، وأن الخالق إذا غضب على عبده استدرجه، ومنحه المزيد، وهو يواصل العصيان.

ومن يعمل معه يتعرض لاختبار آخر، فعندما «يتوهم» أن المسؤول هو صاحب المنع والإعطاء يحرم نفسه من العزة، ويلمح ذلك المسؤول فيبالغ بإذلاله وامتهانه.

ونصل للمقول الرائع: ربما أعطى فمنع، وربما منع فأعطى، والمحبة هي الموافقة.

وعلى من يصل لمنصب بمذلة أو برشوة وخيانة للأمانة ألّا يفرح، وكذلك من تعرض لظلم مّا في رزقه ألّا يحزن، مع أهمية توسيع أسباب الرزق الطيب الحلال، وترديد الدعاء: اللهم اكفني بحلالك عن حرامك، وأغنني بفضلك عمن سواك.

أخرجوهم.. إنهم أناس يتطهرون

حسن فاضلي أبوالفضل- باحث دراسات إسلامية

وردت لفظة «خرج» في القرآن الكريم في غير ما موضع وبصيغ وتصريفات مختلفة تقتضيها السياقات القرآنية الإيمانية والتاريخية التركيبية الأسلوبية وغيرها. ومن تلكم السياقات القرآنية ما ذكره الله عز وجل في قصة لوط عليه السلام مع قومه، مع ما تضمنته مما لا يُحصى من العقائد والأحكام والتوجيهات والدروس وغير ذلك. واللفظة كما عند الراغب -رحمه الله- تعني: برز من مقره أو حاله، سواء كان مقره دارًا أو بلدًا أو ثوبًا، وسواء كان حاله حالة في نفسه أو في أسبابه الخارجة(١).

وعموم المعنى عنده يدل على الانتقال من موضع إلى آخر، أو من وضع إلى آخر، غير أن هذا الانتقال أو الخروج قد يكون من رغبة الذات، وقد يكون ضدًا عن رغبة الذات، والثاني هو ما ذكره القرآن الكريم عن لوط عليه السلام مع قومه، وإن كانت قصته عظيمة في القرآن إلا أنا اخترنا منها ما ارتبط برفض العفة والصلاح، وتوقيف الدعوة إلى الله ومحاربتها، لاستمرار ذلك وغيره إلى يوم الناس هذا، مع ما حصل من تطور في الأشكال والأساليب التي يتم بها هذا الرفض والإبعاد. والأصل عندنا أن البدء من القرآن ثم إلى متعلقات القصة من أهل الرفض والإخراج، ثم إلى فكرهم وظنونهم.

١- قال الله عز وجل ﴿وَمَا كَانَ جَوَابَ قَوْمِهِ إِلاَّ أَن قَالُوا أَخْرِجُوهُم مِّن قَرْيَتِكُمْ إِنَّهُمْ أُنَاسٌ يَتَطَهَّرُونَ﴾ (الأعراف: ٨٢) والآية نقلت إلينا ما وصل إليه هؤلاء من دركات الشر والفساد والإسراف. فبعد أن أنكر عليهم لوط عليه السلام إتيانهم الرجال شهوة من دون النساء، كان جوابهم ما ذُكر في الآية، فقوله عز وجل ﴿وَمَا كَانَ جَوَابَ قَوْمِهِ﴾ دال على أنهم ما وقفوا على جواب آخر غير هذا، لنبعه من كراهة الصلاح والعفة وفساد الفطر، ولأن فطرتهم هاته قد قُلبت ظَهر الإيمان والصلاح في شكل فساد، والعكس بالعكس عندهم، ولو أنهم بحثوا عن جواب آخر غير هذا -أقل ظلمًا- لما وجدوا، لأن الفطرة المنتكسة تأبى إلا أن تصل بالإنسان إلى أخسِّ دركات الظلم والعدوان، والآية مُشعرة في سياقها باجتماعهم وتوحدهم واتفاقهم على جواب واحد، نابع عن تشابه فطرهم، وهكذا تُشن الحرب -عبر التاريخ- على أهل الإيمان والصلاح، وقوله تبارك وتعالى ﴿إِلَّا أَنْ قَالُوا أَخْرِجُوهُمْ مِنْ قَرْيَتِكُمْ﴾ مؤكد بأداة الاستثناء «إلا» ما ورد في بداية الآية من الحصر، والمعنى أنهم لما أجمعوا على نفس الجواب أجمعوا على نفس الوسيلة وهي الإخراج والنفي والطرد، والإخراج هذا منبئ عن حقيقة الرفض، ولذلك أبعدوهم عن قريتهم، لأن الفطر والقلوب المختلفة لا تجتمع في قرية واحدة، وهذه حقيقة نفسية أفصح عنها في إشارة دقيقة، نقلها القرآن في قولهم ﴿أَخْرِجُوهُمْ مِنْ قَرْيَتِكُمْ﴾ باتخاذهم وسائط بشرية تباشر فعل الإخراج وتعمله، وكأنه لتباعد الفطرتين دفعتهم فطرتهم السافلة لاتخاذ مسافة أكبر من الفطرة السليمة، وما قالوا «أخرُجوا من قريتنا» الدالة على الاقتراب ومباشرة فعل الإخراج، لكن الفطرة الفاسدة المريضة تكره الفطرة النقية السليمة وترفضها، بل وتتخذ وسائط بينها وبينها، وقولهم ﴿مِنْ قَرْيَتِكُمْ﴾ هكذا بعبارة التمليك والخصوصية، والمعنى أنهم ما أقدموا على إخراج لوط عليه السلام ومن معه إلا بعد اعتقادهم الملكية التامة للقرية، فإذن لا مكان لغيرهم إلا خارجها.

ثم جاء التعليل والسبب في الطرد والإخراج ﴿إِنَّهُمْ أُنَاسٌ يَتَطَهَّرُونَ﴾، بصيغة المخاطب الغائب، المشعرة دائمًا بعدم المقابلة والامتناع عن المحادثة المباشرة، وجاء لفظ الوصف في زمن المضارع لدلالته على زمن الحاضر مفتوحًا على زمن المستقبل «ووصفهم بالتطهر يمكن أن يكون على حقيقته، وأنهم أرادوا أن هؤلاء يتنزهون عن الوقوع في هذه الفاحشة، فلا يساكنوننا في قريتنا، ويحتمل أنهم قالوا ذلك عن طريق السخرية والاستهزاء»(٢)

وأن وصفهم بالتطهر كان استهزاء بإيمانهم وعفتهم وطهارتهم، وذلك على عادة الكفر والخبث أن يسخر ويستهزئ بالإيمان والطهارة منذ ظهرا -أي الكفر والخبث- إلى الآن متخذًا أشكالًا وصورًا وصنوفًا مختلفة، من أعلى العقيدة والتوحيد إلى أدنى شعب الإيمان، وما بينهما من أمور الدين والدولة، منها ما يلي:

٢- القصد من الآية المختارة ليس الوقوف على المعصية المبتدعة من قوم لوط عليه السلام وما تعلق بها من أحكام فقهية، فذلك مبسوط في موضعه. وإنما الوقوف على جواب قوم لوط عليه السلام -الفعلي والتصرفي- عن النصيحة التبليغية(٣)، والأمر والنهي الدعويين(٤). إذ الجواب -كما سبق- الطرد والإخراج مع غاية الشدة والقسوة.

وقد قلت إن له -أي لهذا الجواب- صنوفًا وتلاوين مختلفة، ملازمة دائمًا للإنسان ومنتوجاته الحضارية.

ومن تلك الصنوف صنف هذا البلد وما كان من بعض أجزائه من طرد وإخراج للطهارة والعفة متناهيين. تختلف في أساليبها وتتحد في هدفها، ألا وهو إخراج الدين بما هو عقيدة وشريعة وعبادة وأخلاق ونظام ودولة وسياسة ومنهج للتفكير والحياة والسعادة.

فمن داخل من بوابة المرأة، ومن داخل من بوابة الحرية، ومن داخل من بوابة الإعلام، ومن داخل من بوابة اللغة واللهجة والتواصل، ومن داخل من بوابة السفاهة والغباء، فأقسموا جميعًا بآلهتهم على أن يكون كل ذلك عندنا وفينا أو على الأقل البعض منه، مع تحين الفرصة -دائمًا- لإتمام كل ذلك، وبالمباشر أجمعوا على إخراج الإسلام(٥) -قرآنًا وسنة- من المغرب، وللأسف فإن الفكرة الهزيلة هاته غير نابعة من المجال التداولي الطبيعي الأصلي الترابي، بل هي لأسيادهم وأساتذتهم بل لسيداتهم وأستاذاتهم، وبئس الأستاذ والسيد هذا.

لأجل ذلك كانت محاولاتهم لاستبدال الذي هو أدنى بالذي هو خير، وأي خير أعظم من الإسلام -قرآنًا وسنة ومنهجًا للحياة-؟ وأي نعمة أكمل وأتم من الإسلام؟

قلت، فكانت محاولاتهم في البحث عن هوية أخرى للمغاربة، فما وجدوا أفضل من الكونية والعَلمانية وما يصاحبها من إغراءات في الأسامي والتعابير، وكأني بهم استوعبوا التمويه إلى حد رؤيتهم المغرب المسلم يتنازل عن عقيدته وهويته لفكرتهم الميتة هاته.

فمن قال إن هذا قد حصل أو سيحصل - كليًا- فهو كذاب أشر، ولن يحصل ذلك بإذن الله. فمحال قطعًا أن يُعدم وأن يُخرج من يتخذ كتاب الله عز وجل الواحد القهار الرحمن الرحيم كتابًا بحق، ويتخذ سنة النبي محمد سيد ولد آدم الرحمة المهداة ﷺ منهجًا للعلم والعمل والعبادة والحياة من طرف من لا كتاب له بحق، ولا منهج ولا حياة، أبدًا.

فالأمر غاية في الاستحالة، إذ من مبشرات ما في كتاب الله حقًا أن ﴿أُولَئِكَ هُمُ الْخَاسِرُونَ﴾ في كل شيء و في أي شيء، وبالتاريخ الإسلامي -أو بحرف منه فقط- نستدل على ذلك، فجميعًا نعرف يقينًا وقطعًا «أن الشعب المغربي شعب مسلم، وأنه مجتمع إسلامي، وأن نموذجه المختار، لخمسة عشر قرنًا متتالية هو نموذج المجتمع الإسلامي، حتى ولو أصيب هذا النموذج ببعض الآفات والنكسات لأسباب ذاتية أو خارجية.

أما وأن المغرب قد اختار نموذجًا مجتمعيًا آخر وهوية أخرى وانتماء آخر، فلا ندري من قرر ذلك ومتى وكيف؟ وما مضمون

هذا الاختيار؟ وما علاقته بالهوية الدينية والاختيارات التاريخية للشعب المغربي؟(٦) ودائمًا التاريخ سينطق بهذه الشهادة، وأن الدين الإسلامي مستمر وسيبقى دائمًا، لأنه دين الخالق عز وجل، وهو الذي ارتضاه لعباده وللناس كافة، فقال سبحانه ﴿يَاأَيُّهَا النَّاسُ اعْبُدُوا رَبَّكُمُ﴾، ففيه النجاح وفيه السعادة وفيه منهج، الحياة وفيه إعمال العقل، وفيه الخلق الرفيع وفيه النظر السليم وفيه جمال الروح والجسد... وفيه وفيه.

وفي أحسن أحوالهم -واضطرارًا- يخطون خطوة إلى الوراء ويقرون -على مضض- أن البلد مسلم، وأن ذلك راجع إلى حرية الناس في الاختيار، غير أن كل ذلك لا ينبغي أن يتدخل في مؤسسات الدولة، وأن يبقى المذهب حبيس المسجد لا يتجاوزه إلى حياة الناس وتصرفاتهم، وتأمل استغراب التاريخ من هذا الافتراض الميت، إذ لم يكن المذهب في تاريخ المغرب «مذهبًا منحصرًا في المساجد والمدارس الدينية، ولم يكن خاصًا بفتاوى العبادات وبعض المحرمات، بل كان مذهب السياسة والحكم، ومذهب المال والاقتصاد، ومذهب القضاء والقضاة، ومذهب المفتين والمربين... ومذهب المجاهدين والمرابطين، ومذهب التجار والصناع، ومذهب الشرطة والمحتسبين، ومذهب الفلاحين والكسابين، وباختصار لقد كان مذهب الدين والدنيا ومذهب الدولة والمجتمع، وتاريخُ هذا شأنه أشد مرارة على تلك الأجزاء الكائناتية، ولكن على عادتهم منذ ظهر العداء للإيمان وللطهارة، وهم في كد وشقاء لتبديل فطرة الناس كما بُدلت فطرتهم، وفي جهد مقيت لإطفاء نور الله تعالى، ويأبى الله إلا أن يتم نوره ولو كره المشركون والكافرون... وهؤلاء.

وانظر. فإن هذا اقتلاع للدين من أصله وتفريغ للإنسان من إيمانه وروحه قصدًا على المواطن العالمي -زعموا- الذي يعيش لا لشيء إلا ليعيش ثم لا فرق بينه وبين باقي الكائنات الكونية، والإنسان العاقل الحكيم لا يرضى الكائناتية بل الإنسانية، وهي لا تكون إلا إذا ارتبطت بالسماء اعتقادًا وعبادة وأخلاقًا ومنهجًا، وإلا فلا.

٣-هذا المواطن العالمي أو الكائن الكوني -زعموا- الذي لا يعرف حدودًا، لا يعرف حلالاً ولا حرامًا لا يعرف أمرًا ولا نهيًا، لا يعرف حياء ولا خلقًا، أي لا يعترف بشيء إلا بشيئه، هو المقصود إخراجه وتصنيعه(٧) وانتشاره، والفكرة هاته نابعة من ضعف أناهم ومرضها، بل وموتها، ومن اتباع وتقليد هُواهم(٨) اللامنتمي للعقيدة والحضارة والتاريخ -على عادة القاعدة المطردة في تقليد الضعيف للقوي- سعيًا متلهفًا لإدراكه واللحاق به، في لا عقيدة ولا أخلاق، بعد حب وإعجاب لا متناهيين. ومن هنا تولد عنوان التقييم، وهو التقييم البدني والميكانيكي للإنسان ومنجزاته، وهو الأمر الذي ينبئ في الحقيقة عن جهل بالإنسان كبير، وعن تشريح بدائي لمُشقياته ومُسعداته، وعن غش في إدراك عموم هذا الإنسان وكله، وإلا لو كان العكس لما رأينا الارتفاع المهول في نسبة الأمراض النفسية والعصبية والعقلية والجنسية... انتهاء على كل أشكال الجريمة والانتحار(٩).

قلت، السبب في كل هذا وغيره اعتماد التقييم ومن بعده التقويم البدني الميكانيكي، واعتماد الظن الأحادي -والجزئي- في الفهم والتعليل والتفسير، ومن بعده في التقويم والعلاج، وهذا النوع من التقييم غير مستحدث الآن ابتداءً بل ضارب في أعماق التاريخ الإنساني، وقصة لوط عليه السلام مع قومه -في بداية

الكلام- من هذا النوع، بحيث كان التقييم فقط للجانب البدني السفلي والسفلي فقط؟ ولذلك كان من الإخراج ما كان.

إن الفكرة عند هذه الأجزاء الإنسانية غريبة جدًا عن المجال التداولي، إذ هي موروَدة بدون أي رقابة علمية وأخلاقية وعقدية، من مجال مختلف جدًا، عرف صراعات بين العقل والدين الكنسي، انتصر فيه الأول بعد طول معارك، الأمر الذي أدى إلى إقصاء الثاني لأسباب طبيعية وعلمية ومنهجية. أما وأن يُعتمد منهج الإقصاء هاهنا -ومن بعده السعي في الإخراج- فليس ذلك من العلم والفهم في شيء، إذ المجال عندنا ما عرف شيئًا اسمه الصراع بين العلم والدين أو بين العقل والأخلاق، وإنما كل ذلك في دين الإسلام، ولأن الأجرة الميكانيكية البدنية حاصلة، نجد ضروبًا شتى من المحاصرة للدعوة إلى عودة الدين الإسلامي -بعد تأثر هذه الدعوة قليلًا أو جزئيًّا أو مرحليًّا أو تاريخيًّا أو جغرافيًّا بجهل هؤلاء وظلمهم وتغليطهم وتحريفهم- بما هي دعوى تنويرية تحريرية ربانية عامة سلوكية حية بلغت النهاية في وصل الإنسان بربه، ولأنها لا كسائر الدعوات، فلا غرابة أن تتولى الدعوات غير الربانية أو غير الإنسانية «أو غير الحياتية» مخاصمتها، ويعمل بعضها بشتى الوسائل على قطع أسباب التنوير والتحرير التي تحملها، فضلًا عن السعي إلى محو صبغتها العمومية والسلوكية.. والقانون مطرد على أنه ما من دعوة صالحة إلا ووجدت في طريقها دعوة فاسدة تدافعها، فما الظن إذا كانت هي أصلح الدعوات، شأن الدعوة إلى

ما من دعوة صالحة إلا ووجدت في طريقها دعوة فاسدة تدافعها.. فما الظن مع أصلح الدعوات

رجوع الإسلام.

والذي يقلب نظره في مظاهر هذه المخاصمة المتزايدة لهذه الدعوة الأصلح من حوله وفي أفقه، فلابد من أن يتبين أن أشدها إساءة لها في هذا الطور من أطوارها إنما هو «المحاصرة»، فالدعوة إلى رجوع الدين الإسلامي في أخلاقه المسددة والمؤيدة هي اليوم من دون غيرها دعوة محاصَرة بما لا يحاصر به غيرها (١٠)، ولاشك قطعًا في هذه المحاصرة لفظًا وكتابة ورمزًا وإشارة وصورة، رجالًا ونساء، إلى حد أن ذكر جزء من هذه الأجزاء الإنسانية(١١) -بكل صفاقة وحرية- أن «المدرسة المغربية تُخَرج المؤمنين بدل المواطنين»، ولأن الفطرة سُلبت فهو يتمنى أن تُخرج المدرسة المغربية مواطنين عالميين لا حدود لهم ولا اعتقاد ولا دين ولا أخلاق ولا حياء، وبالتالي لا طهارة ولا رفعة ولا عزة، وإنما الإلحاد والكفر والنجاسة والذل والقبح والإجرام والاكتئاب والانتحار... ومن هنا نكون أمام مصنع ميكانيكي لتخريج أجزاء إنسانية تعيش للقطع السفلية وللدماغ المجوف، ولذلك كانت عبارة هذا الجزء الإنساني المتكلم «ظلمًا لا غبار عليه، وبما أن الظلم يكون على قدر الشيء الذي نزل به، بحيث إذا زادت رتبته زاد وإذا نقصت نقص، فإن ظلم هذه الدعوة الإحيائية يكون قد بلغ النهاية في الظلم مادام أنه لا شيء يعلو على الدعوة إلى التمسك بدين الله، عز وجل، لفظا ومعنى ودلالة وإحالة»(١٢)، وكأني بالآية القرآنية ﴿لَنُخْرِجَنَّكَ يَا شُعَيْبُ وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَكَ مِن قَرْيَتِنَا...﴾ (الأعراف: ٨٨)، تعنينا الآن وبالتحديد، ومن هنا تأكدت القاعدة المطردة أن العداء والإخراج والمحاصرة للعقيدة والإيمان والخُلق حاصل، والقاعدة كذلك مطردة أن العزة والنصرة والحسنى لأهل العقيدة والإيمان والطهارة، وأن الذل والخيبة والصغار لأعدائهم.

الهوامش

١- معجم مفردات ألفاظ القرآن، مادة «خ ر ج».

٢- فتح القدير، الشوكاني -رحمه الله- ج ٢، ص، ٣١٥.

٣- ليس نسبة إلى الجماعة/الفرقة المعروفة، وإنما إلى البلاغ أي التبليغ بما أن لوط عليه السلام مبلغ عن ربه تبارك وتعالى.

٤- نسبة إلى الدعوة إلى الله تعالى وما تقتضيه من آداب وأساليب.

٥- بما هو شرع الله تعالى جمع -أي جامع- مصالح الإنسان الدينية والدنيوية.

٦- مراجعات ومدافعات، أحمد الريسوني، ص، ٧٧.

٧- عبرت بالتصنيع ههنا، لأنه أبلغ في الدلالة وألصق بالمعني به. إذ الكائنات الميكانيكية مُصنعة ومُتحكم فيها من مُصَنعها.

٨- جمع للمخاطب المفرد الغائب.

٩- كل ذلك وغيره كثير في تقارير المنظمة العالمية للصحة.

١٠-سؤال الأخلاق، طه عبدالرحمن، ص، ١٧٧.

١١-من الطهارة والنظافة والأناقة عدم ذكر اسمه.

١٢-سؤال الأخلاق، طه عبدالرحمن، ص، ١٧٧.

منهج المربي الأعظم

نبيل النشمي - كاتب يمني

ما أصدق قول حسان رضي الله عنه في أكمل الخلق محمد ﷺ:

وأحسنُ منكَ لم ترَ قطُ عيني
وَأجْمَلُ منْكَ لَمْ تَلِدِ النّسَاءُ
خلقتَ مبرأً منْ كلّ عيب
كأنكَ قدْ خُلقتَ كما تشاءُ

فقد حاز الكمال البشري بلا منازع، واستوى على سوقه بلا مسابق، وارتقى منارته بلا مناوئ، وعلا شأوه بلا مشارك، فهنيئًا للدنيا أن ولد فيها محمد، وهنيئًا للبشرية أن كان منها محمد، وهنيئًا للعالمين أن بعث فيهم محمد ﷺ.

بعثه الله سبحانه وتعالى رحمة للعالمين وبدأ مهمته من أول لحظة شرفه الله تعالى بها لما كلفه بقوله سبحانه وتعالى: ﴿يَأَيُّهَا الْمُدَّثِّرُ. قُمْ فَأَنذِرْ. وَرَبَّكَ فَكَبِّرْ. وَثِيَابَكَ فَطَهِّرْ. وَالرُّجْزَ فَاهْجُرْ. وَلَا تَمْنُن تَسْتَكْثِرُ. وَلِرَبِّكَ

فَاصْبِرْ﴾ (المدثر: ١-٧)، فقام ولم يقعد، وكبر الله حق تكبيره، وطهر ظاهره وباطنه، وهجر كل رجز حسي ومعنوي، ولم يمن يومًا بما قام به، ولم يستكثر جهده لحظة، وصبر في سبيل ربه صبرًا لم يبلغه أحد، فصلوات ربي وسلامه عليه وعلى آله وصحبه، وكان من أعظم ما قام به وبذل فيه وسعه وطاقته، هو تربيته لأصحابه وإخراجهم مما هم فيه ونقلهم إلى حياة جديدة، يمكننا أن نقول عنها، إنه أخرجهم من الموت إلى الحياة، فقام بتلك المهمة أكمل قيام حتى كان من أظهر معجزاته وأدقها ومن دلائل نبوته: ظهور ذلك الجيل الفريد في نوعه وفي عصره، والذي لم تأت الدنيا بمثله، الجيل الذي غير صورة الدنيا وشكل الحياة، لأنه تربى على يد المربي الأعظم ﷺ.

رباهم بالموقف وبالكلمة وبالترغيب وبالترهيب وبالعطاء وبالمنع وكان قدوتهم وسابقهم إلى كل خير، وأحرص عليهم من أنفسهم، فاعتنى بتربيتهم أيما عناية شكلًا ومضمونًا، ظاهرًا وباطنًا، في السراء وفي الضراء، وأعدهم لخلافة الأرض بعد أن كانوا أبعد أهل الأرض عن حضارة، وأضلهم عن دين سماوي.

رباهم على التضحية حتى هانت في سبيل الحق والدين عليهم أنفَس أموالهم بل وأنفسهم، وعلى الصبر حتى تعجب الصبر من صبرهم؛ صبرهم على مكابدة الطاعات وعلى ترك الشهوات وعلى تحمل الصعاب لأجل دينهم وفي سبيل ربهم سبحانه وتعالى، رباهم على العقيدة وغرس فيهم الإيمان حتى أصبح زوال الجبال الرواسي من مكانها أسهل من زحزحة الإيمان عن قلوبهم، وعظم في نفوسهم العبادة والطاعة لله سبحانه وتعالى فما تركوا بابًا من أبوابها إلا ونالوا منه حظًا وافرًا، وهذب أخلاقهم وعزز فيهم الأخلاق الكريمة حتى بلغوا غايتها فمسحوا من التأريخ صفحات من سبقهم في الأخلاق وأعجزوا من بعدهم.

ولما كان التوازن منهج التربية الواضح الذي تربى عليه الصحابة رضوان الله عليهم في مدرسة النبوة، فلم يغلب فيهم جانب واحد ولم يغب عنهم جانب من الجوانب، فكانوا فرسانًا وعبادًا، ودعاة وآباء وأزواجًا، وتجارًا وأصحاب مهن وحملة رسالة.

سلك المربي الأعظم ﷺ في تربيته لأصحابه سبيل الرفق بهم، فما خير بين أمرين إلا اختار أيسرهما ما لم يكن إثمًا، بل كان رفقه بهم أكثر من رفقهم بأنفسهم، ونصح لهم قولًا وفعلًا، وبادَرهم بالخير والمعروف وسبقهم إليه، وشاركهم وشاورهم واختلط بهم فتنعموا بتربيته وتقلبوا في رعايته لهم، فطاب المقام وطابت الثمار وأينعت وظهر للكون منهم ما لم يكن في الحسبان.

اعتنى بتربية الشباب كأنه لم يبعث إلا لهم، واهتم بالنساء كأب رءوف أو أخ حميم، وأسعد الأطفال برعايته لهم والاهتمام بشأنهم، تساووا في مدرسته فلم يمنعه من التربية غنى الغني ولا فقر الفقير، ولم يُحرم أحدٌ من معينها أو يُخرج عنها قريب لقرابته أو بعيد لبعده.

وأعظم ما رباهم عليه وجعله جزءًا من تكوينهم بل خلطه بدمهم ولحمهم هو: صلتهم بربهم سبحانه وتعالى وإيمانهم به: حبًا وتوكلًا ورغبة ورهبة وتعظيمًا ودعاء واستعانة ورجاء وخوفًا، وكان القرآن هو الوسيلة العظمى لذلك، فلا غرابة أن يكون القرآن شغلهم الشاغل وهمهم الأكبر قراءةً وتدبرًا وعناية وصلاة وذكرًا وعملًا وصلة بالله سبحانه وتعالى، فهو حبل الله المتين الذي فهموا منه سعادتهم وعزهم ومجدهم وطيب عيشهم في الدنيا والآخرة، وعلى مائدته تربوا ومن معينه استقوا وعلى قواعده أقاموا عزًا وصنعوا تأريخًا وفتحوا قلوبًا وبلدانًا.

وإنها لعبرة وموعظة، بل منهج لكل مربٍ أن يجعل القرآن أصلًا وقائدًا ودستورًا في تربيته لمن حوله وقبلها لنفسه، إن أراد أن يقطف من تربيته ثمرة يانعة وأن يخرج جيلًا قوي الصلة بربه متمسكًا بدينه مؤديًا لواجباته ثابتًا على مبدئه، كبيرًا في تصوراته واهتماماته، صادقًا في انتمائه باذلًا في عمله مخلصًا في جهوده.

لقد قام النبي الأعظم ﷺ بتربية الأمة من أول يوم كُلف فيه إلى آخر نفس في حياته متمثلًا قول المولى عز وجل: ﴿لَقَدْ مَنَّ اللَّهُ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ إِذْ بَعَثَ فِيهِمْ رَسُولًا مِّنْ أَنفُسِهِمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَإِن كَانُوا مِن قَبْلُ لَفِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ﴾(آل عمران: ١٦٤).

رائد المفهرسين العرب

عصام الشنطي ..رحلات عطاء ممتدة

هذه سطور أعددتها من أعماق الذاكرة وحاضرها، تكريمًا لأخ فاضل وصديق عزيز وهو الأستاذ العالم الخلوق: (عصام محمد الشنطي)، فقد اقترنت معرفتي به بترددي على معهد المخطوطات العربية بالقاهرة، عندما كان في الطابق الخامس، من المقر الرئيسي لجامعة الدول العربية، بميدان التحرير بالقاهرة، وذلك منذ ما يزيد على أربعين سنة قبل الآن، وكانت بداية التعرف خلال سنة ١٩٧٠م، عندما كنت معيدًا بقسم الحديث بكلية أصول الدين بالقاهرة، وكان معهد المخطوطات في ذلك الوقت في أزهى أيامه، فله جهاز إداري متكامل، وبه نخبة من العلماء والباحثين الضالعين في عالم المخطوطات وخزائنها في العالم، وأوّل من تعرفت عليه منهم، الأخ الأستاذ الدكتور محمود الطناحي رحمه الله، وعن طريقه كان التعرف على الأستاذ: عصام الشنطي (صاحب هذا التكريم)، والأستاذ الدكتور: عبدالفتاح الحلو، والدكتور: محمد مرسي الخولي، والأستاذ: رشاد عبدالمطلب (رحمهم الله)، وقد كان الجميع مقصداً لنا نحن الباحثين في الإرشاد والتوجيه إلى التعرف على ما لا نعلمه من المخطوطات، وأمثل الطرق للوصول إليها والإفادة منها، وغير ذلك.

كما كان للمعهد جهاز فني للتصوير، ولتمكين الباحث من الإطلاع على صورة المخطوط «الميكروفيلمية» بواسطة أجهزة القراءة التي كانت نادرة حينذاك، ورغم اختلاف مهام تلك الأجهزة الثلاثة بالمعهد، وهي الإدارة، والبحث والتوجيه للباحثين، والتصوير لمن أراد، والتمكين من الإطلاع، إلّا أن الذي كنت ألحظه، وهو اتساق العمل بين ثلاثتهم بروح الفريق، حتى إني كنت أجد الأستاذ عصام الشنطي عدة مرات، إذا تأخر المسئول عن إحضار صور المخطوطات وتركيبها على جهاز القراءة، لا يستنكف – وهو من فريق العلماء– أن يقوم بنفسه بإحضار أفلام المخطوطات التي يطلبها الباحثون، ويقوم أيضاً بتركيبها على جهاز القراءة، ثمّ يشرح للباحث كيفية استعمال القارئ، وبهذا نشعر نحن الباحثين أننا بين إخواننا وأساتذتنا ونجد منهم كل العناية والتعاون والإرشاد، ومن بينهم الأستاذ: عصام.

ومما رأيته وعرفته معرفة مباشرة من معالم جهود الأستاذ عصام، أنه كان يشارك في أكثر بعثات المعهد التي تسافر إلى أماكن خزائن المخطوطات العربية، داخل مصر وخارجها، من اليمن والسعودية والعراق وسوريا وفلسطين والأردن ولبنان والمغرب وتركيا، وألمانيا وبريطانيا وإيطاليا وإسبانيا والفاتيكان وسراييفو وغيرها.

وفي سفره في تلك البعثات كان يقوم بدور فعّال يشهد به كل من صاحبه في تلك الرحلات، وحسبما سمعت منه أنه كان يتمكن بحسن المعاملة من التغلب على الصعوبات التي تتعرض لها البعثات، مستعينا بعلاقاته العلمية والشخصية الحكيمة، أكثر من أي وسيلة أخرى، سواء مع رجالات العلم المعروفين، أوالمسؤولين الثقافيين والتنفيذيين بالبلد التي بها خزائن المخطوطات نفسها، ناهيك عن أصحاب المكتبات الخاصة من كبار العلماء والوجهاء، ولو أنك جلست إليه مثلما سعدت أنا ببعض الجلسات معه، داخل مصر وخارجها، لسمعت منه طرائف نادرة، ومواقف متنوعة، وكيفية تغلبه عليها في تلك البعثات والرحلات في سبيل الوقوف على عيون التراث العربي المخطوط، وتصوير ما يمكن تصويره من كل خزانة زارها.

أ.د/ أحمد معبد عبدالكريم
أستاذ الحديث بجامعة الأزهر

وعندما أبرمت مصر إتفاقية «كامب ديفيد» المعروفة مع إسرائيل سنة ١٩٧٨م، قررت الجامعة العربية نقل معهد المخطوطات من مصر إلى تونس، فكان الأستاذ عصام ضمن من رافق المعهد في هذه النقلة، وواصل عطاءه المعهود خلال سنوات وجود المعهد في تونس، وقدرها نحو ثلاث سنوات، ثمّ رأت الجامعة العربية أن تنقل المعهد مرة أخرى إلى دولة الكويت، فاستمرت مرافقة الأستاذ عصام للمعهد في سنوات وجوده في الكويت، والتي كانت من أزهى العطاء العملي للمعهد كما يعرف ذلك مثلي من كل من تعامل مع خدمات المعهد العملية في تلك الفترة، والتي استمرت عشر سنين، وفي هذه الفترة أيضًا أصبح الأستاذ عصام الركن الوحيد الباقي على قيد الحياة من عمالقة المعهد القدامى، فتولّى منصب وكيل المعهد فترة، ثمّ مديره فترة أخرى في تلك المرحلة، كما أنه في مرحلة وجود المعهد بالكويت تولّى مسؤولية علمية ضخمة لم يكن يصلح لها غيره، وقد لا يعرفها كثير من المتعاملين مع

عصام الشنطي

المعهد، وتلك المسؤولية هي القيام برحلات علمية إلى كثير من البلاد التي سبق أن صور من مخطوطاتها أو صورت هي من مخطوطات المعهد، وكان ذلك بهدف إعادة تكوين نسخة أخرى بديلة عن رصيد مخطوطات المعهد التي تركها في القاهرة عند انتقاله إلى تونس، وقد أبلى الأستاذ عصام في تحقيق هذه الخطوة الصعبة بلاءً حسنًا كما رأيته بنفسي، فقد ذهب إلى اليمن وأعاد تصوير ما أمكنه، ممّا سبق تصويره من قبل، أو ممّا لم يسبق تصويره، كما ذهب إلى السعودية وكنت حين ذاك أعمل بكلية أصول الدين بالرياض، فالتقينا وزارني مشكورًا في بيتي، وحدثني عن رحلاته مع المعهد من القاهرة إلى تونس ثمّ الكويت، وجهوده خلال هذه الرحلات، التي تدل على عطاء متواصل لرجل يعمل بخبرة سنين طويلة في صمت وتواضع ودأب لا يتسع المجال لتفاصيله، ويكفي أنه عندما حضر إلى السعودية في هذه الفترة كان أكثر المسؤولين عن أقسام المخطوطات بجامعات المملكة، ومكتباتها العامة، ومؤسسة الملك فيصل الخيرية، هم من معارفه، أو طلابه في دورات معهد المخطوطات التدريبية، التي كان يعقدها للتعريف بالمخطوطات وفهرستها والعناية بها وتحقيقها، وبواسطة هؤلاء المعارف والتلاميذ، نجح الأستاذ عصام في مهمته أيّما نجاح، سواء في تصوير ما أراد تصويره من المخطوطات التي كانت تلك الجهات صورتها من المعهد، أو من غيره.

وأقولها عن مشاهدة عيان: إنه ما كان أحد في هذا الوقت غير الأستاذ عصام يمكنه تحقيق هذه المهمة على الوجه المطلوب.

وقد ظل الأستاذ عصام في مواقعه المتنوعة والفاعلة بالمعهد طيلة وجوده في الكويت، حتى كان غزو صدام المشئوم للكويت سنة ١٩٩٠م، فانتقل المعهد مرة أخرى إلى مقره الأوّل بمصر في مقره الحالي بحيّ المهندسين خلف نادي الصيد، بعيدًا عن مقره القديم في مبنى الجامعة العربية في ميدان التحرير، وانتقل معه الأستاذ عصام الشنطي أيضًا، ليواصل عطاءه المعهود مع مضاعفته، نظرًا لما نيط بالمعهد في هذه المرحلة من مناشط ومهمات تراثية.

فمع تضعضع الإمكانات عما كان عليه المعهد في سالف الأيام، إلّا أنه تصدى لمهمات جسام جليلة، تذكر فتحمد غاية الحمد، وتشكر كل الشكر، للقائمين على المعهد حاليًا، وفي مقدمتهم الأستاذ الدكتور: أحمد يوسف، والأستاذ الدكتور: فيصل الحفيان، وكل القائمين معهما على أنشطة المعهد ومهامه الجسام.

فبجانب الرسالة الكبرى للمعهد في توفير المخطوطات المصورة، وتلبية احتياجات آلاف الباحثين منها بالإطلاع والتصوير، وفهرسة ما لم يفهرس من مصوراته، وإخراج مجلّة المعهد ونشرة التراث الدورية وغيرها من مطبوعات عديدة، وعقد المؤتمرات والدورات التدريبية للباحثين من مختلف الأمصار العربية حول المخطوطات وتحقيقها وعلومها الأخرى، بجانب ذلك كله أقدم القائمون على أمر المعهد – مشكورين – على خطوة رائدة، لم يسبق أن قام بها المعهد من قبل، وهي إنشاء قسم للدراسات العليا في علوم المخطوطات، يمنح الباحثين من مصر وغيرها، درجتي الماجستير والدكتوراه في علم المخطوطات، ويمنح كذلك دبلومين في ذات التخصص.

وهنا يبدأ عطاء جديد للأستاذ عصام بمشاركات متعددة الجوانب، فأصبح من كبار أساتذة المعهد، خبرة وتدريسًا وإشرافًا علميًا ومناقشة، وذلك بجانب مهماته الأخرى في المعهد باعتباره خبيرًا مختصًا في علوم المخطوطات وفهرستها، وحضور المؤتمرات والندوات وغيرها حتى الشهور الأخيرة من حياته، حيث تعرض لوعكة صحية جعلته يلازم بيته عدة أشهر، ثمّ وافته المنيه في منزل ابنته بمدينة الإسماعيلية، في يوم السبت ١٧ من المحرم سنة ١٤٣٤هـ الموافق ٢٠١٢/١٢/١م، وقد تخرّج من جامعة عين شمس، وكانت زوجته مصرية، وتوفيت قبله بسنين، فلم يتزوج غيرها، وكان دائم الثناء والتراحم عليها، ودفن في مقابر أسرتها بمدينة ٦ أكتوبر من ضواحي القاهرة.

أما ما كان يتمتع به الأخ الأستاذ عصام من دماثة الخلق، وطيب التعامل مع الجميع، من داخل وخارج مصر، فهذا جانب من شخصيته يفوق الوصف حقًا، ويشهد به الجميع.

مرض الكبار والشباب والأطفال!

الشيخوخة المبكرة.. أسبابها وأعراضها وطرق الوقاية منها!

القاهرة : دار الإعلام العربية

مرحلة الشيخوخة ليست حالة مرضية عابرة يمكن الشفاء منها، بل هي مرحلة عمرية لابد أن تصل إليها معظم الكائنات الحية، لذلك يجب ألا ينظر إليها كمرض، لكن كمرحلة طبيعية تعكس التغير التدريجي في الشكل والوظيفة والقدرة على تحمل الضغوط.. مرحلة ذات خصائص متعددة، وكذلك أمراض عديدة.. فما أعراضها، وما السن التي يبدأ فيها ظهور هذه الأعراض؟! وما علاقة كل ذلك بالشيخوخة المبكرة؟! وكيف يمكن تجنبها؟.. أسئلة عديدة تدور في أذهاننا، رصدت «الوعي الإسلامي» إجاباتها في السطور التالية:

«أهم أعراض الشيخوخة في الجسم حدوث انحناء وتقوس في الظهر، وقصر في القامة، فضلًا على ضعف العظام وهشاشتها، وحدوث انخفاض في المحتوى العضلي للجسم».. بهذه الكلمات بدأ د.محمد حسن الزهار، أستاذ جراحة العظام والكسور، حديثه مستطردًا: ومن أعراض الشيخوخة أيضًا ظهور التجاعيد في الوجه حول الفم والأنف والعين، وخشونة في أجزاء أخرى من الجسم كظهر الأيدي والأرجل، وكذا ضعف النظر وظهور مرض المياه البيضاء على العين.

وتابع «الزهار»: لكن الشيخوخة غير متعلقة فقط بكبر السن كما يظن كثيرون، بل على العكس قد تحدث في سن صغيرة؛ أي للأطفال أو الشباب نتيجة حدوث تغييرات هرمونية فالمرأة على سبيل المثال قد تفقد المبايض أو تقوم بإجراء جراحة لاستئصال الرحم والمبايض، ما يؤثر في قوتها بشكل عام وتصبح في مرحلة تسمى بسن اليأس، كذلك الرجال قد يتعرّضون لاستئصال الخصيتين نتيجة أورام سرطانية، ما يؤدي إلى فقدان الخصوبة لديهم.. وكل هذه الأعراض يصاب بها كبار السن حين ينقطع الطمث عند معظم السيدات، ويعاني الرجال من ضعف في الخصوبة، لكنها هنا لأسباب طبيعية.

وسائل ومظاهر

وتتفق معه في الرأي د.وفاء علم الدين، استشارية الأمراض الجلدية، التي أوضحت أن هناك ما يسمى

بالشيخوخة المبكرة التي قد تحدث للبشرة في فترة الشباب، وهي عبارة عن ضمور في الوجنتين وتجاعيد تظهر في الجبهة وحول العينين.

وحدّدت أهم الأسباب التي تؤدي إلى الشيخوخة المبكرة للجلد والبشرة في حركات الوجه؛ أي كثرة استخدام الشخص للتعبيرات مثل الابتسام الشديد أو العبوس الشديد، ونتيجة التعرّض لأشعة الشمس لفترات طويلة، كذلك نقص شرب المياه يؤثر بشدة في الوجنتين ويؤدي إلى نقص كمية الكولاجين، أيضًا ضعف معدلات فيتامين C نتيجة قلة تناول الخضراوات والفواكه بكمية كبيرة، فضلًا على التدخين.

وحدّدت د.وفاء طرق مقاومة ظهور الشيخوخة المبكرة للبشرة في عدد من الأمور التي يجب أن يحرص كل من يهتم ببشرته على القيام بها، مثل تناول المياه بكميات كبيرة، وتجنب التعرّض المباشر لأشعة الشمس، مع ضرورة التأكد من وضع واقي الشمس قبل التعرّض لها، والحرص على تناول الطعام الصحي الطازج كالخضراوات والفاكهة، مع الابتعاد عن الوجبات السريعة قدر الإمكان.

وأوضحت أنه في حال ظهور أعراض الشيخوخة على البشرة فإن هناك عدة طرق تساعد على الحد منها أو معالجتها مثل «حقن البوتكس» وهي خاصة بمعالجة التجاعيد حول الجبهة والعينين، و«الميزوثيرابي» الذي يحتوي على عدد من الفيتامينات المفيدة للبشرة كفيتامينات C وA و E، وهناك أيضًا «الفليرز» وهو عبارة عن مواد تستخدم لملء الفراغات بين خلايا البشرة، وهناك أيضًا الليزر، وعمليات التقشير بأحماض الفواكه التي تساعد على نضارة البشرة.

شيخوخة الأطفال

بينما يحدثنا د.عماد حماد الدالي، استشاري مخ وأعصاب، عن

تناول المياه بكميات كبيرة والابتعاد عن أشعة الشمس .. أهم سبل الوقاية

الشيخوخة لدى الأطفال بقوله: هناك نوعان من الشيخوخة تظهر لدى الأطفال، يتمثل الأول في مرض «البروجيريا»، وهو مرض لا تتوافر حوله كثير من المعلومات؛ فقديمًا لم يكن له أسباب واضحة، أما الآن مع التقدم العلمي فأكد الأطباء وجود جين مسبب له، وهو جين «بروجين» الذي يترسب في الخلايا بشكل كبير، ما يؤدى إلى إجهاد هذه الخلايا فلا تستطيع القيام بوظائفها، وقد يحدث هذا المرض نتيجة طفرة وراثية أو طفرة جينية.

وأوضح «الدالي» أن الأطفال المصابين بهذا المرض يتشابهون مع المسنين، فتكون بشرتهم رقيقة وشفافة يظهر من خلالها الأوردة والأوعية الدموية، كما يوجد عليها بعض التجاعيد، ونموهم محدود من حيث الطول والوزن، ويعانون من عدم وجود شعر على رأسهم، فضلًا عن تساقط شعر الحاجبين والرموش، والأنف يكون مقروصًا ومرتفعًا قليلًا كمنقار الطير، وبعضهم لديه تشوهات في القلب، ويلاحظ أيضًا وجود زرقة حول أنوفهم عند الولادة، لكنها ليست قاعدة عامة.

وأضاف «الدالي» أنه لا يوجد حتى الآن علاج رسمي لمثل هذا المرض، لكن هناك بعض الأدوية المساعدة التي يتم إعطاؤها لهم «كمضادات الأكسدة»، التي تساعدهم على أن يعيشوا حياة أفضل لفترة أطول، لكنها ليست علاجًا نهائيًا، وهناك الآن بعض الأدوية الجديدة يتم تجريبها.

وأشار إلى النوع الثاني على أنه مرض «المظهر الشيخوخي»، موضحًا أنه مرض مؤقت يظهر لدى الأطفال المصابين بأمراض سوء تغذية، حيث يظهر على وجه هؤلاء الأطفال كثير من التجاعيد وكذلك أجسامهم تكون نحيفة للغاية يبرز من خلالها العظام والعضلات، والتي تظهر نتيجة فقدان الدهون الموجودة تحت الجلد، ما يجعلهم أقرب في الشكل إلى المسنين، وهذا المرض يتم علاجه بعلاج سوء التغذية، من خلال إمداد الطفل بالأغذية الصحية المفيدة والفيتامينات والكربوهيدرات، أيضًا عن طريق نقل الدم إذا لزم الأمر، وبعد العلاج يعود الطفل إلى حالته الطبيعية.

استعداد مبكر

وتحتاج مرحلة الشيخوخة إلى غذاء صحي متوازن يساعد على إمداد الجسم بما يحتاج وهذا ما تحدثنا عنه د.عفاف عزت أستاذ التغذية والكيمياء الحيوية بالمركز القومي للبحوث، موضحة أن فترة الشيخوخة فترة مهمة جدًا يجب التجهيز والإعداد لها مبكرًا؛ أي منذ الطفولة؛ فيجب تناول الغذاء الصحي من أجل حياة آمنة وشيخوخة خالية من الأمراض؛ لذلك على كل أسرة أن تهتم بتناول الغذاء النظيف الذي يحتوي على عناصر متنوعة ومتكاملة من الخضراوات والفواكه المتضمنة للفيتامينات والمعادن التي يحتاجها الجسم.

أما بالنسبة إلى الغذاء المناسب للأشخاص في مرحلة الشيخوخة فيلزم أن يكون متوازنًا؛ أي تحتوي الوجبة الواحدة على جزء من البروتين وجزء من النشويات وجزء من الفيتامينات.

وأوضحت بشكل أكثر تفصيلًا العناصر الغذائية التي يحتاجها الجسم بداية من الفيتامينات بقولها: لابد من أن يتم إمداد الجسم بمصادر لفيتامين E الموجود بكثرة في «المكسرات» كالجوز والبندق وعين الجمل، فهو يُعد

واحدًا من مضادات الأكسدة القوية جدًا والمهمة للأشخاص في سن الشيخوخة، وتمنع تلف وتأكسد الخلايا الموجودة بالجسم»، لذلك من المهم أن يتناول الأشخاص كبار السن يوميًا حبة واحدة من المكسرات، تساعد على عدم تلف أنسجة المخ أو تكوين «الأميلويد بيتا» وهو أيضًا ما يقي من الإصابة بالزهايمر.. ومن المهم أيضًا تناول الأطعمة الغنية بفيتامين C مثل بعض الفواكه كالبرتقال واليوسفي والليمون والمانجو والجوافة. وكذلك الأطعمة التي تحتوي على البروتينات، وهذا لا يعني كثرة تناول اللحوم والدواجن؛ لأن «الكبد» يكون في مراحل متقدمة، وهذه الأطعمة تؤدي إلى إرهاق «الكبد»، لذلك يجب اختيار الأطعمة الخفيفة البروتين كاللبن والزبادي والجبن بمنتجاتها المختلفة، كذلك اللبن الرائب الذي يعد أحد البروتينات ذات الأهمية البالغة وخاصة أنه يساعد على ترطيب القناة الهضمية، ويجب أيضًا الحد من تناول الأطعمة التي تحتوي على الدهون والأطعمة الدسمة أو المحمرة أو المشوية، ويجب أن تكون الأطعمة مسلوقة لا تحتوي على كمية كبيرة من الدهون، ولابد من أن يتم إعدادها بأنواع معينة من الزيوت كزيت الذرة والزيتون، وبالنسبة إلى الأطعمة التي تحتوي على كربوهيدرات كالمعكرونة والخبز والأرز، يتم تناولها أيضًا لكن يجب أن يتم الاعتماد على مصدر

الغذاء المثالي ضروري لشيخوخة آمنة والاهتمام بها يبدأ من الطفولة

واحد فقط فلا يجب أن يتم الجمع بين تناول أكثر من مصدر في الوجبة الواحدة.

وفي الأخير شدّدت د.عفاف على ضرورة الاهتمام بتناول الخضراوات والفواكه بكثرة مع الحرص على التأكد من نظافتها، وخاصة أن الشخص في سن الشيخوخة يكون مثل الطفل الصغير يصاب بسهولة شديدة نتيجة ضعف مناعته، وشدّدت أيضًا على ضرورة الاهتمام بالبيئة المحيطة بالشخص من خلال الحرص على نظافة المكان والتهوية الجيدة له.

النسيان

أخيرًا، يوضح د.أحمد شوقي، أستاذ الطب النفسي بجامعة الأزهر، الأمراض النفسية التي تصيب الأفراد في مرحلة الشيخوخة بقوله: تبدأ مرحلة الشيخوخة من ٦٥ سنة فما فوق، وبفضل حالة التحسن في الرعاية الصحية وتوافر العلاج المناسب لأمراض هذه المرحلة زادت الفرص في عيش شيخوخة جيدة وآمنة، وهناك عدد من الأمراض النفسية والعقلية التي يكثر ظهورها في هذه المرحلة مثل «تصلب شرايين المخ»، الذي يؤدي إلى ضمور بعض المناطق الخاصة بالتذكر والتعلم، ما يؤثر في الذاكرة فيفقد المسن القدرة على التذكر والتعلم؛ لذلك يعتبر «النسيان» من أهم مظاهر الشيخوخة على المستوى العقلي، وهناك أيضًا ما يسمى بـ«الاضطرابات الوجدانية»، حيث تحدث مشاكل خاصة بالحالة الوجدانية لدى الفرد، فالشخص قبل هذه الفترة يكون قادرًا على التحكم في انفعالاته وعواطفه، أما في هذه السن فتقل هذه القدرة، ما يجعله أقرب في تصرفاته إلى الطفل الصغير الذي قد يبكي فجأة أو يتصرف بدون مبرر.

وأضاف: على المستوى النفسي يتأثر الكبار بهذه المرحلة بشدة، فيحدث ما يمكن تسميته «فض الاشتباك مع الحياة»، أي إن الشخص داخليًا يبدأ في الاستعداد للموت ومفارقة الحياة، لذلك ينسحب من الحياة الاجتماعية ومن مسؤولياته بشكل عام، كما تشهد هذه الفترة أيضًا زيادة حالات التدين، حيث يحرص الشخص على الذهاب إلى المسجد باستمرار.

وعن كيفية التعامل مع الأشخاص في مرحلة الشيخوخة، نصح شوقي كل أسرة بضرورة معرفة خصائص هذه المرحلة جيدًا، والتفاهم مع المسن من خلال معرفة مشاكله والعمل على حلها، وأن يتم تنفيذ مطالبه كما لو كان طفلًا، ويجب أيضًا إحاطته بجو من المرح والبهجة وألا يتم تحميله أي مسؤولية، مع ضرورة أن تهتم الأسرة بضم هذا الشخص إلى مجموعات مماثلة له من المسنين، بحيث إن الأفراد في هذه المجموعات يتقابلون معًا ويلعبون معًا الألعاب المختلفة التي تساعد على تنشيط الذاكرة مثل الطاولة والسودوكو، فالعمل الجماعي مهم جدًا، لأن ذلك يخلق جوًا من الودّ والمرح، ويجعل الأفراد يعيشون حالة من السعادة.

سمية رمضان - داعية إسلامية

جلس عبدالله بن حذافة مع النبي ﷺ، وكبار الصحابة، والابتسامة تملأ وجهه، فهو صحابي بشوش مداعب، كثير المرح، متهلل الوجه في إشراق، وكأن نور الإيمان أبى إلا أن يترك أثرًا واضحًا فيه، فترك تلك الابتسامة التي لا تفارقه، وقد جعل الإسلام منه نفسًا وقّادة مشرقة شفافة، تنشر الدعابة في كل من حولها، فهو معروف بخفة روحه ودعابته بين الصحابة، يجلس النبي ﷺ ليعلم الصحابة، ويجيب عن أسئلتهم، ويقول: سلوني، وهذه فرصة سانحة لعبدالله لن يضيعها، فيسأل النبي ﷺ، ويقول: من أبي يا رسول الله؟!

فيرد النبي ﷺ على هذا السؤال المعجز بنفس روح الدعابة فيقول: «أَبُوكَ حُذَافَةُ».

ثم هاهو ذا يجعله النبي ﷺ قائدًا لإحدى السرايا، ويجلس مع الصحابة يتسامرون، ويخططون، وقد أوقدوا نارًا لتدفئهم، ويصنعوا عليها الطعام، وكعادة عبدالله لم يفوت الموقف دون مداعبة أصحابه، فقال لهم: ألست أميركم ولي عليكم حق الطاعة؟ قالوا: بلى، قال: فأنا آمركم أن تلقوا بأنفسكم في النار، فقام بعض الصحابة ليلقوا بأنفسهم في النار، فمنعهم عبدالله، وأخبرهم أنه يداعبهم، فلما عادوا إلى النبي ﷺ قصُّوا عليه ما حدث، فأمرهم ألا يطيعوا أحدًا في معصية الله، وهكذا كان عبدالله من الصحابة الذين ينشرون روح المرح والدعابة في كل من حولهم.

ولكن هل تغير هذه الروح التواقة إلى المرح والمداعبة من عزم عبدالله وصلابته؟ هل ييأس أو يضجر إذا تعرض لاختبارات صعبة، هل ينثني عبدالله أمام الريح ليتفاداها، أم يقف كالجبل الراسخ في مكانه، لا تهزه الرياح، ولا تزيده إلا صلابة وشموخًا، ولكن لماذا نحتارُ أو نتساءل، فلنذهب لنرى بأنفسنا.. وهذه هي القصة:

تبدأ القصة عندما أرسل عمر بن الخطاب رضي الله عنه جيشًا إلى الروم، وكان في الجيش عبدالله بن حُذَافَةَ، فوقع في الأسر مجموعة من الصحابة، منهم عبدالله، فذهبوا به إلى هرقل ملكهم، وأخبروه أن هذا الرجل من أصحاب محمد، وكان هرقل داهية، فأراد أن يستغل الموقف ويرد المسلمين عن دينهم، ويثبت للروم أنهم على حق، فقال لعبدالله بن حذافة:

هَلْ لَكَ أَنْ تَتَنَصّرَ، وَأُعْطِيَكَ نِصْفَ مُلْكِي؟ فيقول عبدالله في شموخ المسلم وعنفوانه: لَوْ أَعْطَيْتَنِي جَمِيعَ مَا تَمْلِكُ، وَجَمِيعَ مُلْكِ العَرَبِ مَا رَجَعْتُ عَنْ دِينِ مُحَمَّدٍ طَرْفَةَ عَيْنٍ.

فيأمر هرقل ملكُ الروم ببيت لعبدالله يقيم فيه، ولا يكون فيه إلا لحم الخنزير والخمر، ليأكل ويشرب، فيأبى عبدالله.. نعم.. يأبى عبدالله أن يأكل ما حرمه الله.. مع أنه مضطر.. وتمضي ثلاثة أيام، وهو ثابتٌ لا يتزعزع.. حتى أشرف على الموت، فذهب إليه أعوان الملك ليروا هل أكل من لحم الخنزير.. وهل شرب من الخمر.. فوجدوه قد انثنى عنقه، فذهبوا إلى هرقل وقالوا له: قَدِ انْثَنَى عُنُقُهُ، فَإِنْ أَخْرَجْتَهُ، وَإِلاّ مَاتَ.

فأخرجه وقال له: مَا مَنَعَكَ أَنْ تَأْكُلَ وَتَشْرَبَ؟ قَالَ: أَمَا إِنّ الضّرُورَةَ كَانَتْ قَدْ أَحَلّتْهَا لِي، وَلَكِنْ كَرِهْتُ أَنْ أُشْمِتَكَ بِالإِسْلاَمِ.أمر هرقل بأن يؤخذ عبدالله ويصلب على جذع شجرة، ومن ثم تضرب بالسهام أطراف يديه ورجليه حتى يشعر بالعذاب ولا يموت.. فربما جعله هذا الألم يرتد عن دينه، ولكنه كان لا ينطق إلا بكلمة واحدة.. هي لا إله إلا الله محمد رسول الله.

ويمارس هرقل نفس اللعبة.. فيأمر بتجهيز وعاء وملئه بالماء.. وأوقدوا تحته النار حتى احمرّ الوعاء، وغلى الماء، ودعا بأسيرين من المسلمين، فأمر بأحدهما، فألقي في النار، وهرقل يعرض على عبدالله النصرانية، فيأبى، ولا يردد سوى كلمة التوحيد.. فيأمر هرقل بإلقاء عبدالله في النار.. فبكى عبدالله.

فقال هرقل للحراس: ردوه.. فلما سأله: ماأبكاك؟!

قال عبدالله: هِيَ نَفْسٌ وَاحِدَةٌ تُلْقَى السّاعَةَ فَتَذْهَبُ، فَكُنْتُ أَشْتَهِي أَنْ يَكُونَ بِعَدَدِ شَعْرِي أَنْفُسٌ تُلْقَى فِي النّارِ فِي اللهِ.

فقال له هرقل: هَلْ لَكَ أَنْ تُقَبّلَ رَأْسِي، وَأُخَلّيَ عَنْكَ؟ فقال عبدالله: وَعَنْ جَمِيعِ الأُسَارَى؟

قَالَ: نَعَمْ.

توجه عبدالله بن حذافة إلى الله قبل أن يقبل رأس هرقل وقال: يا رب إنك تعلم أنه عدو لله ولكنني أحاول تقبيل رأسه وأشهدك لا من أجلي، وإنما من أجل من يقولون لا إله إلا الله من أسارى المسلمين!!

فَقَبّلَ رَأْسَهُ، وَقَدِمَ بِالأُسَارَى عَلَى عُمَرَ ابن الخطاب، وأخبره بما حدث، فَقَالَ عُمَرُ: حَقٌّ عَلَى كُلّ مُسْلِمٍ أَنْ يُقَبّلَ رَأْسَ ابْنِ حُذَافَةَ، وَأَنَا أَبْدَأُ، فَقَبّلَ أمير المؤمنين هذا الرأس الشامخ.. الذي لم ينحن لأحد إلا لله.. وقد ذكرت بعض كتب التاريخ أنّ هرقل قد أطلق له ثلثمائة أسير، وأعطاه ثلاثين ألف دينار، وثلاثينَ وصيفة، وثلاثين وصيفًا.. وهكذا الإسلام دائمًا يعز المسلمين المؤمنين، حتى مع أعداء الإسلام.. فهاهو هرقل يعجب بشخصية عبدالله.. فلا يرى أمامه إلا الإعزاز والتقدير.. وكذلك يعجب به أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضي الله عنه، فيقبل رأسه، ويأمر المسلمين جميعًا بتقبيل رأس عبدالله.

حقًا ما أروعك يا عبدالله.. أعزك الله يا عبدالله في الدنيا والآخرة، فأنت حقًا رجل الساعة.. نعم رجل الساعة.. الذي يعرف أن لكل مقام مقالاً.. رجل المواقف والبطولات.

بين مغريات المنصب وواجبات المسؤول

رشيد ناجي الحسن
باحث دراسات إسلامية

﴿وَقِفُوهُمْ إِنَّهُم مَّسْؤُولُونَ. مَا لَكُمْ لاَ تَنَاصَرُونَ. بَلْ هُمُ الْيَوْمَ مُسْتَسْلِمُونَ﴾ (الصافات:٢٤-٢٦).

عندما أقرأ هذه الآية أقف في صمت مهيب تتخلله رجفة تعتري جسدي، وأنا أتخيل ذلك المشهد المهيب الذي سيقف فيه «المسؤول» أمام المولى عز وجل ليُحاسب على ما كان يتحمل من مسؤولية في هذه الدنيا.

ولذلك لما تولى عمر بن عبدالعزيز خامس الخلفاء الراشدين رضي الله عنه مسؤولية أمر المسلمين ظل يبكي لما وقع على عاتقه من مسؤولية جسيمة، فقالت فاطمة زوجه: «دخلتُ عليه وهو في مصلاه، ودموعه تبل لحيته، فقلت أحدثَ شيء؟ فقال: إني تقلدت أمر أمة محمد ﷺ، ففكرت في الفقير الجائع، والمريض الضائع، والغازي، والمظلوم المقهور، والغريب الأسير، والشيخ الكبير، وذي العيال الكثيرة، والأموال القليلة، وأن خصمي دونهم محمد ﷺ فخشيت ألّا تثبت حجتي عند الخصومة، فرحمت نفسي فبكيت».

وعندما آلت أمور الخلافة إلى الصدّيق رضي الله عنه، خطب خطبة قصيرة جامعة وشاملة، ليت كل إنسان يتبوأ موقع المسؤولية يقرأها، فقد حمد الله وأثنى عليه، ثم قال: «أيها الناس، ولّيت عليكم ولست بخيركم، فإن أحسنت فأعينوني، وإن أسأت فقوموني، الضعيف فيكم قوي حتى أعطيه حقه، والقوي فيكم ضعيف حتى يعيد الحق إلى صاحبه، الصدق أمانة، والكذب خيانة...».

هل تأملت معي هذه الكلمات الرائعة التي اختصر فيها الصديق رضي الله عنه كل أسس الحكم والمسؤولية بكلمات قليلة وجميلة وشاملة، يعجز عن قولها أعظم الخطباء والسياسيين المحنكين، ولو كتبوا لها المجلدات.. فأسس المسؤولية إخوتي الكرام تبدأ بفهم قاعدة أساسية، وهي أن المسؤولية تكليف لا تشريف، وقد اختصر الصديق ذلك بقوله: «وليت عليكم ولست بخيركم». فمع أنّ الصديقَ خيرُ رجل في ذلك الوقت، لكنه أكد هنا على أن لا علاقة للخيرية بالمسؤولية، وأكد أنّ التواضع خلق يجب أن يتوافر لدى كل حاكم أو مسؤول مهما بلغ شأنه وسلطانه.

لو طرح المسؤولون على أنفسهم وهم على أعتاب المهمة الجديدة: لماذا نحن هنا؟ وماذا يراد منا؟ لاكتسبت المسؤولية لديهم دلالة إيجابية، بحيث سيجدون أنفسهم رهينتي تطلعات مجتمعهم، مطوقين بمهام يفرض النهوض بها التصدي لسلبيات سابقيهم.

ومن المؤسف حقًا ألاّ يميّز الناس ما بين واجبات ومهام المسؤولية، وما بين الوجاهة والرفعة التي ترافق أصحاب المسؤولية إذا ما أحسنوا إلى أنفسهم ووظيفتهم وخدموا الأمة، وكأنّ التشريف ملازمة حتمية للتكليف من دون تقديم أي عطاء أو جهد متميز، ليتسنى للآخرين تمييز الخبيث من الطيب..

وخطورة هذا الأمر تكمن في أنه ناجم عن قناعة راسخة لدى كل الوصوليين والانتهازيين بأنّ الوصول إلى المنصب هو غاية بحد ذاته، وليس وسيلة لتقديم وتطوير الخدمة والإنتاج بكل أشكالهما وتنوعاتهما ومستوياتهما، مما ينعكس بشكل واضح على طبيعة أداء المؤسسات، ويُغرق جميع الدوائر في طوفان من الكسل والإهمال وتدني الإنجاز، وعدم احترام عامل الزمن ومصالح المواطنين المعطلة، بسبب كثرة اللاهثين وراء السمعة

والطامحين إلى أن يُمدحوا بما لم يفعلوا، رغم أنهم لا يتمتعون بأيّة مؤهلات علمية أو إدارية أو تجربة ميدانية رصينة تؤهلهم لخوض غمار المسؤولية، ورعاية مصالح المواطنين. فتراهم يتخبطون ويربكون مسيرة العمل، ويهدرون الوقت ويسرفون في المال العام على مسائل لا تدخل في صلب اختصاص المؤسسة وطبيعة عملها، وإنما تتعلق بتحسين صورتهم وأثاث مكاتبهم الشخصية وزيادة أفراد الحماية والسكرتارية والاستعلامات، قبل تحسين ظروف العمل والعاملين وتقديم الدراسات والبحوث العلمية المتخصصة للنهوض بمستوى الأداء على جميع الأصعدة، وببساطة فإنّ العديد من مكاتب المديرين والمسؤولين تحولت إلى «مضايف» ومراكز استقبال وتوديع الزائرين (الخصوصيين) من أصحاب «الواسطات»، ومن أبناء العشيرة والفخذ والمنطقة لتسهيل أعمالهم الشخصية.

كم من مرة سمعنا الكلمة المأثورة: «إنّ من نعم الله عليكم حاجة الناس إليكم»، غير أننا عند سماع هذه الكلمة كنا نفهمها على صورة ضيقة وفي نطاق محدود، إذ كان يبدو لنا أنّ صاحب المال أو صاحب الجاه هو الذى ينبغى أن يعد نفسه في نعمة لقدرته على قضاء حاجة المحتاجين، أما الآن فإننا نفهمها في أوسع معانيها، ونستطيع أن نناشد بها الناس جميعًا قائلين: «إنّ من نعم الله عليكم حاجة المجتمع، بل حاجة الكون إليكم»، ذلك أن مطالب الحياة والصحة والعلم والقوة والأمن والرخاء والعدل والبر والرحمة والإنسان وسائر القيم الكبرى، والمثل العليا، لا غنى لها طرفة عين عن تضافر القوى البشرية، وتماسك أياديها وسواعدها وتعاون عقولها وقلوبها.. فنحن جميعًا شركاء في المسؤولية، لا فضل لكبير على صغير، ولا لقوي على ضعيف، كل على قدر وسعه، وفي حدود متناوله، مُطالبٌ بنصيب قل أو كثر في عمارة هذا الكون بالصلاح والإصلاح، ولذلك يقول نبينا محمد ﷺ: «كلكم راعٍ، وكلكم مسؤول عن رعيته...»(أخرجه البخاري).

نعم إننا بفطرتنا مسؤولون، لا سؤال اتهام ومناقشة حساب، بل سؤال التماس ودعاء ورجاء، وليس الإنسان المسؤول هو الذي يلتمس ويرجو، بل هو المدعو المرجو.

ومغريات المنصب، والهالة التي عادة ما تحيط به، وشخصية شاغله، كلها تدفع أحيانًا إلى إحساس شاغل هذا المنصب بشيء من التشريف الذي يكون مقبولًا في أحد جوانبه ومرفوضًا في الجانب الآخر، فالتشريف الوظيفي المنضبط الذي ينسجم مع مستوى المنصب، وتتحكم فيه المسؤوليات الوظيفية والاعتبارات الأخلاقية يبقى أمرًا مشروعًا وحالة طبيعية طالما لم يذهب بشاغل المنصب إلى التعالي الممقوت واستحسان الأبهة الخادعة واستغلال ما لا يجوز استغلاله من مزايا الوظيفة وانعكاسات الجاه المترتب عليها.

والسلطة والمسؤولية وجهان لعملة واحدة، والثانية تكبح جماح الأولى وتعطيها مفهومها الأصلي، وهاتان الخصلتان من ألزم لزوميات المنصب وأكثرها تأثيرًا على شاغله، حيث إن السلطة بقدر ما تفرض واقع التكليف من خلال فرض الإرادة بقدر ما تغذي دافع التشريف، الأمر الذي يتطلب وجود المسؤولية لإيجاد التوازنات ومنع التجاوزات، بوصفها صمام الأمان في وجه الدوافع الشاطحة والرغبات الجامحة.

وكل من يشغل وظيفة، ويتسنم منصبًا يتعين عليه أن ينظر إلى ذلك بأنه أمانة وتكليف وليس امتيازًا وتشريفًا، ومهما علت المناصب وارتفعت المراتب فإنه لا غنى عن التعامل معها باعتبارها خدمة أكثر منها سلطة، كما أن دوافع التشريف والإغراءات المترتبة عليها تزداد في تناسب طردي كلما ارتفع مستوى السلطة وكبر حجمها، وما ينجم عن هذا الأمر من قوة التكليف وضخامة المسؤولية، وما لهما من أثر فاعل على لجم هوى النفس وكبح نزعتها نحو الانسياق وراء دافع التشريف على حساب واقع التكليف.

والذي يدرك قيمة الوظيفة ومكان التكليف فيها يجد أنّ مكان التشريف منها لا يشغل إلا حيزًا هامشيًا محدودًا، وأن زكاة الجاه وحقوق الوظيفة ومتطلباتها الخدمية والإنسانية تجعل من هذا الحيز شيئًا مقبولًا، خاصة وأنّ ألم الصبر على تحمل الحقوق ومرارة القيام بها تفرض على شاغل الوظيفة أعباءً إضافية مقابل ما يغدق عليه المنصب من هالة شكلية وقيمة معنوية.

ولا أنسى أيها الأخ المسؤول أن أذكرك أخيرًا بأهمية تكليف ما أنت فيه، وذلك من خلال الأحاديث التالية، لتذكرك كلما اعتقدتَ أنّ المسؤولية تشريف لا تكليف:

قال رسول الله ﷺ: «اللَّهُمَّ مَنْ وَلِيَ مِنْ أَمْرِ أُمَّتِي شَيْئًا، فَشَقَّ عَلَيْهِمْ، فَاشْقُقْ عَلَيْهِ، وَمَنْ وَلِيَ مِنْ أَمْرِ أُمَّتِي شَيْئًا، فَرَفَقَ بِهِمْ، فَارْفُقْ بِهِ»(أخرجه مسلم).

وقال ﷺ: «من ولاه الله شيئًا من أمر المسلمين فاحتجب دون حاجتهم وخلتهم وفقرهم احتجب الله دون حاجته وخلته وفقره»(حديث صحيح، رواه أبو داود).

وقال ﷺ: «ما من رجل يلي أمر عشرة فما فوق ذلك إلا أتى الله عز وجل مغلولًا يوم القيامة يده إلى عنقه، فكه بره، أو أوبقه إثمه، أولها ملامة، وأوسطها ندامة، وآخرها خزي يوم القيامة»(صحيح الجامع ٥٧١٨).

وليس معنى هذا أن يتخلى الأخيار والثقات عن المسؤولية، لا، بل واجب عليهم أن يتحملوها إن لم يوجد غيرهم، وأن يقوموا بها، ولكن عليهم الاستعانة بالله عز وجل، والصدق والحرص والدقة في الأمانة والحذر من ظلم الناس أو بخس حقوق الناس أو الانتفاع من هذه المكانة وهذه المسؤولية.

بعض المراجع:

-أساس الشعور بالمسؤوليّة، د.محمد عبدالله دراز.
-مكانة المسؤولية في الإسلام، د.سعد المرصفي.
-الإسلام والمسؤولية، د.مصطفى الرافعي.
-المسؤولية في الإسلام، د.عبدالله قادري الأهدل، الطبعة الثالثة ١٤١٢هـ-١٩٩٢م.
-صحيفة الجزيرة، العدد ١٣٤٥٠، الأحد ٠٤ شعبان ١٤٣٠.

إعداد : محمود محمد الكبش
باحث بوحدة البحث العلمي في إدارة الإفتاء

مجالات الفتوى وموضوعاتها:

أمَرَ اللهُ علماءَ الشّريعة ببيان الحقّ للنّاس، ونهاهم عن كتمانه، فقال: ﴿وَإِذْ أَخَذَ اللَّهُ مِيثَاقَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ لَتُبَيِّنُنَّهُ لِلنَّاسِ وَلَا تَكْتُمُونَهُ﴾ (آل عمران:١٨٧). وقال أيضًا: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَكْتُمُونَ مَا أَنزَلْنَا مِنَ الْبَيِّنَاتِ وَالْهُدَىٰ مِن بَعْدِ مَا بَيَّنَّاهُ لِلنَّاسِ فِي الْكِتَابِ أُولَٰئِكَ يَلْعَنُهُمُ اللَّهُ وَيَلْعَنُهُمُ اللَّاعِنُونَ﴾ (البقرة:١٥٩).

كما حذّر نبيُّه «من ذلك في قوله: «من سُئل عن علم فكتمه ألجمه الله بلجام من نار يوم القيامة» (أخرجه أبو داود والحاكم).

ولمّا كان أمر الفتوى في الإسلام بهذه المنزلة، قضى الله أن يكون السؤال شاملاً لجميع مجالات الحياة، فلا يندّ عنها شيء، ولا يمنع من السؤال أحد، فَشَمَلَت الفتوى جميع تصرفات العباد، لا يخرج عنها اعتقادٌ، أو قولٌ، أو عملٌ، سواء في ذلك ما كان من علاقة المكلّف بربّه، أو بنفسه أو بغيره، أو بالدّولة التي يعيش فيها، بل وعلاقة الدولة بغيرها من الدّول في زمن السلم والحرب.

بمعنى آخر، فإن الفتوى تتصل بمختلف المجالات: العقديّة، والتعبُديّة، وفي مجال المعاملات الماليّة، والاقتصادية، والأسريّة، والسياسيّة، والحكم، والقضاء بشرطه، وغير ذلك.

ما لا يفتى فيه، بقيدٍ أو بالمنع أحيانًا:-

ليس معنى دخول الفتوى في مجالات الدّين كلّها أنّ المفتي له الحقّ المطلق بالكلام في جميع الأحوال، ومع أي شخص من العامّة، وإنّما الأمر في ذلك عند العلماء مقيّد ببعض القيود، وتظهر عند بيان هذه العناوين:-

- المسائل المتشابهة في الدّين:

فتاوى الوعي

ما يحرم من الأطعمة والأشربة (٤٢٣٣/٣٦٧/١٣)

عُرِضَ على «لجنة الفتوى» بدولة الكويت الاستفتاء التّالي، ونصُّه: ما حكم المشروبات الغازية بجميع أنواعها؟ حيث يقال: إنّها تحتوي على مادة من دهن الخنزير، وهذه تستورد من الخارج.

وكذلك أنواع الجبن هل هناك نوع معين تنصح الإدارة بعدم أكله أم أنه كله صالح للأكل؟

فأجابت اللجنة بما يلي:

من القواعد الفقهية الكلّيّة قول الفقهاء: (الأصل في الأشياء الإباحة)؛ لقوله تعالى: ﴿قُل لَّا أَجِدُ فِي مَا أُوحِيَ إِلَيَّ مُحَرَّمًا عَلَىٰ طَاعِمٍ يَطْعَمُهُ إِلَّا أَن يَكُونَ مَيْتَةً أَوْ دَمًا مَّسْفُوحًا أَوْ لَحْمَ خِنزِيرٍ فَإِنَّهُ رِجْسٌ﴾(الأنعام: ١٤٥)، وعليه فإنّ كل مطعوم أو مشروب يكون حلالاً للإنسان إذا لم يوجد فيه محرم، ومن المحرمات في الطعام والشراب المسكرات والنجاسات، وما فيه إضرار بالصحة كالسموم، فإذا ثبت قطعًا أو بظنٍّ غالب أنّ في مطعوم أو مشروب مادة مسكرة أو نجسة أو مضرة بالصّحة.. حَرُمَ، وإلا فلا يحرم، ومدار ثبوت ذلك على المختصين والمسؤولين عن الشؤون الصّحيّة، ويستوي في ذلك المشروبات الغازية والأجبان وغيرها، والله أعلم.

شرب ماء الشعير (٤٨٠٧/٣٦٠/١٥)

عُرِضَ على «لجنة الفتوى» بدولة الكويت الاستفتاء التّالي، ونصُّه: يرجى من لجنة الفتوى الرد الشافي على ما ورد من أسئلة في إحدى الصحف، ولكم الشكر الجزيل.

ما حكم من يمنع بيع ماء الشعير المستورد من مكة المكرمة؟ وهل يجوز تحريم ما أحله الله؟

فأجابت اللجنة بما يلي:

إذا كان في ماء الشعير وغيره ما يسكر فهو حرام، وإن قلّ؛ لقوله ﷺ: «ما أسكر كثيره فقليله حرام» (رواه الترمذي، والنسائي، وأبوداود، وابن ماجة، وأحمد). فإذا خلت هذه الأشربة عن المسكر مطلقًا فهي حلال، إلا أنّ لوليِّ الأمر أن يأمر بمنع بعض ما هو مباح إذا رأى في ذلك مصلحة الأمّة، وسدًا لذريعة منكر يترتب عليه، لقوله تعالى: ﴿أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِي الْأَمْرِ﴾(سورة النساء:٥٩)، ومن ذلك منع عمر رضي الله عنه بعض كبار الصحابة ومنهم طلحة وحذيفة رضي الله عنهما من الزواج بالكتابيات، والله أعلم.

كمسائل الكلام، والقدر، ونحو ذلك، فليس للمفتي أن يتكلّم بها على نحو تفصيليّ، لخفائها على كثير من النّاس، ولخطورة الكلام فيها، وقد نقل الإمام النووي قول بعض العلماء في النّهي عن ذلك أنّه قال: «إنّ مما أجمع عليه أهل التقوى أنّ مَن كان موسومًا بالفتوى في الفقه لم يجز له أن يضع خطّه بفتوى في مسألة من علم الكلام، قال: وكان بعضهم لا يستتمّ قراءة مثل هذه الرّقعة». «المجموع» (١/ ٥٣).

وقال ابن الصلاح: «ليس له إذا استفتي في شيء من المسائل الكلاميّة أن يفتي بالتّفصيل، بل يَمنَع مستفتيه وسائرَ العامّة من الخوض في ذلك أصلاً، ويأمرُهُم بأن يقتصروا فيها على الإيمان جملةً من غير تفصيل». «أدب الفتوى» (ص١٣٠).

- السّؤال عمّا لم يقع: فلا يلزم المفتي أن يجيب عن المسائل التي لم تقع، بل قد يمتنع عن ذلك، وينهى عنه، والأصل في مثل هذه المسائل قول النّبيّ ﷺ: «مَا نَهَيْتُكُمْ عَنْهُ، فَاجْتَنِبُوهُ، وَمَا أَمَرْتُكُمْ بِهِ، فَافْعَلُوا مِنْهُ مَا اسْتَطَعْتُمْ، فَإِنَّمَا أَهْلَكَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ كَثْرَةُ مَسَائِلِهِمْ، وَاخْتِلَافُهُمْ عَلَى أَنْبِيَائِهِمْ» «متفق عليه».

فعن مسروق رحمه الله قال: «سألْتُ أبي بن كعب رضي الله عنه عن شيءٍ فقال: أكان هذا؟ قلت: لا، قال: أجمّنا - يعني: أرحنا - حتّى يكونَ، فإذا كان اجتهدْنا لك رأيَنا» «أخرجه أبو خيثمة زهير بن حرب في «كتاب العلم» رقم: (٧٦)».

- امتناع المفتي إذا كان قاضيًا من الفتوى في الأمور الّتي يدخلها القضاء: وهذا الأمر يتعلق بالحقوق المالية، والجنائية، والأنكحة، ونحوها، فهذه القضايا تدخلها الخصومات، فالأولى تعليقها بالقضاء، لا سيما إن كان المستفتَى (المفتي) طرفًا فيها، وذلك قطعًا للظّنّ السّيّئ.

أمّا مسائل العبادات والدّيانات، فلا بأس، لانتفاء المحذور، ولِمَا رُوي عن النّبيّ ﷺ أنّه قال: «استفت قلبَك، والبرُّ ما اطمأنّتْ إليه النّفس، واطمأنّ إليه القلب، والإثم ما حاك في القلب، وتردد في الصدر، وإن أفتاك النّاس وأفتوك». رواه أحمد، وانظر: «صحيح التّرغيب» (٢/ ١٥١).

دخول شحم الخنزير المتحوّل (الجلاتين) في بعض الأطعمة (٧٤٩٩/٢٩٥/٢٣)

عُرِضَ على «لجنة الفتوى» بدولة الكويت الاستفتاء التّالي، ونصُّه: هناك بعض المنتجات الدوائية والغذائية التي يدخل في تركيبها (الجلاتين)، ومعلوم أن الجلاتين قد يستخلص من شحوم الخنزير، علمًا بأنّ صناعة هذه المنتجات تغيّر من خصائص المادة الأصلية نتيجة تفاعلها الحراري والكيميائي.

فهل يجوز تناول هذه المنتجات؟

فأجابت اللجنة بما يلي:

ذهب الحنفية والمالكية - وهو رواية عن أحمد - إلى أن نجس العين يطهر بالاستحالة، فرماد النجس لا يكون نجسًا، ولا يعتبر نجسًا، ملحًا كان أو حمارًا أو خنزيرًا أو غيرهما، ولا نجس وقع في بئر فصار طينًا، وكذلك الخمر إذا صارت خلًا سواء بنفسها أو بفعل إنسان أو غيره، لانقلاب العين، ولأنّ الشرع رتّب وصف النجاسة على تلك الحقيقة، فينتفي بانتفائها، فإذا صار العظم واللحم ملحًا أخَذَ حكم الملح، لأن الملح غير العظم واللحم، ونظائر ذلك في الشرع كثيرة منها: العلقة فإنها نجسة، فإذا تحولت إلى المضغة تطهر، والعصير طاهر فإذا تحول خمرًا ينجس.

فيتبين من هذا: أنّ استحالة العين تستتبع زوال الوصف المرتب عليها، لذا فإن (الجلاتين) يعتبر مادة مستحيلة، فهو غير الجلد والعظم الذي استخرج منهما، وعلى هذا، فإنّه يباح صنعه وأكلُه وبيعُه وشراؤه. والله أعلم.

أكْل الجبن المصنوع بأنفحة العجل (٥٤٦٢/٣٥٩/١٧)

عُرِضَ على «لجنة الفتوى» بدولة الكويت الاستفتاء التّالي، ونصُّه: بعض الأجبان يكتب عليها بأنّ إحدى مكوناتها أنفحة العجل، وسمعنا بأنّه حرام أكلها، لأنّها من أمعاء العجل، ولا ندري هل ذكي التذكية الشرعية أم لا؟ وخصوصًا الأجبان العربية والإسلامية.

أفتونا مأجورين حول جواز الأكل منها، وجزاكم الله خيرًا. والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته.

فأجابت اللجنة بما يلي:

أنفحة العجل المذكى ذكاة شرعية، وكذلك أنفحة الجدي والخروف وغير ذلك من الحيوانات المأكولة اللحم طاهرة باتّفاق الفقهاء، ويجوز صنع الجبن بها، وذهب بعض الفقهاء إلى طهارة أنفحة الحيوان الميت أيضًا.

وعليه: فلا مانع شرعًا من أكل الجبن المصنوع بأنفحة العجل كما تقدم. والله أعلم.

إعداد : خالد محمد خلاوي

القرآن الكريم بـ «الفلاش »
www.quranflash.com

تقوم فكرة مشروع «قرآن فلاش» على خدمة الإنترنت بإصدار كتب إلكترونية جذابة متفاعلة بتقنية الـ FLASH، وقد لاقت الفكرة قبولاً شديدًا من الناس لعرض القرآن الكريم بهذه الطريقة الحديثة، حيث إن عدد زائري الموقع كان يفوق العشرة آلاف زائر يوميًا، وتطور المشروع من خلال إعادة التصميم الفني من ناحية، وإعادة التطوير البرمجي من ناحية أخرى، وقد ساعدت هذه الخطوة في سهولة إضافة مصاحف أخرى بسهولة، كمصحف التجويد والتفسير، ومن المميزات الرئيسية التي أضيفت إلى الموقع النقاط التالية:

- تكبير حجم الصفحة لسهولة القراءة.
- إعادة نسخ صفحات المصحف بشكل مطابق أكثر حتى تظهر بيانات الصفحة كرقم الجزء ورقم الحزب واسم السورة... إلخ.
- إمكانية رؤية جزء مضخم من الصفحة باستخدام عدسة مكبرة.
- إمكانية التأشير إلى عدة صفحات من كل مصحف.
- خيار بين عدة مصاحف مختلفة (مثل مصحف التجويد والتفسير والحرمين والشمرلي وأخرى).
- إمكانية التحكم في جودة الصفحات وسرعة تحميلها من الموقع.
- إمكانية تغيير خلفية الموقع لمراعاة شعور المتصفح أثناء القراءة.
- إمكانية الذهاب إلى صفحة دعاء الختم في المصحف.
- إمكانية غلق المصحف.
- إمكانية تصفح المصحف باستخدام لوحة المفاتيح.

الفانوس .. محرك بحث قرآني

www.alfanous.org

موقع الفانوس يختص بالبحث عن أيِّ كلمة في القرآن الكريم لتظهر الآيات التي ذكرت فيها الكلمة بالتشكيل، ويمكن نسخ الآية أو الاستماع إليها، كما يمكن تغيير القارئ عرض ترجمة معاني الآيات تحت كل آية، ويتم ذكر معلومات الآية ومعلومات السورة الموجودة فيها بشكل مفصّل في نتائج البحث، ويقوم الموقع على المنهج الحديث لاسترجاع المعلومات للحصول على الاستقرار وبحث حسن فائق السرعة.

داعية. كوم لنشر آيات من القرآن الكريم على الفيس بوك

www.dareya.com

داعية تطبيق إسلامي للفيس بوك، يقوم بكتابة تحديثات تحتوي آيات من القرآن الكريم- على حسابك الشخصي في الفيس بوك بحد أقصى مرتين في اليوم، بهدف تذكير الأصدقاء بكلام الله عز وجل وابتغاء الثواب منه.

وسائل مبتكرة لنشر القرآن الكريم على «التواصل الاجتماعي»

ساهمت مواقع الإنترنت في نشر القرآن الكريم وعلومه بوسائل مبتكرة، تطورت مع تطور التقنيات والبرمجيات المستخدمة في إنتاج المحتوى الإلكتروني على الشبكة العنكبوتية، وأنشئت لذلك العديد من المواقع ومنها نشر المصاحف المرتلة بصوت مشاهير القراء، واستخدام تقنيات البحث في فهرسة القرآن الكريم، وتفاسيره بما يُسَهل الوصول إلى تفسير الآية الواحدة من مختلف المصادر، وهناك مواقع تخصصت في تيسير إرفاق نص الآيات مُشَكَّلة بالرسم العثماني خاصة في تدوينات ومشاركات مواقع التواصل الاجتماعي.

وفيما يلي نستعرض مجموعة من هذه المواقع:

المصحف الإليكتروني بجامعة الملك سعود:

www.quran.ksu.edu.sa

يعتبر مشروع المصحف الإلكتروني بجامعة الملك سعود محاكاة إلكترونية للمصحف الشريف -متوفرٌ بسبع عشرة لغة- مع هامش لترجمة معاني القرآن الكريم لأكثر من عشرين لغةً، وترجمة صوتية لثلاث لغات، وستة تفاسير، وتلاوات للقرآن الكريم بصوت العديد من مشاهير القراء، مع إمكانية التكرار لتيسير الحفظ على الأطفال والمكفوفين خاصة..

موقع متكامل متميز فيه أدوات جديدة لا توجد في بقية المواقع، يقدم العديد من الخدمات منها:

استعراض القرآن الكريم بالرسم العثماني، والاستماع لآية منفصلة من القرآن الكريم أو الاستماع المتصل مع إمكانية اختيار القارئ، وميزة تكرار القراءة بهدف الحفظ -يمكن تحديد عدد التكرار لكل آية، ومدة الانتظار بين كل تكرار أو اختيار مجموعة من الآيات لتكرارها، وعرض تفسير آيات القرآن الكريم بشكل سلس ومبتكر، بحيث يمكن النقر على أيّ آية ليتم عرض التفسير في الجانب، مع إمكانية اختيار كتاب التفسير واختيار اللغة، وإمكانية البحث عن كلمة معينة بسرعة عالية، مع عرض الآية كتابتًا ورسمًا.

ويميز الموقع الانتقال السلس بين السور والآيات والصفحات أو الأجزاء، ويظهر الموقع بـ واجهة باللغة العربية وأخرى بالإنجليزية.

القراء الأعزاء : نستقبل اقتراحاتكم ومساهماتكم التي من شأنها إشاعة الخير بين ربوع الأمة على البريد الإلكتروني:
info@alwaei.com
aelbarbary@live.com

حوار مع دمعة؟؟

بكيت يومًا من كثرة ذنوبي، وقلة حسناتي، فانحدرت دمعة من عيني..
وقالت: ما بك يا عبدالله؟
قلت: ومن أنت؟
قالت: أنا دمعتك.
قلت: وما الذي أخرجك؟
قالت: حرارة قلبك.
قلت مستغربًا: حرارة قلبي!! ومن الذي أشعل قلبي نارًا؟
قالت: ذنوبك ومعاصيك.
قلت: وهل يؤثر الذنب في حرارة القلب؟
قالت: نعم ألم تقرأ دعاء النبي ﷺ دائمًا: «اللهم اغسلني من خطاياي بالماء والثلج والبرد» فذنوب العبد تشعل القلب نارًا، ولا يطفئ النار إلا الماء البارد والثلج.
قلت: إني أشعر بالقلق والضيق.
قالت: من المعاصي التي تكون شؤمًا على صاحبها، فتب إلى الله يا عبدالله.
قلت: إني أجد قسوة في قلبي فكيف خرجتِ من عيني؟
قالت: إنه داعي الفطرة يا عبدالله.
قلت: وما سبب القسوة التي في قلبي؟
قالت: حب الدنيا والتعلق بها، والدنيا كالحية تعجبك نعومتها، وتقتلك بسمها، والناس يتمتعون بنعومتها، ولا ينظرون إلى سمّها القاتل.
قلت: وماذا تقصدين بـ سم الدنيا يا دمعتي؟
قالت: الشهوات المحرمة والمعاصي والذنوب واتباع الشيطان.. ومن ذاق سمها مات قلبه.
قلت: وكيف نطهر قلوبنا من السموم؟
قالت: بدوام التوبة إلى الله تعالى، وبالسفر إلى ديار التوبة والتائبين عن طريق قطار المستغفرين.

● أسامة شوقي عبدالهادي

المحرر: ليس أكرم من رب العالمين الذي يتجاوز عن ذنوب المسيئين، ويفرح بتوبة العاصين.. اللهم ارزقنا قبل الموت توبة، وعند الموت شهادة، وبعد الموت جنة ونعيمًا وملكًا كبيرًا.

اليتم في اليمن مختلف

أثناء تصفحي للصور الملتقطة في إحدى أمسيات لقاء الأيتام بكافليهم في اليمن هالني منظر لأيتام ينخرطون في البكاء.. تلك الصور الملتقطة لا تغيب عن خاطري، ولا أملك سبيلًا لنسيانها، فهي تخاطب وبمشهد صادم الإنسانية، وتناشد كل من اطلع عليها الرحمة والعطف والحنان.. التقطت الصور خلال عرض مسرحي يحكي قصة يتيم فقد والده في حادث سير، وعبر المشهد استطاع الممثل باقتدار إيصال قصة كل يتيم، خلاصتها وفاة الأب وفقدان السند والعائل ونبع الحنان، وفي لحظة صاحبها كمٌّ كبير من العِوَز العاطفي تظهر دخيلتهم في نظرة عطشى لأبوة حانية، وليد رقيقة، ولمشاعر أنس، فيسقط قناع الكبرياء، وينهار جدار الثبات والعزم، وتتفجر المشاعر المكبوتة، فينهارون متكومين على أنفسهم منخرطين في بكاء مرير مكتوم، يحكون من خلاله حال يتمهم مظهرين أحاسيس ضعفهم، وقسوة الحياة عليهم، منغلقين على حالهم وفقرهم وحاجتهم، غائبين عمن حولهم من الحضور، خلال ذلك تصبح العيون والنظرات والكبرياء والناس والمجتمع والخجل مسميات عابرة لا داعي لها.

● عبدالعزيز العرشاني .

الصم البكم الذين لا يعقلون

حين أنظر إلى أمة الإسلام في بعض المواقف والمشاهد والمناسبات، وما يفعله بعض من ينتسبون إلى الإسلام من أفعال لا تنتمي إلى الإسلام، بل تخالف الشرع مخالفة صريحة، أحس النفس من هذه الأفعال جريحة.
وهذه المخالفات تنقسم إلى أربع حالات:
الحالة الأولى: في بعض المناسبات الدينية والوقائع التاريخية نجد جموعًا تقع في مخالفات شرعية قد تصل حد الشرك في الألوهية، من خلال تقديس بعض الصحابة والتابعين والأولياء وأهل البيت، بطريقة تخلط الأمور، ولو عاش هؤلاء لتبرأوا من القائمين بهذه الأعمال الشيطانية.
الحالة الثانية: بعض فئات الأمة الإسلامية تجتمع على تقديس بعض الأحياء من الزعماء والقادة والمسؤولين

موظفان ينتقلان!!

ليس الكرسي ملكًا للموظف.. حقيقة غفل عنها عدد كبير من الناس، فنسوا أو تناسوا أنهم سيتركون الكرسي عاجلًا أم آجلًا، رضوا أو لم يرضوا، فماذا سيقول الناس عن صاحب الكرسي بعد ذهابه؟ إن الموظفين رجلان، تتحدث عنهما هذه الأبيات:

أحقًا يرحل المحبوب عنا.. ونفقد من مناقبه نظامه
كرام الناس لا يرجون نفعًا.. إذا جمع اللئيم بهم حطامه
يقود الشهمَ للإخلاص دينٌ.. إذا ولى الغبي بنا غلامه
ويجني الشهم مكرمة وعزًا.. ويبكي المسرفون غدًا ندامة
وفقدان الكرام لنا مصاب.. وفقدان اللئام لنا كرامة
ونفرح إن بكى فينا حقير.. جبى من كل «مشروع» حرامه
تولى منصبًا فينا كبيرًا.. ليقضي من تسلطه مرامه
ويفجؤه قرار من رئيس.. يجرد للمسيء لنا حسامه
متاع الفاسدين إذن قليل.. ودار العز لا تبقي اللآمة
وخير الناس من أثنى عليه.. كريم عده في الخير شامة
وخير الناس من أعلى بناء.. من الإخلاص قد أعلى مقامه
وخير الناس حر قد تسامى.. عن الأطماع في مال «أمامه»

● عبدالعزيز بن صالح العسكر
الجمعية العلمية السعودية للغة العربية

الاعتزاز باللغة العربية ودوره في النهوض الحضاري للأمة

تعيش اللغة العربية في هذا العصر واقعًا حزينًا ومتدنيًا في كافة المجالات، ففي مجال التعليم نجد عزوف كثير من الخريجين عن كليات اللغة العربية، بل وصل الأمر في بعض الجامعات إلى إلغاء التخصصات المتعلقة بها بسبب قلة المتقدمين، وعلى مستوى المخرجات يلاحظ أن معلم اللغة العربية لا يلقى أي تقدير، فنجده أقل مستوى من معلم اللغة الإنجليزية أو الجغرافيا.

ولو نظرنا إلى اللغة العربية في مراحل التعليم الأولى سنجد هناك تدنيًا شديدًا، فإن أبسط معطيات التقدم لدى العالم العربي، تفترض إجادة الشعب لمبادئ القراءة والكتابة، بينما نجد الضعف جليًا وظاهرًا لدى كثير من الطلاب حتى في المراحل المتقدمة من التعليم، ومما يدل على ذلك ما جاء في أحدث تقرير للتنمية البشرية الصادر عن برنامج الأمم المتحدة الإنمائي لعام ٢٠١١م حيث جاءت أكثر الدول العربية ضمن الدول ذات التنمية البشرية المنخفضة والمنخفضة جدًا، وبلغت نسبة الإلمام بالقراءة والكتابة للفئة (١٥) سنة وما فوق في بعض الدول العربية مستويات متدنية مقارنة ببعض الدول الأخرى غير العربية.

وإنه من المؤسف أن ينصب اهتمام كثير من المعنيين بالتعليم في دولنا العربية على اللغات الأجنبية وتخصيص دورات للتحدث بها في مدارسنا، حتى صارت اللغة العربية التي سدنا في بيان مآثرها ألوف الصفحات في حالة يرثى لها، وصار معلم اللغة العربية لدى كثير من الجهات محل ازدراء وسخرية! إن قضية الاعتزاز بلغة القرآن الكريم هي أساس النهوض إن أردنا الرقي إلى سلم الحضارة.

● **سالم بن عميران**

المحرر: أكثر الله من أمثالك، وفتح قلوب وعقول المسؤولين لهذه الرسالة المهمة التي توجهها إلى الأمة جمعاء. فاللغة هوية واللغة كرامة واللغة قبل هذه وتلك سبيلنا إلى إدراك أوامر ربنا عز وجل.

والاهتمام بكل ما يقولونه ويفعلونه.

الحالة الثالثة: هناك فئات من الأمة العربية والإسلامية استغلت بعض الأحداث أخيرًا بطريقة هوجاء وخبطت خبط عشواء، فأين العقل من هذا الذي يحدث بالصبح والمساء!

الحالة الرابعة: الجموع الكروية والفنية فيها ضياعات لأهم شيء في الحياة، ألا وهو الوقت، والوقت هو العمر والمال، ترى كيف لو استثمرت العقول وتفكرت بالمعقول؟ وتلاشت هذه السلبيات الأربع في كل الفصول، ألا ترى أنه سيتغير حال الأمة، وفي مستقبلها تصول وتجول، وذلك لو طبقت تعاليم الرسول ﷺ وابتعدت عن هذا التطرف المرذول، والذي يهاجم الأمة ويفتك بها كالغول.

● **عبدالله الحسين محمد**

المحرر: لعلنا يا أستاذنا الكريم نستفيق قبل أن نتراجع أكثر وأكثر، ولعل الإعلام يقوم بدوره في ذلك الإرشاد.

مظاهر

تعيش خديجة في الطابق الرابع من تلك العمارة، وزوجها طبيب، هذا كل ما تعرفه عنها جاراتها (زوجها الدكتور الفلاني) فما أسعد حظها إذن، أما أزواجهن فمجرد موظفين أو تجار بسطاء.. النساء يحسدن خديجة (أسعد امرأة في العمارة) كما تبدو لهن، أما في واقع الحال فهي أسوأهن حظًا.. زوج سليط ومتسلط، حتى إن المسكينة لم تذق طعم سعادة البسطاء.. رغم أنها تبدو للآخرين غير ذلك.. لكنها «المظاهر».

يبدو أحمد، ذاك الطالب البسيط الحال القليل المال، سعيدًا ومرفهًا، كيف لا وهو الصديق الوحيد لياسر، زميله في الدراسة.. الثري الذي يمتلك سيارة ورصيدًا في البنك، ومشاريع كثيرة لا تعد ولا تحصى.. زملاء الدراسة يحسدون أحمد ويندبون حظهم في صداقة المصالح، لكنهم لا يدرون أيهما يصرف أكثر على الآخر، ولا يدرون أن الجاحظ لو كان على قيد الحياة لوضع اسم هذا الثري عنوانًا لكتابه.. يشكو كل يوم كثرة المصاريف وقهر الديون، وأحمد يدفع معظم فواتير مشاويرهما من مشروبات المقهى إلى بنزين السيارة، لكنه يبدو محظوظًا جدًا برفقة صديقه الميسور.. «مظاهر».

استأثر محمود بحب وحنان كل أفراد عائلته من أقصاها إلى أدناها، كيف لا وهو يتيم الأبوين، توفيا وتركاه لجدته، وفي اليتيم ثواب كبير، ويتنافس أقرباؤه على إرضائه وإسعاده، ويتناوبون على استضافته، ويغمرونه بكل أشكال الاهتمام والحب والحنان.. وغير بعيد عن محمود يعيش خالد ابن الجيران، الذي يعيش يتمًا من نوع آخر: أبوه وأمه على قيد الحياة، إلا أنهما ميتا القلب والمشاعر، قاسيان ومتسلطان، وكل كلامهما أوامر ونواهٍ تصل إلى الضرب والتعذيب والتحقير، ويريانه غلطة عمرهما.. نادرًا ما يلتفت أحد إلى خالد كما يلتفتون إلى محمود، فهو يعيش في كنف والديه ويبدو بخير.. «مظاهر».

حبيبة أشقى نساء الدنيا، لا يمر عليها يوم دون أن تفيض عيناها بالدموع وينطلق لسانها بالشكاوى والدعاوى.. تارة تبكي إرث أبيها الذي لا يزال قيد النزاع، وتارة تشتكي صرامة زوجها الذي يعود إلى البيت منهكًا فلا ينبس لها بكلمة، وتارة تتأفف من ضيق مسكنها الذي يبدو صغيرًا إذا حل الضيوف، ومن كثرة بكائها وعويلها عبس وجهها وشحب لونها واحتد لسانها حتى نفر منها القاصي والداني.

أما حليمة، ذات الوجه البشوش المستنير، فهي لا تكف عن التبسم وحسن التكلم، بيتها الذي لا يكاد يكفيها وأولادها يعج عن آخره بالأحباب والجيران: هذا يطلب النصح، وذاك يستشير، وتلك تطلب الأنس، وتلك تستجير.. لدى حليمة حلٌ لكل كرب الناس ورزاياهم، حتى لا يكاد أحد يصدق أنها حليمة ذاتها الأرملة، والأكبر من أيتامها الأربعة مشلول، وجسدها النحيل ما فتئ ينهشه المرض الخبيث، بيد أن ذلك لم ينقص من إيمانها ورضاها وسرورها قيد أنملة.. وإذا رأيتها ورأيت حبيبة خِلت الأخيرة أسوأ حالاً.. «مظاهر».

● **كريمة المعرفاني**

المحرر: أختنا الكريمة رسالتك وصلت ولعلها تصل لجميع القراء فيهتمون بالجوهر، ويضعون المظهر في موضعه لا أكثر ولا أقل.

كيف يمكن للأسرة تحـــــــــ

الأشخاص ذوو الإعاقة البدنية ليسوا بأي حال من الأحوال مرضى نفسيين أو عقليين، فهم مجموعة من البشر تعرضوا لظروف خاصة نتج عنها قصور في عضو أو أكثر من أعضاء الجسم، مما استلزم التدخل بإحدى الوسائل أو المعينات التربوية أو الاجتماعية لجبر هذا القصور مما يمكنهم من ممارسة حياتهم والقيام بواجباتهم وخدمة أوطانهم.. والمعاق أيًا كانت إعاقته إنسان مبتلى، ومفهوم الابتلاء بالنسبة للمؤمن ليس مفهومًا سيئًا، بل هو مفهوم إيجابي من وجوه عدة:

- أن المبتلى محبوب عند الله إن صبر.
- الاعتقاد الراسخ أن الإعاقة أمر من قضاء الله وقدره يدفع المعاق إلى الرضا والصبر الجميل.
- إن أسر المعاقين وكافة أفراد المجتمع عليهم مسؤولية كبيرة في رعاية وحماية الأطفال المعاقين.

فالأسرة:

- عليها تقبل قضاء الله وقدره بصبر ورضا، وأن تمنح طفلها المعاق كل ما يحتاج إليه ويمكنه من العيش والتعليم واكتساب المهارات والتواصل مع من حوله.
- توفير الجو الأسري الهادئ المستقر الذي تسوده روح المحبة والتفاهم والتعاون، وذلك يمنح الطفل المعاق شعورًا بالاطمئنان والثقة بالنفس، ويحميه من القلق والاضطراب.
- يجب تشجيع الأبناء الأصحاء على أن يتعاونوا ويهتموا بالأخ

ويل المعاق من القلق إلى الرضا؟

المعاق، وأن يعتادوا إشراكه معهم في ألعابهم التي يستطيع أن يشاركهم إياها دون حرج أو ملل.

- على الأسرة امتداح نجاحه في أداء أي عمل ولو كان بسيطًا، والعمل على تصحيح أخطائه فورًا وبطريقة غير مباشرة، وإتاحة كل الفرص للطفل المعاق للاعتماد على نفسه.

- على الأسرة تقديم نماذج للمعاقين الذين ينجحوا في تحدي الإعاقة، باستمرار، لتدل على صدق العزيمة وقوة الإرادة وتحدي الصعاب.

- ينبغي على الأسرة أن تشرك الآخرين، ولا تحاول التخلص من الإحساس بالحرج بمفردها، فالأصدقاء والجيران والعائلات والأطباء والعيادات النفسية، كل هؤلاء يقدمون لها كل مساعدة ممكنة من الناحية الطبية أو النفسية أو الاجتماعية أو التعليمية أو التأهيلية.

- على الأسرة أن توضح لابنها المعاق أن المولى عز وجل ما أصابه بتلك الإعاقة إلا لأنه يحبه لتشجيعه على التحمل والصبر، وتمنحه الحافز النفسي والمعنوي للتقدم والنجاح في حياته، وقد يكون المعاق أفضل وأكرم عند الله من ألف صحيح معافى كما قال الله تعالى: ﴿إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ﴾، فالميزان الحقيقي هو التقوى وليس الصحة أو المال أو الجاه.

وعلى المسلم:

تقديم العون للمعاق لقوله ﷺ: «المؤمن للمؤمن كالبنيان يشد بعضه بعضًا» (متفق عليه).

وعن أنس بن مالك رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: «لا يؤمن أحدكم حتى يحب لأخيه ما يحب لنفسه» (متفق عليه).

وعن النعمان بن بشير رضي الله عنهما قال: قال رسول الله ﷺ: «مثل المؤمنين في توادهم وتراحمهم وتعاطفهم كمثل الجسد الواحد إذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر الجسد بالسهر والحمى» (متفق عليه).

والرحمة فضيلة تكون من السليم على المعاق والرحمة وصف بها خالقنا نفسه فقال: ﴿وَرَحْمَتِي وَسِعَتْ كُلَّ شَيْءٍ﴾ (الأعراف: ١٥٦).

• **نعيم نعيم السلاموني**

المحرر: أخي الكريم نعيم، نعم ما قلت ولا ننسى أيضًا أن نذكر إخواننا الكرام أن عددًا كبيرًا من الأفذاذ كانوا معاقين، وتغلبوا بفضل الله وحسن تدبير أسرهم ومجتمعاتهم على الإعاقة، بل حولوها إلى دافع إبداعي.

ردود سريعة

• **الأستاذ الدكتور عزالدين عناية من تونس، المدرس بجامعة لاسابينا في روما إشراقتك بمقال ممحص بعنوان ١١ رؤية نقدية في علاقات الكنيسة بالمسلمين «تشرح القلب» وتنشر ثقافة مفتقدة في مقارنة الأديان، ومع ذلك فسياسة المجلة تجعلها تنأى بنفسها عن التعرض لأي دين سماوي بشكل قد يفهم منه ما يسيء لأتباع هذا الدين.**

• **الأستاذ مولاي المصطفى البرجاوي من المغرب -كلية علوم التربية- قراءتكم التي وصلت المجلة بعنوان «المنظور الحضاري في التدوين التاريخي عند العرب» للدكتور سالم أحمد محل، بالفعل تستحق التأمل، والكتاب الذي صدر في سلسلة «كتاب الأمة» التي يصدرها مركز البحوث والدراسات في وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية في دولة قطر كتاب جدير بالاقتناء في كل مكتبة عربية. نشكرك على مساهمتك القيمة.**

• **الأخ الكريم محمد حسن بدر الدين وصلنا مقالكم «مفهوم الاختلاف في القرآن وعلاقته بالعلم» لكنه طويل وبحاجة إلى الاختصار قبل النشر وفقكم الله لما فيه الخير للأمة.**

• **الفاضل أحمد عيساوي من الجزائر، جزاك الله خيرًا عن مقالكم قلعة الإسلام في الجزائر - المسجد الجامع، لكننا نود أن نلفت نظركم إلى أن باب منارات في المجلة يحفل بالمساجد التراثية ذات التاريخ والمسجد الجامع حديث نسبيًا.**

• **الأخ الكريم داود حمد الفريح من سورية وصلتنا قصيدتكم «الراعي والمدينة» التي تبدأها بداية قوية فتقول: لملم أحزانك من شارع المساء وارحل... لكن نعتذر عن نشرها لضيق المساحة.**

القراء الأفاضل: لم يتسع المقام للتعقيب على كل ما وصل المجلة من مساهمات واقتراحات ونأمل في الأعداد المقبلة الإشارة إلى ما تيسر منها إيمانًا من إدارة التحرير بأن كل حرف يخطه قارئ «الوعي الإسلامي» له به علينا حق الرد مع الشكر والامتنان دومًا.

ينابيع المعرفة

إعداد: تركي النصر

الأمهات أكثر إشفاقًا

قال أبوالحسن الماوردي، (ت: ٤٥٠هـ): «والأمهات أكثر إشفاقًا وأوفرُ حُبًّا لِمَا باشرنَ منَ الولادة وعانينَ من التربية، فإنّهنّ أرقّ قُلوبًا وألينُ نفوسًا. وبحسب ذلكَ، وجبَ أَنْ يكونَ التعطّف عليهنّ أوفرَ جَزاء لفعلهنّ، وكفاء لحَقّهنّ، وإنْ كان الله تعالى قد أَشرَكَ بينهما في البر، وجمع بينهما في الوصية، فقال تعالى: ﴿ووصينا الإنسان بوالديه﴾ (العنكبوت: ٨)».

(أدب الدنيا والدين)

لا عذر للكبير في الجهل

قال أبوالحسن الماوردي، (ت: ٤٥٠هـ): «وقد قيل في الحكَم: جَهلُ الصغير معذورٌ، وعلمُهُ محقُورٌ، فأمّا الكبيرُ فالجَهلُ به أقبحُ، ونقصُهُ عليه أفضحُ؛ لأَنّ عُلُوّ السّنّ إذا لم يُكسبهُ فضلًا ولم يُفدهُ علمًا، وكانت أيامهُ في الجهل ماضيةً، ومنَ الفضل خاليةً، كانَ الصغير أفضلَ منه، لأَنّ الرّجاءَ لهُ أَكثرُ، والأملَ منه أَظهَرُ، وحسبُكَ نقصًا في رجلٍ يكونُ الصّغير المُساوي له في الجهل أفضلَ منهُ».

(أدب الدنيا والدين للماوردي)

مزرعة الفقه

إن أصدق تصوير للدور الذي قام به أبوحنيفة وتلاميذه في تطور الفقه الإسلامي ما أورده ابن عابدين في «رد المحتار ١/٥٠»: «الفقه: زرعه عبدالله بن مسعود، وسقاه علقمة بن قيس، وحصده إبراهيم النخعي، ودَرَسَهُ حماد بن أبي سليمان، وطحنه أبوحنيفة، وعجنه أبويوسف وخبزه محمد بن الحسن، فسائر الناس يأكلون من خبزه».

وهذا القول على ما يتضمن من المبالغة يصور تصويرًا واقعيًّا مركز سلسلة النبع العلمي الذي استقى منه أبوحنيفة فقهه، ومصب هذا النبع بعد ذاك.

فجذور الفقه الحنفي عريقة الاستقاء والتلقي، قال أبوحنيفة: «دخلت على أبي جعفر أمير المؤمنين، فقال يا أبا حنيفة: عمن أخذت العلم؟ قال: قلت: عن حماد عن إبراهيم عن عمر بن الخطاب، وعلي بن أبي طالب وعبدالله بن مسعود وعبدالله بن عباس. فقال أبو جعفر: بخ بخ».

(أخبار أبي حنيفة للصيمري، ٥٨-٥٩)

مصاحبة الأحمق

قال المعتمر بن سليمان: سمعت أبي يقول: كان يُقال: «تنكبوا عن مجاراة الأحمق فإنكم إن جاريتموه كنتم مثله، واجتنبوا صحبته فإنها الدّاء العضال الذي لا دواء له».

وقال الحسن البصري: «إياكم وصحبة الأحمق، فإنّ مصادقته جالبة العداوة، وعليكم بأهل التقى والعلم فإنكم لن تعدموا منهم رشدًا».

(عقلاء المجانين، للحسن بن محمد بن حبيب)

غدر الأخلّاء

قال الشّافعي رحمه الله تعالى:

إِنّي صَحِبتُ أُناسًا ما لهم عـــددٌ
وكنتُ أحسبُ أَنّي قد ملأتُ يدي
لمّا بلوتُ أخلائي وَجَدْتُهُـــــم
كالدّهر في الغدر لم يُبقوا على أَحد
إِنْ غِبتُ عنهم فَشَرُّ النّاس يَشْتُمُني
وإنْ مرضتُ فخيرُ النّاس لم يعُـد
وإِنْ رأَوني بخير ساءَهُم فَرحـي
وإِنْ رأَوني بِشَرٍّ سَرّهم نَكَـدي

(ديوان الإمام الشّافعي)

لكل مؤمن سبعة حصون

قال أحد العلماء العاملين: «افترض الله تعالى على خلقه فريضتين في آية واحدة، والخلق عنها غافلون. فقيل له: وما هي؟. فقال: قال الجليل: ﴿إنّ الشيطان لكم عدو فاتخذوه عدوًّا﴾، فهذا أمر منه سبحانه لنا بأن نتخذه عدوًّا. فقيل له: كيف نتخذه عدوًّا ونتخلص منه؟ فقال: إن الله تعالى جعل لكلِّ مؤمن سبعة حصون:

الأول: من ذهب وهو معرفة الله تعالى، وحوله حصن من فضة وهو الإيمان، وحوله حصن من حديد وهو التوكّل، وحوله حصن من حجارة وهو الشكر والرضا عنه عز شأنه، وحوله حصن من فخار وهو الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وحوله حصن من زمرد وهو الصدق والإخلاص، وحوله حصن من لؤلؤ رطب وهو الأدب، والمؤمن من داخل هذه الحصون وإبليس من ورائها ينبح كما ينبح الكلب..

فينبغي للمؤمن ألا يترك أدب النفس، فإنه من ترك أدب النفس في جميع أحواله وتهاون به فإنه يأتيه الخذلان، ويأتيه إبليس من جميع الحصون، ويرده إلى الكفر نعوذ بالله من ذلك».

(حياة الحيوان الكبرى، ٢١١/١)

علماء الآخرة

«من صفات علماء الآخرة أن يعلموا أنّ الدنيا حقيرة، وأنّ الآخرة شريفة، وأنهما كالضّرّتَيْن، فهم يُؤْثِرون الآخرة، ولا تخالف أفعالُهم أقوالَهم، ويكون ميلهم إلى العلم النّافع في الآخرة، ويجتنبون العلوم التي يَقِل نفعها إيثارًا لِمَا يعظم نفعه».

(مختصر منهاج القاصدين لابن قدامة المقدسي، ت: ٧٤٢)

أصبحت تطلبني ثمانية

قيل للإمام الشافعي رحمه الله كيف أصبحت؟ قال: أصبحت تطلبني ثمانية:

الله تعالى بفروضه، ورسوله ﷺ بالسنة، والدهر بصروفه، والعيال بقوتهم، والحفظة بما ينطق لساني، والشيطان بالمعاصي، والنفس بالشهوات، وملك الموت بقبض روحي.

(عين الأدب والسياسة)

فضل العقل

ذكر الإمام ابن حبان في «روضة العقلاء» بسنده عن علي بن أبي طالب رضي الله عنه قال: «لما أهبط آدم من الجنة أتاه جبريل فقال: إني أمرت أن أخيرك في ثلاثة فاختر واحدة ودع اثنتين، فقال آدم: وما الثلاث؟ فقال: الحياء، والدين، والعقل، فقال آدم: فإني اخترت العقل، قال: فقال جبريل للحياء والدين: انصرفا ودعاه فقالا: إنا أمرنا أن نكون مع العقل حيث كان، ثم عرج جبريل وقال: شأنكم».

(كشكول ابن عقيل، ص: ٣٦)

خمسة فيها العوض

قال علي بن أبي طالب رضي الله عنه: «خمسة لو سافر فيهن رجل إلى اليمن كنّ فيه عوضًا عن سفره: لا يخشى عبد إلا ربه، ولا يخاف إلا ذنبه، ولا يستحي من لا يعلم أن يتعلم، ولا يستحي من يعلم إذا سُئل عما لا يعلم أن يقول: الله أعلم، والصبر من الدين بمنزلة الرأس من الجسد».

(إعلام الموقعين ص: ٢٩٢)

كناية جميلة

وقفت امرأة على باب قيس بن عبادة، فقالت: أشكو إليك قلة الجِرْذَان!

فقال قيس: ما أَحْسَنَ هذه الكناية! املأوا بيتها خُبْزًا وسمنًا.

(طرائف عربية)

اطلب قلبك في ثلاثة

قال ابن مسعود رضي الله عنه: «اطلب قلبك في ثلاثة مواطن: عند سماع القرآن، وفي مجالس الذكر، وفي أوقات الخلوة، فإن لم تجده في هذه المواطن فسَلِ الله أن يَمُنّ عليك بقلب فإنّه لا قلب لك».

(الفوائد لابن القيّم، ص: ١٩٥)

إشاعة العيوب

قال ابن رجب رحمه الله: «إن الناصح ليس له غرض في إشاعة عيوب من ينصح له، وإنما غرضه إزالة المفسدة التي وقع فيها، ولذلك فإنه ينبغي أن تكون سرًّا بين الآمر والمأمور، وأما الإشاعة وإظهار العيوب فهو مما حرمه الله ورسوله، ومن حب إشاعة الفاحشة في المؤمنين».

(موسوعة أقوال الحكماء)

أنت الأغنى

محمد مسعد ياقوت
مؤسس موقع نبي الرحمة

الآن اقرأ هذه المقالة، وأنت تفتح صفحة جديدة في حياتك، واطو صفحات المآسي والعوز، وامحُ تمامًا من ذهنك ساعات الحرمان، وكلَ شعور سلبي أو فكرة مسمومة تتسلل إلى نفسك فتشعرك بلحظة شعرتَ فيها بمرارة الحاجة.

لا تحزن، ولا تهن، لقد وجدك الله وحيدًا فآنسك، ووجدك ضالاً فهداك، ووجدك فقيرًا فأغناك، لقد سخر لك كل شيء من حولك، ولكنك لا تنظر إلا إلى القليل المفقود، لقد أنعم عليك، وفضلك على كثير من خلقه، وأعطاك عقلاً تجلب به كل الأسباب، وتبتكر به كل الابتكارات، وتنسجم به مع الكون الوافر، وتستلهم به الغنى من الهواء النقي، والماء العذب، وتجذب به الوفرة إليك جذبا، وتشدها إليك شدًا كما تسحب الناقة المذللة، وسخر لك ما في البر والبحر، وسخر لك اليل والنهار، وخلق لك ما في الأرض جميعًا، وأسبغ عليك نعمه ظاهرة وباطنة، ولئن عددت نعمه وآلائه عليك فلن تحصيها، سمعك تسمع به من دون عناء، وبصرك ترى به من دون مشقة، ولسانك تتكلم به، ويدك تصافح، كل هذه الجوارح هي أدوات تتعامل بها مع الكون، وتنهل بها من خزائن رحمة الله.

وإنسانٌ مثلك وفي مقام النعمة تلك لجدير به أن يكون عبدًا شكورا، فحدّث الناس بنعم الله عليك، ولا تُشعر نفسك ولا تشعر أحدًا بشيء من فقر أو حاجة، فأنت غني به، وأنت الأغنى بفضله.

انظر نظرةً جديدة إلى ذاتك، وما فيها من نعيم، وما تمتلكه ولا يقدر بثمن، وانظر في الآفاق، وتأمل الأرض المليئة بالخيرات، والغدران والأنهار، السماء العامرة، البحر الهادي، التربة الغنية، الهواء العبق، الرياض المونقة، كل هذه المعطيات الغنية بين يديك، وعقلك في رأسك، وخالقك نفخ فيك من روحه، وأنشأك من هذه الأرض واستعمرك فيها، فاصنع صنائع الوفرة، وابتكر أسباب الغنى، واكتشف ثروات البشرية التي تتلألأ من وراء الحُجب، فهناك المزيد من الأفكار في انتظارك، وهناك المزيد من المفاجآت السارة والمناسبات السعيدة، عليك فقط أن تنسجم مع هذه الفطرة الأصيلة – التي فطر الله الناس عليها – وتتناغم مع الطبيعة الوافرة، والكون الذكي الذي أحسن اللهُ صنعه وأتقن كل شيء.

تعال نبدأ رحلة الوصول إلى النعمة السابغة، والوفرة الشاملة، والغنى الحقيقي وسعة المعيشة.

مفاهيم النعمة والوفرة والغنى والسعة وغيرها من المصطلحات، لا نقصد بها الثروة فحسب، إنما هي مفاهيم جامعة للعافية في الدين والدنيا، والبركة في المال والأهل، والسعادة في قلبك وفي قلوب من حولك، إنما هي مصطلحات تعبر عن شعورك الصادق، كما لو أنه حِيزَتْ لك الدُّنْيَا بِحَذَافِيرِها، من الزوجة الصالحة، والصديق الوفي، والعمل الناجح، والصحة النفسية، والعافية البدنية، والتمكين في الأرض، والقبول بين الناس، هذا إضافة إلى المال الوفير المتلاحق والمتتابع.

مجلة

الوعي الإسلامي

تهديكم جديد إصداراتها

صندوق البريد : ٢٣٠٦٧ الصفاة ١٣٠٩٧ ـ الكويت هاتف:٢٢٤٦٧١٣٢ - ٢٢٤٧٠١٥٦ فاكس: ٢٢٤٧٣٧٠٩

البريد الالكتروني: info@alwaei.com - manager@alwaei.com

الوعي الشبابي

للقيمة معنى!

www.shabab.alwaei.com

- موضوعات حيوية ومعاصرة
- حوارات حصرية مع الشباب المبدعين
- مقالات لأبرز الكتاب الشباب

«الوعي الشبابي» .. مجلة شبابية إلكترونية تصدر عن
مجلة «الوعي الإسلامي»
رئيس التحرير: فيصل يوسف العلي

البريد الإلكتروني
info@shabab.alwaei.com

للتواصل زوروا موقعنا
www.shabab.alwaei.com